كتاب الشعب
٢٩

تاريخ الجبرتي



كتاب الشعب
٢٩

المختار من

تاريخ الجبرتي

اختيار
محمد قنديل البقلي

الجزء الثاني

مطابع الشعب
١٩٥٨

لم يكن هناك مناص من وضع « الكشاف » الذى يحتوى على الاصطلاحات التركية والمملوكية فى نهاية الجزء الأخير من الكتاب ، حتى يكون جامعا لكل غوامضه ، مرتبا على ترتيب الحروف الهجائية .

يوميات الجبرتي

سنة ١١٩٨ هجرية

المحرم

فيه : (ديسمبر ١٧٨٣ م) :

سافر مراد بيك الى منية ابن خصيب مغضبا .. وجلس هناك .

وفيه : حضر الى مصر محمد باشا والى مصر ، فأنزلوه بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل . فأقام به يومين ، ثم عملوا له موكبا وطلع الى القلعة من تحت الربع على الدرب الأحمر .

فى منتصفه (١٠ ديسمبر ١٧٨٣ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك والأمراء الذين معه على ارسال محمد افندى البكرى ، والشيخ أبى الأنوار شيخ السادات ، والشيخ احمد العروسى شيخ الأزهر الى مراد بيك ... ليأخذوا خاطره ، ويطلبوه للصلح مع خشداشينه ، ويرجع اليهم ، ويقبلوا شروطه ما عدا اخراج أحد من خشداشينهم . فلما سافروا اليه وواجهوه ، وكلموه فى الصلح ، فتعلل بأعذار ، وأخبر أنه لم يخرج من مصر الا هروبا ، وخوفا على نفسه ، فانه تحقق عنده توافقهم على غدره . فان ضمنتم وحلفتم لى بالأيمان أنه لا يحصل لى منهم ضرر ... وافقتكم على الصلح ، والا .. فدعونى بعيدا عنكم .

ففالوا له : لسنا نطلع على القلوب ، حتى نحلف ونضمن ! ولكن الذى نظنه ، ونعتقده ، عدم وقوع ذلك بينكم ، لأنكم اخوة ، ومقصودنا الراحة فيكم ، وبراحتكم ترتاح الناس وتأمن السبل .

فأظهر الامتثال ، ووعد بالحضور بعد أيام . وقال لهم :

« اذا وصلتم الى بنى سويف ، ترسلون لى عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك الدفتردار لأشترط عليهم شروطى . فان قبلوها ، توجهت معهم . والا عرفت خلاصى معهم ! » .

وانفصلوا عنه على ذلك ... وودعوه وسافروا .

صفر

٢٣ منه (١٧ يناير ١٧٨٤ م) :

حضر المذكورون الى مصر .

وصل الحجاج الى مصر .

٢٥ منه (١٩ يناير ١٧٨٤ م) :

دخل أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل .

ربيع الأول

مستهله (٢٤ يناير ١٧٨٤ م) :

خرج الأمراء الى ناحية معادى الخبيرى ، وحضر مراد بيك الى بر الجيزة وصحبته جمع كبير من الغز والأجناد والعربان والغوغاء من أهل الصعيد والهوارة . ونصبوا خيامهم ووطاقهم قبالتهم فى البر الآخر ، فأرسل اليه ابراهيم بيك ، عبد الرحمن بيك عثمان وسليمان بيك الشابورى وآخرين فى مركب . فلما عدوا اليه ، لم يأذن لهم فى مقابلته ، وطردهم . ونزل أيضا كتخدا الباشا

وصحبته اسماعيل أفندى الخلوتى فى مركب آخر ، لبتوجهوا اليه أيضا لجريان الصلح . فلما توسطوا البحر ، ووافق رجوع الأولين ، ضربوا عليهم بالمدافع ، فكادت تغرق بهم السفن ، ورجعوا وهم لايصدقون بالنجاة .

فلما رأى ذلك ابراهيم بيك ، ونظر امتناعه عن الصلح ، وضربه بالمدافع ... أمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم ، وكثر الرمى بينهم من الجهتين على بعضهم البعض ، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية الى الجهة الأخرى ، وحجزوا المعادى من الطرفين . واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر الى عشرين منه ... واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد ، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية برا وبحرا ، وكثر تعدى المفسدين ، وغلت الأسعار ، وشح وجود الغلال ، وزادت أسعارها .

وفى تلك المدة كثر عبث المفسدين ، وأفحش جماعة مراد بيك فى النهب والسلب فى بر الجيزة ، وأكلوا الزروعات ، ولم يتركوا على وجه الأرض عودا أخضر ، وعين لقبض الأموال من الجهات ، وغرامات الفلاحين .

وظن الناس حصول الظفر لمراد بيك ، واشتد خوف الأمراء بمصر منه ، وتحدث الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب .

٢٧ منه (١٩ فبراير ١٧٨٤ م) :

أرسل ابراهيم بيك المذكور خمسة من الصناجق وهم : سليمان بيك الأغا وسليمان بيك أبو نبوت وعثمان بيك الأشقر وابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك ، فعدوا الى البر الآخر بالقرب من البابة ليلا ، وساروا مشاة ، فصادفوا طابورا فضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم ، وملكوا مكانهم ، وذلك بالقرب من بولاق التكرور . كل ذلك والرمى بالمدافع متصل من عرضى ابراهيم بيك . ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان ، وتقدموا قليلا قليلا من عرضى مراد بيك ، وضربوا على العرضى بالمدفعين فلم يجبهم أحد . فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف . وتتابع بهم طوائفهم وخيولهم .

فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضى خاليا وليس به أحد ، وارتحل مراد بيك ليلا وترك بعض أثقاله ومدافعه . فذهبوا الى العرضى وأخذوا ما وجدوه ، وجلسوا مكانه ، ونهب أوباشه المراكب التى كانت محجوزة للناس ، وعدى ابراهيم بيك ، وتتابعوا فى التعدية ، وركبوا خلفهم الى الشيمى ، فلم يجدوا أحدا .

فأقاموا هناك أربعة أيام ، ورجع ابراهيم بيك وبقية الأمراء الى مصر . ودخلوا بيوتهم ، وانقضت هذه الفتنة الكذابة على غير طائل ، ولم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة ، وهرب مراد بيك ، وذهب بمن معه يهلكون الزرع حصادا ، ويسعون فى الأرض فسادا .

جمادى الأولى

فى أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٧٨٤ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك على طلب الصلح مع مراد بيك . فسافر لذلك لاجين بيك وعلى أغا كتخدا جاووجان . وسبب ذلك ، أن عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك وابراهيم بيك الوالى ، تحزبوا مع بعضهم ، وأخذوا ينقضون على ابراهيم بيك الكبير ، واستخفوا بشأنه ، وقعدوا له كل مرصد . وتخيل منهم وتحرز ، وجرت مشاجرة بين أيوب بيك وعلى أغا كتخدا جاووجان بحضرة ابراهيم بيك ، وسبه وشتمه وأمسك عمامته ، وحل قولانه وقال له : « ليس هذا المنصب مخلدا عليك » . فاغتاظ

ابراهيم بيك لذلك وكتمه فى نفسه ، وعز عليه على آغا لأنه كان بينه وبينه محبة أكيدة ، ولا يقدر على فراقه ، فشرع فى اجراء الصلح بينه وبين مراد بيك ، فاجتمع اليه الأمراء وتكلموا معه وقالوا له : كيف تصنع .. ؟ قال : نصطلح مع أخينا .. أولى من التشاحن ، ونزيل الغل من بيننا لأجل راحتنا وراحة الناس ، ويكون كواحد منا ، وان حصل منه خلل أكون أنا وأنتم عليه .وتحالفوا على ذلك ، وسافر لاجين بيك وعلى أغا .

وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجربان — كتخدا مراد بيك — الى مصر ، واجتمع بابراهيم بيك ، ورجع ثانيا . وأرسل ابراهيم بيك صحبته ولده ومرزوق بيك طفلا صغيرا ، ومعه الدادة والمرضعة . فلما وصلوا مراد بيك أجاب بالصلح ، وقدم لمرزوق بيك هدية وتقادم ، ومن جملتها بقرة ... ولابنتها رأسان !

وحضر بهما الى مصر ، وشاع خبرها ، فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد اسماعيل الوهبى الشهير بالخشاب — فوصلنا الى بيت أم مرزوق بيك الذى بحارة عابدين ، ودخلنا الى اسطبل مع بعض السواس ، فرأينا بقرة مصفرة اللون ببياض ، وابنتها خلفها سوداء ولها رأسان كاملا الأعضاء ، وهى تأكل بفم أحد الرأسين وتشتر (تجتر) بفم الرأس الثانى ... فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته ... فكانت من العجائب الغريبة المؤرخة !

رجب

فى ١٠ منه (٣٠ مايو ١٧٨٤ م) :

حضر مرزوق بيك وصحبته حسن كتخدا الجربان ، فأوصله الى أبيه ، ورجع ثانيا الى مراد بيك .

وشاع الخبر بقدوم مراد بيك ، وعمل مصطفى بيك وليمة ، وعزم من بصحبته ، وأحضر لهم آلات الطرب ، واستمروا على ذلك الى آخر النهار ...

١١ منه (٣١ مايو ١٧٨٤ م) :

وفى ثانى يوم اجتمعوا عند ابراهيم بيك وقالوا له : « كيف يكون قدوم مراد بيك ؟ ولعله لا يستقيم حاله معنا ! » .

فقال لهم : « حتى يأتى ... فان استقام معنا فبها ، والا أكون — أنا وأنتم — عليه » .

فتحالفوا وتعاهدوا وأكدوا المواثيق .

فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك الى غمازة ، فركب ابراهيم بيك على حين غفلة وقت القائلة فى جماعته وطائفته ، وخرج الى ناحية البساتين ، ورجع من الليل وطلع الى القلعة وملك الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصليبة والتبانة ، وأرسل الى الأمراء الخمسة يأمرهم بالخروج من مصر ، وعين لهم أماكن يذهبون اليها ، فمنهم من يذهب الى دمياط ، ومنهم من يذهب الى المنصورة وفارسكور ... فامتنعوا من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف ... ثم لم يجدوا لهم خلاصا بسبب أن ابراهيم بيك ملك القلعة وجهاتها ،ومراد بيك واصل يوم تاريخه وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان .

ثم انهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم الى ناحية القليوبية ، ووصل مراد بيك لزيارة الامام الشافعى . فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من فوره من خلف القلعة ، ونزل على الصحراء ، وأسرع فى السير حتى وصل الى قناطر أبى المنجا ، ونزل هناك ، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند شبرا شهاب .

وأدركهم مراد بيك ، والتطموا معهم ، فتقنطر مراد بيك بفرسه ، فلحقوه وأركبوه غيره ... فعند

ذلك ولى راجعا . وانجرح بينهم جماعة قلائل ، وأصيب سليمان بيك برصاصة نفذت من كتفه ولم يمت .

ورجع مراد بيك ومن معه الى مصر على غير طائل ، وذهب الأمراء الخمسة المذكورون وعدوا على وردان ، وكان بصحبتهم رجل من كبار العرب — يقال له طرهونه — يدلهم على الطريق الموصلة الى جهة قبلى ، فسار بهم فى طريق مقفرة ليس بها ماء ولا حشيش يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش . وتأخر عنهم أناس من طوائفهم وانقطعوا عنهم شيئا فشيئا الى آن وصلوا الى ناحية سقارة ، فرأوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضاق خناقهم وظنوا الوقوع ، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب عليها والهروب ويتركوا أثقالهم ، فقامت عليهم طوائفهم فقالوا لهم : كيف تذهبون وتتركونا مشتتين؟ وصار كل من قدر على خطف شيء أخذه وهرب ، فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم الى مكان آخر .

وفى وقت الكبكبة ركب مملوك من مماليكهم وحضر الى مراد بيك — وكان بالروضة — فأعلمه بالخبر ، فأرسل جماعة الى الموضع الذى ذكره له ، فلم يجدوا أحدا ، فرجعوا .

واغتم أهل مصر لذهابهم الى جهة قبلى لما يترتب على ذلك من التعب وقطع الجالب ، مع وجود القحط والغلاء . وبات الناس فى غم شديد ...

٢١ منه (١٠ يونية ١٧٨٤) :

شاع الخبر بالقبض عليهم . وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا الى ناحية الأهرام ، ووجدوا أنفسهم مقابلين البلد ، أحضروا الدليل وقالوا له : انظر لنا طريقا نسلك منه ... فركب لينظر فى الطريق ، وذهب الى مراد بيك وأخبره بمكانهم ، فأرسل لهم جماعة ، فلما نظروهم مقبلين ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هاربين .

وكانوا أكمنوا لهم كمينا ، فخرج عليهم الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح قتال ، وحضروا بهم الى مراد بيك بجزيرة الذ[هب] فباتوا عنده . ولما أصبح النهار أحضر لهم بيك مراكب وأنزل كل أمير فى مركب وصحبته خمسة مماليك وبعض خدام ، وسافروا الى بحرى فذهبوا بعثمان بيك وأيوب بيك المنصورة ، ومصطفى بيك الى فارسكو وابراهيم بيك الوالى الى طندتا ، وأما سليمان [بيك] فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه .

رمضـــان

منتصفه (٢ اغسطس ١٧٨٤) :

اتفق الأمراء المنفيون على الهروب الى قبلى فأرسلوا الى ابراهيم بيك الوالى ليأتى اليهم طندتا ، وكذلك الى مصطفى بيك من فارسكور وتواعدوا على يوم معلوم بينهم ، فحضر ابراهيم بيك الى عثمان بيك وأيوب بيك خفية المنصورة . وأما مصطفى بيك فانه نزل فى المراكب وعدى الى البر الشرقى بعد الغروب ، وركب و... فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكو — وكان بينه وبين مصطفى بيك حزازة — وأ... صحبته رجلا يسمى الأشقر فى نحو ثلاثمائة فار[س] وعدوا خلفه فلحقوه آخر الليل والطريق ضيقة ... البحر والأرز المزروع ... فلم يمكنهم الهروب و[لا] القتال . فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فخاض فى الأرز بفرسه فانغرس فى الطين فقبضوا عليه هو وجماعته ، فعروهم وأخذوا ما كان معهم وساقوهم مشاة الى البحر ، وأنزلوهم المراكب وردوهم الى مكانهم محتفظين عليهم . وأرسلوا الخبر الى مصر بذلك .

وأما الجماعة الذين فى المنصورة فانهم انتظروا مصطفى بيك فى الميعاد فلم يأتهم ، ووصلهم الخبر بما وقع له فركب عثمان بيك وابراهيم بيك وساروا ، وتخلف أيوب بيك بالمنصورة . فلما قربوا من مصر سبقتهم الرسل الى سليمان بيك فركب من الجيزة وذهب اليهما وذهبوا الى قبلى ، وأرسل مراد بيك محمد كاشف الألفى وأيوب كاشف ،فأخذا مصطفى بيك من فارسكور وتوجها به الى ثغر الاسكندرية ، وسجنوه بالبرج الكبير — وعرف من أجل ذلك بالاسكندرانى .

وأحضروا أيوب بيك الى مصر وأسكنوه فى بيت صغير . وبعد أيام ردوه الى بيته الكبير وردوا له الصنجقية أيضا فى منتصف شوال .

شــوال

الاثنين ٦ شوال (٢٣ أغسطس ١٧٨٤ م — ١٩ مسرى ١٥٠٠ ق) :

كان وفاء النيل المبارك . ونزل الباشا يوم الثلاثاء فى عربة ، وكسر السد على العادة .

٢١ شوال (٧ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج مصطفى بيك الكبير فى موكب حقير جدا بالنسبة للمواكب المتقدمة ، ثم ذهب الى البركة فى يوم الخميس ، وقد كان تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها ، فطلب ذلك من ابراهيم بيك فأحاله على مراد بيك من الميرى الذى طرفه وطرف أتباعه ، فقال : نعم طرفى ذلك ، لكنه قبض فردة البلاد واختص بها ، ولم آخذ منها الا قدرا يسيرا . وكانوا قبل ذلك قرروا فردة على البلاد وقبضها ابراهيم بيك ولم يأخذ منها مراد بيك الا أقل من مأموله — وقصده يقطع ما عليه من الميرى — لذلك فلم يلتفت ابراهيم بيك لقوله وأحال عليه أمير الحج .

وركب من البركة راجعا الى مصر ، وتركه واياه ... فلم يسع مراد بيك الا الدفع وتشهيل الحج ، وعاد الى مصر وخرج الى قصره بالروضة ، وأرسل الى الجماعة الذين بالوجه القبلى . فلما علم ابراهيم بيك بذلك أرسل اليه يستعطفه ، وترددت بينهما الرسل من العصر الى بعد العشاء ...

ونظر ابراهيم بيك فلم يجد عنده أحدا من خشداشينه ، واجتمعوا كلهم على مراد بيك ... فضاق صدره وركب الى الرميلة فوقف بها ساعة حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بيك الأشقر وعلى بيك أباظة ، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة ثم سار نحو الجبل وذهب الى قبلى وصحبته على أغا كتخدا الجاويشية ، وعلى أغا مستحفظان ، والمحتسب وصناجقه الأربعة .

فلما بلغ مراد بيك ركوبه وذهابه ركب خلفهم حصة من الليل ثم رجع الى مصر وأصبح منفردا بها . وقلد قائد أغا أغات مستحفظان ، وصالح أغا الوالى القديم وجعله كتخدا الجاويشية ، وحسن أغا كتخدا ، ومصطفى بيك محتسب . وأرسل الى محمد كاشف الألفى ليحضر مصطفى بيك من محبسه بثغر اسكندرية ، ونادى بالأمان فى البلد ، وزيادة وزن الخبز ، وأمر باخراج الغلال المخزونة لتباع على الناس .

ذو القعدة

٥ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

فى ليلته حضر مصطفى بيك ونزل فى بيته أميرا وصنجقا على عادته كما كان .

وفيه : قلد مراد بيك مملوكه محمد كاشف الألفى صنجقا ، وكذلك مصطفى كاشف الأخميمى صنجقا أيضا .

١٧ منه (٢ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك أبو نبوت ... وكان مراد بيك أرسل يستدعيهم كما تقدم .

فلما حضروا الى مصر سكنوا بيوتهم كما كانوا على امارتهم .

فى أواخره (أوائل اكتوبر ١٧٨٤ م) :

وصل واحد أغا من الدولة وبيده مقرر للباشا على السنة الجديدة . فطلب الباشا الأمراء لقراءته عليهم ، فلم يطلع منهم أحد ، وأهمل ذلك مراد بيك ولم يلتفت اليه .

ذو الحجة

١٤ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

رسم مراد بيك بنفى رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير — الذى كان خامر على اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ، وحضر مصر صحبة مراد بيك ، وانضم اليه وصار من خاصته . فلما خرج ابراهيم بيك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع اسماعيل بيك وحسن بيك ، فصار رضوان بيك كالجملة المعترضة ... فرسم مراد بيك بنفيه فسافر من ليلته الى الاسكندرية .

١٥ منه (٣٠ اكتوبر ١٧٨٤ م) :

أرسل مراد بيك الى الباشا وأمره بالنزول ، فأنزلوه الى قصر العينى معزولا ، وتولى مراد بيك قائم مقام ، وعلق الستور على بابه — فكانت ولاية هذا الباشا أحد عشر شهرا ، سوى الخمسة الأشهر التى أقامها بثغر اسكندرية . وكانت أيامه كلها شدائد ومحنا وغلاء .

فى أواخره (أوائل نوفمبر ١٧٨٤ م) :

شرع مراد بيك فى اجراء الصلح بينه وبين ابراهيم بيك . فأرسل له سليمان بيك الأغا ، والشيخ أحمد الدردير ، ومرزوق بيك ولده ... فتهيأوا وسافروا فى ثامن عشرينه (١٢ نوفمبر ١٧٨٤ م) .

***

وانقضت هذه السنة — كالتى قبلها — فى الشدة والغلاء ، وقصور النيل ، والفتن المستمرة ، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء ، وانتشار أتباعهم فى النواحى لجبى الأموال من القرى والبلدان ، واحداث أنواع « المظالم » (ويسمونها مال الجهات) ، ودفع المظالم والفردة ... حتى أهلكوا الفلاحين ، وضاق ذرعهم ، واشتد كربهم ، وطفشوا من بلادهم ...

فحولوا الطلب على الملتزمين ، وبعثوا اليهم المعينين فى بيوتهم ، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك ... مع ماهم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك ، وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف مايقدر عليه .

وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة . ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار !

ثم مدوا أيديهم الى المواريث ... فاذا مات الميت أحاطوا بموجوده ، سواء كان له وارث أو لا ؟

وصار « بيت المال » من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه فى كل شهر ! ...ولا يعارض فيما يفعل فى الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير ... فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء الا من تداركه الله

برحمته ، أو اختلس شيئا من حقه ، فان اشتهروا عليه عوقب على استخراجه ...

وفسدت النيات ، وتغيرت القلوب ، ونفرت الطباع ، وكثر الحسد والحقد فى الناس لبعضهم البعض ... فيتتبع الشخص عورات أخيه ، ويدلى به الى الظالم ... حتى خرب الاقليم ، وانقطعت الطرق ، وعربدت أولاد الحرام ، وفقد الأمن ، ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب الغرر .

وجلا الفلاحون من بلادهم من الشراقى والظلم ، وانتشروا فى المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ، ويأكلون مايتساقط فى الطرقات من قشور البطيخ وغيره ... فلا يجد الزبال شيئا يكنسه من ذلك ...

واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال . فاذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه ، ومنهم من يأكله نيئا من شدة الجوع !

ومات الكثير من الفقراء بالجوع ... هذا والغلاء مستمر ، والأسعار فى الشدة ، وعز الدرهم والدينار من أيدى الناس ، وقل التعامل الا فيما يؤكل ... وصار سمر الناس وحديثهم فى المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير !

ولولا لطف الله تعالى ، ومجىء الغلال من نواحى الشام والروم ، لهلكت أهل مصر من الجوع !

وبلغ الأردب من القمح ألفا وثلاثمائة نصف فضة ، والفول والشعير قريبا من ذلك . وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد .

واستمر ساحل الغلة خاليا من الغلال بطول السنة ، والشون كذلك مقفولة ، وأرزاق الناس وعلائفهم مقطوعة . وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم ، وخروج طائفة ورجوع الأخرى . ومن خرج الى جهة قبض أموالها وغلالها . واذا حصل المستقر فى شىء تعلل بما ذكر ومحصل هذه الأفاعيل — بحسب الظن الغالب — أنها حيل على سلب الأموال والبلاد ، وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها اسماعيل بيك !

وفى أواخره أيضا وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار — خطابا للأمراء والعلماء — بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر ، وحضور المراكب مخبرة بالأتربة ... والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد

فلما حضرت قرىء بعضها وتغوفل عنها ، وبقى الأمر على ذلك ...

* * *

وممن مات فى هذه السنة السيد الفاضل على بن عمر بن محمد بن على ... ويتصل نسبه — فى الجد الخامس عشر — بالقطب سيدى عبد الرحيم القناوى الشريف الحسينى .

ولد بقنا ، وقدم مصر ، وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحفنى ثم حبب اليه السياحة ، فورد الحرمين ، وركب من جدة الى سورت ، ومنها الى البصرة وبغداد ، وزار من بهما من المشاهد الكرام ، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم دخل خراسان ، ومنها الى غزنين وكابل وقندهار ، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطاء ، ثم عاد الى الحرمين ، وركب من هناك الى بحر سيلان ، فوصل الى بنارس واجتمع بسلطانها ، وذهب الى بلاد جاوة ، ثم رجع الى الحرمين ، ثم سار الى اليمن ، ودخل صنعاء واجتمع بامامها ، ودخل زبيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به ، وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقته وأكرموه ثم عاد الى الحرمين ، ثم الى مصر وذلك سنة

اثنتين وثمانين . وكانت مدة غيبته نحو عشرين سنة !

ثم توجه فى آخر هذه السنة الى الصعيد ، واجتمع بشيخ العرب همام — رحمه الله تعالى — وأكرمه اكراما زائدا .

ودخل قنا ، فزار جده ، ووصل رحمه . ومكث هناك شهورا ثم رجع الى مصر ، وتوجه الى الحرمين من القلزم ، وسافر الى اليمن ، وطلع الى صنعاء ، ثم عاد الى كوكبان — وكان امامها اذ ذاك العلامة السيد ابراهيم بن أحمد الحسينى .

وانتظم حاله ، وراج أمره ، وشاع ذكره ، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زبيد .

واستمال بحسن مذاكرته ومداراته طائفة من الزيدية ببلدة تسمى « زمرمر » — وهى بلدة باليمن بالجبال . وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية ... فلم يزل بهم حتى أحبوه ، وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه .

ثم رجع من هناك الى جدة ، وركب من القلزم الى السويس ، ووصل مصر سنة أربع وتسعين . فنزل بالجمالية ، فذهبت اليه بصحبة شيخنا السيد مرتضى ، وسلمنا عليه .

وكنت أسمع به ولم أره قبل ذلك اليوم ، فرأيت منه كمال المودة ، وحسن المعاشرة ، وتمام المروءة ، وطيب المفاكهة .

وسمعت منه أخبار رحلته الأخيرة . وترددنا عليه وتردد علينا كثيرا . وكان ينزل فى بعض الأحيان الى بولاق ، ويقيم أياما بزاوية على بيك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ بدوى الهيتمى .

وحضر الى منزلى ببولاق مرارا — باستدعاء وبدون استدعاء .

ثم تزوج بمصر . وأتى اليه ولده السيد مصطفى من البلاد زائرا .

وما زال على حاله فى عبادة وحسن توجه الى الله ، مع طيب معاشرة ، وملازمة الأذكار ، صحبة العلماء الأخيار ، حتى تمرض بعلة الاستسقاء مدة وتوفى ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى من السنة . وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالقرافة بين يدى شيخه الحفنى .

وكان ابنه غائبا فحضر بعد مدة من موته ، فلم يحصل من ميراثه الا شيئا نزرا .. وذهب ما جمعه فى سفراته حيث ذهب ...

***

ومات الوجيه النبيل ، والجليل الأصيل ، السيد حسين باشجاوبش الأشراف ، ابن ابراهيم كتخدا تفكجيان ، ابن مصطفى افندى الخطاط .

كان انسانا حسنا جامعا للفضائل واللطف والمزايا . واقتنى كتبا كثيرة فى الفنون — وخصوصا فى التاريخ .

وكان مألوف الطباع ، ودودا ، شريف النفس ، مهذب الأخلاق ... فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

***

ومات الأمير الجليل ابراهيم كتخدا البركاوى . وأصله مملوك يوسف كتخدا عزبان البركاوى .

نشأ فى سيادة سيده ، وتولى فى مناصب وجاقهم ، وقرأ القرآن فى صغره ، وجود الخط ، وحبب اليه العلم وأهله .

ولما مات سيده كان هو المتعين فى رآسة بيتهم دون خشداشينه — لرآسته وشهامته — ففتح بيت سيده ، وانضم اليه خشداشينه وأتباعه ، واشترى المماليك ودربهم فى الآداب والقراءة وتجويد الخط .

وأدرك محاسن الزمن الماضى . وكان بيته مأوى الفضلاء وأهل المعارف والمزايا والخطاطين . واقتنى كتبا كثيرة جدا فى كل فن وعلم ، حتى ان الكتاب المعدوم اذا احتيج اليه لايوجد الا عنده ... ويعير للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع فى المطالعة والنقل — رحمه الله تعالى .

سنه ١١٩٩ هجريه

المحـــرم

استهل العام بيوم الاثنين المبارك ، وأرخه أديب العصر الشيخ قاسم بقوله :

يا أهــل مصر اســتبشروا
فالله فــرج كــل هــم

وأتى الرخـــــاء مؤرخا :

عـــام	بفضل	الله	عم
١١١	٩١٢	٦٦	١١٠
=	١١٩٩		

فكان الفــأل بالمنطق ، وأخــذت الأشــياء فى الانحلال قليلا .

فى ٧ منه (٢٠ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لابراهيم بيك فى شــأن الصلح — وهم : الشيخ الدردير وسليمان بيك الأغا ومرزوق جلبى — اجتمعــوا بابراهيم بيك ، فتكلموا معه فى شأن ذلك . فأجاب بشروط منها أن يكون هو على عادته ، أمير البلد ، وعلى أغا كتخــدا الجاويشية فى منصبه . فلمــا وصل الرسول بالمكاتبة ، جمع مراد بيك الأمراء وعرفهم ذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وكتبوا جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذى حضر بها .

فى ١١ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

سافر أيضا أحمــد بيك الكلارجى وسليم أغا أمين البحرين .

فى ٢٠ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصلت الأخبار بأن ابراهيم بيك نقض الصلح الذى حصل ، وقيل ان صلحه كان مداهنة لأغراض لا تتم له بدون ذلك . فلما تمت احتج بأشياء آخر ، ونقض ذلك .

صـــفر

فى ٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

حضر الشيخ الدردير وأخبر بمــا ذكر ، وأن سليمان بيك وسليم أغا استمروا معه .

فى منتصفه (٢٨ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصل الحجاج مع أمير الحج مصطفى بيك . وحصل للحجاج فى هــذه السنة مشقة عظيمة من الغــلاء وقيــام العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة . ولم يزوروا المدينة المنورة — عــلى صاحبها أفضل الصلاة وأزكى الســلام — لمنــع السبل ، وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع ، وانقطع منهم جانب عظيم ، ومنهــم من نزل فى المراكب الى القلزم وحضر من السويس الى القصير ، ولم يبق الا أمير الحج وأتباعه . ووقفت العربان لحجاج المغاربة فى سطح العقبة ، وحصروهم هناك ، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا نحو عشرة أنفار .

وفى أثناء نزول الحج وخروج الأمــراء لملاقاة أمير الحج ، هرب ابراهيم بيك الوالى — وهــو أخــو سليمان بيك الأغا — وذهب الى أخيــه بالمنية ، وذهب صحبته من كان بمصر من أتبــاع أخيه . وسكن الحال أياما .

وفى أواخره (يناير ١٧٨٥ م) :

سافر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير بسبب تجديد الصلح . فلما وصلوا الى بنى سويف، حضر اليهم سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الأشقر باستدعاء منهم ثم أجاب ابراهيم بيك الى الصلح ، ورجعوا جميعا الى المنية .

ربيع الأول

في أوائله (يناير ١٧٨٥ م) :

حضر حسن أغا بيت المال بمكاتبات بذلك . وفى أثر ذلك حضر أيوب بيك الصغير وعثمان بيك الأشقر ، فقابلا مراد بيك ، وقدم مراد بيك لعثمان بيك تقادم . ثم رجع أيوب بيك الى المنية ثانية .

ربيع الآخر

فى ٤ منه (١٤ فبراير ١٧٨٥ م) :

وصل ابراهيم بيك الكبير — ومن معه من الأمراء — الى معادى الخبيرى بالبر الغربى . فعدى اليه مراد بيك وباقى الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وسلموا عليه ، ورجعوا الى مصر ، وعدى فى اثرهم ابراهيم بيك .

فى ٥ منه (١٥ فبراير ١٧٨٥ م) :

حضر ابراهيم بيك الى مصر ، ودخل الى بيته ، وحضر اليه فى عصريتها مراد بيك فى بيته ، وجلس معه حصة طويلة .

فى ١٠ منه (٢٠ فبراير ١٧٨٥ م) :

عمل الديوان ، وحضرت لابراهيم بيك الخلع من الباشا فلبسها بحضرة مراد بيك والأمراء والمشايخ وعند ذلك قام مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية الأمراء ، وتقلد على أغا كتخدا الجاويشية كما كان ، وتقلد على أغا أغات مستحفظان كما كان . فاغتاظ لذلك قائد أغا الذى كان ولاه مراد بيك ، وحصل له قلق عظيم ، وصار يترامى على الأمراء ويقع عليهم فى رجوع منصبه ، وصار يقول : ان لم يردوا الى منصبى والا قتلت على أغا . وصمم ابراهيم بيك على عدم عزل على أغا ، واستوحش على أغا وخاف على نفسه من قائد أغا . ثم ان ابراهيم بيك قال : ان عزل على أغا لا يتولاها قائد أغا أبدا . ثم انهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين ، وقطع منها أمل قائد أغا ، وما وسعه الا السكوت .

جمادى الآخرة

فى أوائله (ابريل ١٧٨٥ م) :

طلب عثمان بيك الشرقاوى ولاية جرجا فلم يرض ابراهيم بيك وقال له : « نحن نعطيك كذا من المال واترك ذلك ، فان البلاد خراب وأهلها ماتوا من الجوع » .

منتصفه (٢٥ ابريل ١٧٨٥ م) :

خرج عثمان بيك المذكور ، بمماليكه وأجناده ، مسافرا الى الصعيد بنفسه ، ولم يسمع لقولهم ، ولم يلبس تقليدا لذلك على العادة ... فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع .

الخميس ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٥ م) :

مات على بيك أباظة الابراهيمى فانزعج عليه ابراهيم بيك ، وكان الأمراء خرجوا بأجمعهم الى ناحية قصر العينى ومصر القديمة خوفا من ذلك . فلما مات على بيك وكثير من مماليكهم ، داخلهم الرعب ورجعوا الى بيوتهم .

الاحد ٢١ منه (١ مايو ١٧٨٥ م) :

طلعوا الى القلعة ، وخلعوا على لاجين بيك

وجعلوه حاكم جرجا ، ورجع ابراهيم بيك الى بيته أيضا ، وكان اذ ذاك قائمقام .

وفيه : كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ، ونسى الناس أمر الغلاء . وفيه مات سليمان بيك أبو نبوت بالطاعون . وفى منتصف رجب خفه أمر الطاعون .

شعبان

منتصفه (٢٣ يونيه ١٧٨٥ م) :

ورد الخبر بوصول باشا مصر الجديد الى ثغر اسكندرية ، وكذلك باشا جدة .

ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة الاسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار ، فثار العامة وقبضوا على السردار وهانوه وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات .

وفيه : وقعت فتنة بين عربان البحيرة . وحضر منهم جماعة الى ابراهيم بيك وطلبوا منه الاعانة على أخصامهم فكلم مراد بيك فى ذلك ، فركب مراد بيك وأخذهم صحبته ونزل الى البحيرة فتواطأ معه الأخصام وأرشوه سرا ، فركب ليلا وهجم على المستعينين به وهم فى غفلة مطمئنون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، ونهب مواشيهم وابلهم وأغنامهم ، ثم رجع الى مصر بالغنائم .

غايته (٧ يولية ١٧٨٥ م) :

حضر باشا جدة الى ساحل بولاق ، فركب على أغا كتخدا الجاويشية وأرباب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته الى العادلية ليسافر الى السويس .

رمضان

غرته (٨ يوليو ١٧٨٥ م) :

ثار فقراء المجاورين والقاطنين بالأزهر ، وقفلوا أبواب الجامع ، ومنعوا منه الصلوات — وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم .

وكذا أغلقوا مدرسة محمد بيك المجاورة له ، ومسجد المشهد الحسينى ، وخرج العميان والمجاورون يرمحون بالأسواق ويخطفون مايجدونه من الخبز وغيره . وتبعهم فى ذلك الجعيدية وأراذل السوقة . وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة .

واستمروا على ذلك الى بعد العشاء . فحضر سليم أغا أغات مستحفظان الى مدرسة الأشرفية ، وأرسل الى مشايخ الأروقة والمشار اليهم فى السفاهة ، وتكلم معهم ووعدهم ، والتزم لهم باجراء رواتبهم ، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد .

شوال

الاحد ٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٥ م) الموافق ٩ مسرى :

كان وفاء النيل ، وكانت زيادته كلها فى هذه التسعة أيام فقط ، ولم يزد قبل ذلك شيئا ، واستمر بطول شهر أبيب وماؤه أخضر ، فلما كان أول شهر مسرى زاد فى ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذرع . واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذرع الوفاء يوم التاسع .

وفيه : وقع جسر بحر أبى المنجا بالقليوبية ، فعينوا له أميرا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبى الشوارب شيخ قليوب ، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتادا عظيمة ، وغرقوا به نحو خمسة مراكب ، واستمروا فى معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شىء . وكذلك وقع ببحر مويس .

٢٢ منه (٢٨ اغسطس ١٧٨٥ م):

خرج أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل والحجاج .

ذو القعدة

١٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٥ م):

سافر كتخدا الجاويشية وصحبته أرباب الخدم الى الاسكندرية لملاقاة الباشا . والله تعالى أعلم .

سنه ١٢٠٠ هجريه

المحرم

الجمعة أوله (٤ نوفمبر ١٧٨٥):

فى ذلك اليوم وصل الباشا الجديد الى بر انبابة — واسمه محمد باشا يكن — فبات هناك ليلة الجمعة .

وفى الصباح ذهب اليه الأمراء وسلموا عليه على العادة ، وعدوا به الى قصر العينى فجلس هناك الى يوم الاثنين .

الاثنين ٤ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٥ م):

ركب الباشا بالموكب ، وشق من الصليبة ، وطلع الى القلعة ، واستبشر الناس بقدومه .

صفر

الخميس ١٢ منه (١٥ ديسمبر ١٧٨٥):

حضر مبشر الحج بمكاتيب العقبة ، وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضا فى هذه السنة مثل العام الماضى بسبب طمع أمير الحج فى عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة ، وأن أحمد باشا أمير الحج الشامى أكد عليه فى الذهاب وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة ، فاعتل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة فى العام الماضى وهذا العام . واستمر على امتناعه .

وحضر الشريف سرور ، شريف مكة ، وكلمه بحضرة أحمد باشا وقال : « اذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء ، وتضع عليه خطك وختمك ... وللسلطان النظر بعد ذلك » . فأجاب الى ذلك ، ووضع خطه وختمه ، وسار متوجها الى الديار المصرية . ووقع الضجيج والعويل فى الحجاج لعدم زيارتهم المدينة . فلما وصل الجاويش بهذه الأخبار اغتم الناس ، وأظهر ابراهيم بيك الغيظ على أمير الحج ، وحلف لايخرج الى ملاقاته وأرسل الى مراد بيك — وكان بالقصر جهة العادلية — فأحضره وقال له كذلك ، ثم اختلوا مع بعضهم فى العشية وتحدثوا بالنجوى بينهم ، وحضر اليهم الجاويش فى صبحها فخلعوا عليه كالعادة ، ورجع بالملاقاة ، وخرج الأمراء فى ثانى يوم الى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم .

الاثنين ١٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٥):

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر ، ونزل أمير الحج بالحنلاطية بباب النصر ، ولم ينزل بالحصوة أولا على العادة .

الثلاثاء ١٧ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٨٥):

دخل أمير الحج بالمحمل بموكب دون المعتاد ، وسلم المحمل الى الباشا .

الاربعاء ١٨ منه (٢١ ديسمبر ١٧٨٥ م):

اجتمع الأمراء ببيت ابراهيم بيك ، وأحضروا مصطفى بيك أمير الحج ، وتشاجر معه ابراهيم بيك ومراد بيك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال ، وادعوا عليه أنه تسلم جميع الملائل ، وطلبوا منه حساب ذلك ، وقالوا له : « فضحتنا فى مصر وفى الحجاز وفى الشام وفى الروم وجميع الدنيا » . واستمروا على ذلك الى قرب المساء .

ثم ان مراد بيك أخذ أمير الحج الى بيتــه فبات عنده .

وفى صبحها حضر ابراهيم بيك عند مراد بيك ، وأخذ أمير الحج الى بيته ووضعه فى مكان محجورا عليه ، وأمر الكتاب بحسابه فحسابوه فاستقر فى طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف ، وذلك خلاف ما على طرفه من الميرى .

الجمعة ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٧٨٥) :

طلع ابراهيم بيك الى القلعة وأخبر الباشا بما حصل ، وأنه حبسه حتى يوفى ما استقر بذمته ، فاستمر أياما وصالح وذهب الى بيته مكرما .

وفى ذلك اليوم — بعد صلاة الجمعة — ضج مجاورو الأزهر بسبب أخبازهم ، وقفلوا أبــواب الجامع ، فحضر اليهم سليم أغا والتزم لهم باجراء رواتبهم بكرة تاريخه ، فســكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثانى يوم فلم يأتهم شىء فأغلقوه ثانيــا وصعدوا على المنارات يصيحون ، فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطلوبات وأجرى لهم الجراية أياما ثم انقطع ذلك . وتكرر الغلق والفتح مرارا .

وفى ليلة خروج الأمراء الى ملاقاة الحجاج ، ركب مصطفى بيك الاســكندرى وأحمــد بيك الكلارجى وذهبا الى جهة الصعيد ، والتفوا على عثمان بيك الشرقاوى ولاجين بيــك ، وتقاسموا الجهات والبلاد ، وأفحشوا فى ظلم العباد .

ربيع الأول

منتصفه (١٦ يناير ١٧٨٦ م) :

شرع مراد بيك فى السفر الى جهة بحرى بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق ، فسافر . وسمع بحضوره المذكوران فهربا فأحضر ابن حبيب وابن حمــد وابن فودة وألزمهم باحضـــارهما فاعتذروا اليه ، فحبسهم ثم أطلقهم على مال ... وذلك بيت القصيد ! وأخذ منهم رهائن ثم سار الى طملوها وطالب أهلها برسلان ، وقال لهم انه يأوى عندكم ، ثم نهب القرية وسلب أموال أهلها وسبى نساءهم وأولادهم ، ثم أمر بهدمها وحرقها عن آخرها . ولم يزل ناصبا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدما وحرقا وجرفها بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض ، وفرق كشافه فى مدة اقامته عليها فى البلاد والجهات لجبى الأموال ، وقرر على القرى ما سولته له نفسه ، ومنــع من الشفاعة وبث المعينين لطلب الــكلف الخارجة عن المعقول ، فاذا استوفوها طلبوا حق طرقهم ، فاذا استوفوها طلبوا المقرر ... وكل ذلك طلبا حثيثا والا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها .

ولم يزل فى سيره على هذا النسق حتى وصل الى رشيد ، فقرر على أهلها جملة كبيرة من المــال وعلى التجار وبياعين الأرز ، فهرب غالب أهلها . وعين على الاسكندرية صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقا ، وقرر له حق طريقه خمســة آلاف ريال . وطلب من أهل البلد مائة ألف ريال . وأمر بهــدم الكنائس . فلما وصــل الى الاســكندرية هرب تجارها الى المراكب وكذلك غالب النصارى ، فلم يجد الا قنصل الموسقو فقال : « أنا أدفع لــكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسب به سلطانكم ». فانكف عن ذلك ، وصالحوه على كراء طريقه ، ورجع ، وارتحل مراد بيك من رشيد . ولما وصل الى جميجون هدمها عن آخرها ، وهدم أيضا كفر دسوق ، واستمر — هو ومن معه — يعبثون بالأقاليم والبلاد حتى أخربوها وأتلفوا الزروعات !!

غرته (٢ مارس ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بقدومه الى زنكلون ، ثم ثنى عنانه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية والغربية . وأما صناجقه الذين تركهم بمصر فانهم تسـلطوا على مصـادرات الناس فى أموالهم — وخصـوصا حسين بيك المعروف بشفت (بمعنى يهودى) — فانه تسلط على هجم البيوت ونهبها بأدلى شبهة .

وفى عصر هذا اليوم :ركب حسين بيك المذكور بجنوده وذهب الى الحسينية وهجم على دار شخص، يسمى أحمد سالم الجزار متولى رياسة دراويش الشيخ البيومى ، ونهبه — حتى مصاغ النسـاء والفراش — ورجع ... والناس تنظر اليه !

وكذلك أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا محمود بن حسن محرم ، فـلاطفهم وأرضـاهم بدراهم ، وركب الى ابراهيم بيك فأرسـل له كتخداه وكتخدا الجاويشية فتلطفوا به وأخذوا خاطره وصرفوه عنه ، وعبى له الخواجا هدية بعد ذلك وقدمها اليه .

الجمعة ٢ منه (٣ مارس ١٧٨٦ م) :

فى الصـباح ثارت جماعة من اهالى الحسينية بسبب ماحصل فى امس من حسين بيك ، وحضروا الى الجـامع الأزهر ومعهم طبول ، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبابيت ومسـاوق وذهبوا الى الشـيخ الدردير فونسهم وسـاعدهم بالـكلام ، وقال لهم : « أنا معكم» . فخرجوا من نواحى الجامع وقفلوا أبوابه وصـعد منهم طائفة الى أعلى المنـازل يصيحون ويضربون بالطبول ، وانتشروا بالأسواق فى حالة منكرة وأغلقوا الحوانيت. وقال لهم الشيخ الدردير :

« فى غـد نجمع أهالى الأطراف، والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ، وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنـا ، ونموت شـهداء أو ينصرنا الله عليهم » .

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظان، ومحمد كتخدا أرنؤود الجلفى كتخدا ابراهيم بيك ، وجلسوا فى الغورية ، ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقالوا للشيخ : « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها من محل ما تكون » .

واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة وانصرفوا .

وركب الشـيخ فى صبحها الى ابراهيم بيك ، وأرسل الى حسين بيك فأحضره بالمجلس وكلمـه فى ذلك ، فقال فى الجواب : « كلنا نهابون ! وأنت تنهب ، ومراد بيك ينهب ، وأنا أنهب كذلك ! » . وانفض المجلس وبردت القضية ! !

وفى عقبها بأيام قليلة : حضر من ناحية قبـلى سفينة وبها تمر وسمن وخلافه ، فأرسل سليمان بيك الأغا وأخذ ما فيها جميعه وادعى أن له عنـد أولاد وافى مالا منكسرا . ولم يـكن ذلك لأولاد وافى وانما هو لجماعة يتسببون فيه من مجاورى الصعايدة وغيرهم ، فتعصب مجاورو الصـعايدة وأبطلوا دروس المدرسين ، وركب الشيخ الدردير والشيخ العروسى والشيخ محمد المصيلحى وآخرون وذهبوا الى بيت ابراهيم بيك وتكلموا معه بحضرة سليمان بيك كلاما كثيرا مفحما ، فاحتج سليمان بيك بأن ذلك متاع أولاد وافى وأنا أخذته بقيمته من أصل مالى عندهم . فقالوا : « هـذا لم يكن لهم ، وانما هو لأربابه ، وهم ناس فقراء . فان كان لك عند أولاد وافى شىء فخذه منهم » . فرد بعضه وذهب بعضه !

١٠ منه (١١ مارس ١٧٨٦ م) :

قدم مراد بيك من ناحيـة الشرق . ودخل فى ليلتها من المنهوبات من الجمال والأغنام والأبقار والجواميس وغير ذلك شيء كثير يجل عن الحصر !

وفيه : سافر أيوب بيك الى ناحية قبلى لمصالحة الأمراء الغضاب، وهم : مصطفى بيك ، وأحمد بيك الـكلارجى ، وعثمان بيك الشرقاوى ، ولاجين بيك ... لأنهم بلغوا قصدهم من البـلاد وظلم العباد !

جمـادى الآخرة

منتصفه (١٥ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى من ناحية قبلى .

وفيه : أنعم مراد بيك على بعض كشافه بفردة دراهم على بلاد المنوفية ... كل بلد مائة وخمسون ريالا .

وفيه : اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدى أحمد البدوى المعتاد المعروف بمولد الشرنبابليه . وحضر كاشف الغربية والمنوفية على جارى العادة ، وكاشف الغربيـة من طرف ابراهيـم بيك الوالى المولى أمير الحج ، فحصل منه عسف ، وجعل على كل جمل يباع فى سوق المولد نصف ريال فرانسة. فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم ... وكان ذلك فى آخر أيام المولد . فذهبوا الى الشيخ الدردير — وكان هناك بقصد الزيارة — وشكوا اليه ماحل بهم ، فأمر الشـيخ بعض أتباعه بالذهاب اليه ، فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف ، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة .

فلما وصـل الى خيمة كتخدا الكاشف دعاه فحضر اليه — والشيخ راكب على بغلته — فكلمه ووبخه وقال له « أنتم ماتخافوا من الله ! » .

ففى أثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم على الكتخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت . فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبابيتهم وعصيهم وقبضوا عـلى السيد أحمـد الصافى تابع الشيخ وضربوه عدة نبابيت ، وهاجت الناس على بعضهم ، ووقع النهب فى الخيم وفى البلد ، ونهبت عدة دكاكين ، وأسرع الشـيخ فى الرجوع الى محله ، وراق الحال بعد ذلك (١) .

وركب كاشف المنوفيـة — وهو من جماعة ابراهيم بيك الكبير — وحضر الى كاشف الغربية ، وأخذه وحضر به الى الشيخ ، وأخذوا بخاطره ، وصالحوه ونادوا بالأمان .

وانفض المولد ورجع النـاس الى أوطانهم ، وكذلك الشيخ الدردير . فلما استقر بمنزله حضر اليه ابراهيم بيك الوالى وأخذ بخاطره أيضـا ، وكذلك ابراهيم بيك الكبير وكتخدا الجاويشية .

فى ١٧ منه (١٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

ركب حسين بيك الشفت وقت القائلة وحضر الى بيت صغير بسوق المـاطيين وصحبته امرأة ، فصعد اليه ، ونقب فى حائط ، وأخرج منه برمـة مملوءة ذهبا ... فأخذها وذهب .

وخبر ذلك أن هذا البيت كان لرجل زيات فى السنين الخالية ، فاجتمعت لديه هـذه الدنانير ، فوضعها فى برمة من الفخار وأفرج لها نقبا فى كتف الحائط ووضعها فيه ، وبنى عليها وسواها بالجبس . وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر اليه . ومات ذلك الرجل ، وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذى اشتراها .

وتداولت الأعوام ، وآل البيت الى وقف المشهد الحسنى ، وسكنه النـاس بالأجرة ، ومضى على

(١) من الجلى أن الشعب كان مليء الصدر بالحفيظة والحنق والغضب على هذا الفساد . وواضح انه كان يحاول — بين الحين والحين — الانتقاض على ذلك الحكم الجائر . ولكن هبوط مستوى الوعى العام ، وعـدم وجود زعامة تلتف حول رايتهـا فـكرة الجماعة ... كانا سببا فى انطفاء الثورات فور اشتعالها .

ذلك نحو الأربعين عاما وتلك المرأة تتخيل ذلك فى ذهنها وتكتمه ولا يمكنها الوصول الى ذلك المكان بنفسها . وقلت ذات يدها واحتاجت ، فذهبت الى حريم حسين بيك المذكور وعرفتهن القضية . وأخبر الأمير بذلك فقال : « لعل بعض الساكنين أخذها » . فقالت : « لايعرفها أحد غيرى » . فأرسل الى ساكن الدار وأحضره وقال له : « أخل دارك فى غد وانتظرنى ولا تفزع من شيء » . ففعل الرجل ، وحضر الصنجق وصحبته المرأة ، فأرته الموضع فنقبوه وأخرجوا منه تلك البرمة ، وأعطى صاحب المكان « احسانا » ، وركب وصاحب المكان يتعجب !

وركب أيضا قبل ذلك وذهب الى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقى أبو قليطة لبلا ، وأخذ منه صندوقا مودعا عنده أمانة لنصر بن شديد البدوى شيخ عرب الحويطات يقال ان فيه شيئا كثيرا من الذهب العين وغيره .

وهجم أيضا على بيت بالقرب من المشهد الحسينى فى وقت القائلة ، وكان ذلك البيت مقفولا وصاحبه غائب ، فخلع الباب وطلع اليه وأخذ منه عشرة أكياس مملوءة ذهبا وخرج وأغلق الباب كما كان ، وركب هو ومماليكه والأكياس فى أحضانهم على قرابيس سروج الخيل ، وهو بجملتهم يحمل كيسا أمامه والناس تنظرهم !

فى ٢٠ منه (٢٠ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر أيوب بيك ولاجين بيك وأحمد بيك من ناحية قبلى ، ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشى . وتأخر مصطفى بيك .

٢٧ منه (٢٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

هبت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالا وأتربة مع غيم مطبق ، وأظلم منها الجو ، واستمرت من الظهر الى الغروب .

٢٩ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى بيك أيضا .

وفى هذا الشهر نقب الشطار حاصلا فى وكالة المسايرة التى بباب الشعرية ، وكان بظهر الحاصل المذكور قهوة متخربة ، فتسلق اليها بعض الحرامية ، ونقبوا الحاصل ، وأخذوا منه صندوقا فى داخله اثنا عشر ألف بندقى ، عنها ثلاثون ألف ريال فى ذلك الوقت . وفيه من غير جنس البندقى أيضا ذهب ودراهم وثياب حرير وطرح النساء المحلاوى التى يقال لها « الحبر » .

وبعد أيام قبضوا على رجلين ، أحدهما فطاطرى والآخر مخللاتى — بتعريف الخفراء ، بعد حبسهم ومعاقبتهم — فأخذوا منهما شيئا واستمرا محبوسين .

رجب

غرته (٣٠ ابريل ١٧٨٦ م) :

عزم مراد بيك على التوجه الى سد خليج منوف المعروف بالفرعونية ، وكان منذ سنين لم يحبس ، واندفع اليه الشرقى حتى تهور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز .

وفيه : وصلت الأخبار من ثغر الاسكندرية بأنه ورد اليها مركب البيليك ، وذلك على خلاف العادة . ثم حضر عقبه أيضا قليون آخر فيه أحمد باشا والى جدة ، ثم تعقبهما آخر وفيه غلال كثيرة نقلوها الى الثغر وشرعوا فى عمل بقسماط فكثر اللغط بمصر بسبب ذلك .

فى ١٠ منه (٩ مايو ١٧٨٦ م) :

ورد ططرى من البر ، وقابجى من البحر ، ومعهما مكاتبات .

الخميس ١٢ منه (١١ مايو ١٧٨٦ م) :

قرئت المكاتبات بالديوان . ومضمونهـا طلب الخزائن المنكسرة وتشهيـل مرتبات الحرمين من الغـلال والصرر فى السـنين الماضـية ، واللـوم على عدم زيارة المدينة . وفيه الحث والوعد والوعيد والأمر بصرف العلوفات وغلال الأنبار ، وفيه المهلة ثلاثون يوما . فكثر لغط الناس والقال والقيل .

وأشـــيع ورود مراكب أخرى الى ثغـر الاسكندرية ، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضا فى أثر ذلك وصحبته عساكر محاربون .

وفيه : حضر معلم ديوان الاسكندرية . قيل انه هرب ليلا .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل ستحث مراد بيك فى الحضور من سد الفرعونية ، ثم بعث اليه على أغا كتخدا جاووجان ، والمعـلم ابراهيم الجوهرى ، وسـليمان أغا الحنفى ، وحسن كتخدا الجربان ، وحسن أفندى شقبون كاتب الحوالة سابقا وأفندى الديوان حالا ... فأحضروه الى مصر يوم الثلاثاء ولم يتم سد الترعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسى حديد وأخشاب آخذوها من أربابها من غير ثمن ، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها ... وذهب ذلك جميعه من غير فائدة ثم ان الأمراء عملوا جمعيات ودبوانا ببيت ابراهيم بيك وتشاوروا فى تنجير الأوامر . وفى أثناء ذلك تشحطت الغلال ، وارتفع القمح من السواحل والعرصات ، وغـلا سـعره وقل وجوده حتى امتنـع بيع الخبز من الأسواق ، وأغلقت الطوابين فنزل سلم أغا ، وهجم المخازن ، وأخرج الغلال ، وضرب القماحين والمتسببين ومنعهم من زيادة الأسعار ، فظهر القمح والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل .

* * *

وفى هذا الشهر — أعنى شهر رجب — حصلت عدة حريقات ، منهـا حريقتان فى ليلة واحـدة : احداهما بالأزبكية ، والأخرى بخطتنا بالصنادقية .

وظهرت النار من دكان رجل صنادقى — وهى مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة — عند خان الجبلاية . فرعت النار فى الأخشاب ووجدت فى ساعة واحدة ، وتعلقت بشبابيك الدور ، وذلك بعد حصة من الليل .

وهاج الناس والسكان ، وأسرعوا بالهدم وصب المياه ، وأحضر الوالى السقايين حتى طفئت .

* * *

وفيه أيضا أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له الشيخ على البكرى ، مشهور ومعتقد عند العوام .

وهو رجل طويل ، حليق اللحية ، يمشى عريان ، وأحيانا يلبس قميصا وطاقية ، ويمشى حافيـا ... فصارت هذه المرأة تمشى خلفه أينما توجه ، وهى بإزارها ، وتخلط فى ألفاظها ، وتدخل معـه الى البيوت ، وتطلع الحريمات .

واعتقدها النساء ، وهادوها بالدراهم والملابس ، وأشاعوا أن الشيخ « لحظها » وجذبها ، وصارت من الأولياء !

ثم ارتقت فى درجات الجذب ، وثقلت عليهـا الشربة ، فكشفت وجهها ، ولبست ملابس كالرجال . ولازمته أينما توجه ، ويتبعها الأطفال والصغار وهوام العوام .

ومنهم من اقتدى بها أيضـا ، ونزع ثيابه وتحنجل فى مشيه ! وقالوا انه اعترض على الشيخ والمرأة ، فجذبه الشيخ أيضا ، أو أن الشيخ لمسه فصار من الأولياء !

وزاد الحال ، وكثـر خلفهم أوباش النـاس والصغار ، وصاروا يخطفون أشياء من الأسواق ، ويصير لهم فى مرورهم ضجة عظيمة !

واذا جلس الشيخ فى مكان وقف الجميـع ،

وازدحم الناس الفرجة عليه . وتصعد المرأة على دكان أو علوة ، وتتكلم بفاحش القول ، ساعة بالعربى ، ومرة بالتركي ... والناس تنصت لها ، ويقبلون يدها ! ويتبركون بها ! وبعضهم يضحك ، ومنهم من يقول : الله ... الله ... وبعضهم يقول : دستور ياأسيادى ! .. وبعضهم يقول : لا تعترض بشيء ...

فمر الشيخ فى بعض الأوقات — على مثل هذه الصورة والضجة — ودخلوا من باب بيت القاضى الذى من ناحية بين القصرين . وبتلك العطفة سكن أحد الأجناد يقال له جعفر كاشف ، فقبض على الشيخ ، وأدخله الى داره ، ومعه المرأة وباقى المجاذيب ، فأجلسه وأحضر له شيئا يأكله ، وطرد الناس عنه ، وأدخل المرأة والمجاذيب الى الحبس ، وأطلق الشيخ لحال سبيله ، وأخرج المرأة والمجاذيب فضربهم ، وعذرهم ، ثم أرسل المرأة الى المارستان ، وربطها عند المجانين ، وأطلق باقى المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم ... وطارت الشربة من رؤوسهم !

وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم . واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شيخة على انفرادها ، ويعتقدها الناس والنساء ، وجمعت عليها الجمعيات وموالد وأشباه ذلك !

***

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم فى بلادهم ، وحصل عندهم أيضا قحط وغلاء فى الأسعار .

شعبان

٢ منه (٣١ مايو ١٧٨٦ م) :

ركب سليم آغا فى عصريته الى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذى بسوق السلاح ، وأحضر معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود — وهو الباب الكبير الذى من ناحية سوق السلاح — فهدموا الدكاكين التى حدثت أسفله والبناء الذى بصدر الباب . وكانت مدة سده فى هذه المرة احدى وخمسين سنة ، وكان سببها المقتلة التى قتل فيها الأحد عشر أميرا ببيت محمد بيك الدفتردار فى سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) .

وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا فى شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين فى الدخول اليه من باب الرميلة . وربما فاتهم حضور الجماعة فى مسافة الذهاب ، وأن الأسباب التى سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت ، فاستأذن سليم أغا ابراهيم بيك ومراد بيك فى فتحه فأذنا له ففتحه وصنع له بابا جديدا عظيما ، وبنى له سلالم ومصاطب ، وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه ، ويأتى هو فى كل يوم يباشر العمل بنفسه ، وعمروا ماتشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه ، وظهر بعد الخفاء ، وازدحم الناس للصلاة فيه ، وأتوا اليه من الأماكن البعيدة .

٥ منه (٤ يونيه ١٧٨٦ م) :

توفى مصطفى بيك المرادى المجنون .

فى ٢٠ منه (١٨ يونيه ١٧٨٦ م) :

كثر الارجاف بمجيء مراكب الى الاسكندرية وعساكر وغير ذلك .

رمضان

٥ منه (٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكاتبة بالحث على المطلوبات ، فطلع الأمراء الى القلعة ليلا واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلاما كثيرا ، وقال مراد بيك للباشا : « ليس لكم

عندنا الا حساب . أمهلونا الى بعد رمضان ، وحاسبنا على جميع ما هو فى طرفنا .. نورده . وأرسل الى من وصل الى الاسكندرية يرجعون الى حيث كانوا ، والا فلا نشهل حجا ولا صرة ولا ندفع شيئا ... وهذا آخر الكلام » .

كل ذلك وابراهيم بيك يلاطف كلا منهما . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ ويذكر فيه أنهم أقلعوا وتابوا ورجعوا من المخالفة والظلم والطريق التى ارتكبوها ، وعليهم القيام باللوازم ، وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة ، وقدرها ثلثمائة وخمسون كيسا . وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيوتهم .

ليلة ٧ منه (٤ يوليو ١٧٨٦ م) :

جمع ابراهيم بيك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق ، وشرعوا فى كتابة العرضحالات ، أحدها للدولة وآخر اقبطان باشا ، بالمهلة حتى يأتى الجواب ، وآخر لباشة جدة الذى فى الاسكندرية .

وفى صبحها : وردت مكاتبة من أحمد باشا الجزار يخبر فيها بالحركة والتحذير وأخبار بورود مراكب أخرى بالاسكندرية ومراكب وصلت الى دمياط ... فزاد اللغط والقال والقيل .

وفيه : ركب سليمان أغا مستحفظان ونادى فى الأسواق على الأروام والقليونجية والأتراك بأنهم يسافرون الى بلادهم . ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل .

وفيه : اتفق رأى ابراهيم بيك ومراد بيك أنهم يرسلون لاجين بيك ومصطفى بيك السلحدار الى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهنادى ويطلبون أحمد باشا والى جدة ليأتى الى مصر ويذهب الى منصبه .

١٠ منه (٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا فى هذه الليلة .

وفيها : ركب ابراهيم بيك بعد الافطار وذهب الى مراد بيك وجلس معه ساعة ثم ركبا وطلعا الى القلعة ، وطلع أيضا المشايخ باستدعاء من الأمراء وهم : الشيخ البكرى والشيخ السادات والشيخ العروسى والشيخ الدردير والشيخ الحريرى ... وقابلوا الباشا وعرضوا عليه العرضحالات . وكان المنشى لبعضها الشيخ مصطفى الصاوى وغيره ، فأعجبهم انشاء الشيخ مصطفى وأمروا بتغيير ماكان من انشاء غيره . وانخضع مراد بيك فى تلك الليلة للباشا جدا ، وقبل آتكه وركبتيه ويقول له : « باسلطانم ! نحن فى عرضك فى تسكين هذا الأمر ودفعه عنا ، ونقوم بما علينا ونرتب الأمور وننظم الأحوال على القوانين القديمة » . فقال الباشا « ومن يضمنكم ويتكفل بكم ؟ » . قال : « أنا الضامن لذلك ، ثم ضمانى على المشايخ والاختيارية » .

١٣ منه (١٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان الى ثغر الاسكندرية . وكان وصوله يوم عاشره (٧ يوليو ١٧٨٦) قبل العصر وصحبته عدة مراكب ، فزاد الاضطراب وكثر اللغط فتمموا أمر العرضحالات وأرسلوها صحبة سلحدار الباشا والططرى وواحد أغا ، ودفعوا لكل فرد منهم آلف ريال وسافروا من يومهم .

وفيه : وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادى والبحيرة ذهبوا الى الاسكندرية وقابلوا أحمد باشا الجداوى فألبسهم خلعا وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمنهور .

وفيه : حضرت صدقات من مولاى محمد ، صاحب المغرب ، ففرقت على فقراء الأزهر ، وخدمة الأضرحة والمشايخ المفتين ، والشيخ البكرى ،

والشيخ السادات ، والعريين ... على يد الباشا ، بموجب قائمة ومكاتبة .

١٥ منه (١٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى جربجى باش سراجين مراد بيك سابقا وسردار ثغر رشيد حالا . وكان السبب فى حضوره أنه حضر الى رشيد أحد القباطين وصحبته عدة وافرة من العسكر ، فطلع الى بيت السردار المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطابا للأمراء بمصر وأمره بالتوجه بها فحضر بتلك المكاتبة مضمونها التطمين ببعض ألفاظ .

وفيه : اتفق رأى الأمراء على ارسال جماعة من العلماء والوجاقلية الى حسن باشا ، فتعين لذلك الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريرى . ومن الوجاقلية اسماعيل أفندى الخلوتى وابراهيم أغا الوردانى . وذهب صحبتهم أيضا سليمان بيك الشابورى . وأرسلوا صحبتهم مائة فرق بن ، ومائة قنطار سكر ، وعشر بقج ثياب هندية ، وتفاصيل وعودا وعنبرا وغير ذلك .

١٨ منه (١٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا على أنهم يجتمعون به ويكلمونه ويسألونه عن مراده ومقصده ، ويذكرون له امتثالهم وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من أفاعيلهم ، ويذكرونه حال الرعية وما توجبه الفتن من الضرر والتلف .

١٩ منه (١٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر تفكجى باشا من طرف حسن باشا وذهب الى ابراهيم بيك وأفطر معه وخلع عليه خلعة سمور وأعطاه مكاتبات ، وكان صحبته محمد أفندى حافظ من طرف ابراهيم بيك أرسله الأمراء قبل ذلك بأيام عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال . ثم ان ذلك التفكجى جلس مع ابراهيم بيك حصة من الليل وذهب الى محله ، وحضر على أغا كتخدا الجاويشية فركب مع ابراهيم بيك وطلعا الى الباشا فى سادس ساعة من الليل ، ثم نزلا وسافر التفكجى فى صبحها وصحبته الحافظ .

وكان فيما جاء به ذلك التفكجى طلب ابراهيم بيك أمير الحج ، فلم يرض بالذهاب وقال أيضا لابراهيم بيك : « ان حضرة الباشا بلغه أنكم تستعدون للحرب ، ونصبتم مدافع وغير ذلك ، وأنا لم أر شيئا من ذلك » .

فقال له ابراهيم بيك : « معاذ الله اننا نحارب رجال دولة سلطاننا أو نعصى عليه ولا يليق ذلك » .

فقال : « انكم أرسلتم تقولون له أنكم تبتم ورجعتم عن الأفعال المتقدمة ، ثم انكم أرسلتم أمراء منكم ينهبون البلاد ويطلبون الكلف الزائدة — ومن جملتها أردبا بن ... والبن لا يطلع الا فى بلاد اليمن ! » . فقال له : « هذا كلام المنافقين » .

وكان لاجين بيك ومصطفى بيك — لما سافرا للمحافظة بعد التوبة بيومين — فعلوا أفاعيلهم بالبلاد ، وطلبوا هذه الكلف ، وحرقوا وردان ... فضجت أهالى البلاد . وذهبوا الى عرضى حسن باشا وشكوا مانزل بهم ، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ، وأرسل مع ذلك التفكجى العتاب واللوم فى شأن ذلك ويقول لهم : « أرسلوا لهم وارفعوهم عن خلق الله تعالى » ... فلم يفعلوا .

وفى تلك الليلة : ذهب سليم أغا الى ناحية باب الشعرية وقبض على الحافظ اسحاق وأخذه على صورة أرباب الجرائم من أسافل الناس ، وذهب به الى بولاق ، فلحقه مصطفى بيك الاسكندرانى ورده .

٢١ منه (١٨ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بورود حسن باشا الى ثغر رشيد يوم سادس عشره (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربى وأرسلها الى مشايخ البلاد وأكابر العربان والمقادم ، وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفا فضة لاغير ، وذلك من نوع الخداع والتحيل وجذب القلوب ، ومثل قولهم أنهم يقرروا مال الفدان سبعة أنصاف ونصف نصف، حتى كادت الناس تطير من الفرح ، وخصوصا الفلاحين لما سمعوا ذلك ، وأنه يرفع الظلم ويمشى على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك .

وكان الناس يجهلون أحكامهم ... فمالت جميع القلوب اليهم وانحرفت عن الأمراء المصرية وتمنوا سرعة زوالهم .

وصورة ذلك الفرمان — وهو الذى أرسل الى أولاد حبيب من جملة ما أرسل :

« صدر هذا الفرمان الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، من ديوان حضرة الوزير المعظم ، والدستور المكرم ، عالى الهمم ، وناصر المظلوم على من ظلم ، مولانا العزيز ، غازى حسن باشا ، صارى عسكر السفر البحرى المنصور حالا ، ودونانمه همايون ، أبدت سادته السنية ، وزادت رتبته العلية ... الى مشايخ العرب أولاد حبيب بناحية دجوة ، وفقهم الله تعالى ...

« نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان — نصره الله — ماهو واقع بالقطر المصرى من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس ، وأن سبب هذا خائنو الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما ، فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان — أيده الله — بعساكر منصورة بحرا لدفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين ، وتعين عليهم عساكر منصورة برا بسارى عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله .

« وقد وصلنا الى ثغر اسكندرية ثم الى رشيد فى ١٦ رمضان (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، فحررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا وتقابلونا وترجعوا الى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء الله تعالى .

« فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعتمدوه . والحذر ثم الحذر من المخالفة .. وقد عرفناكم » .

***

ثم ان الأمراء زاد قلقهم واجتمعوا فى ليلتها ببيت ابراهيم بيك وعملوا بينهم مشورة فى هذا الأمر الذى دهمهم ، وتحققوا اتساع الخرق ، والنيل آخذ فى الزيادة .

فعند ذلك تجاهروا بالمخالفة ، وعزموا على المحاربة . واتفق الرأى على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بيك ، فيذهبون الى جهة فوة ، ويمنعون الطريق ، ويرسلون الى حسن باشا مكاتبات بتحرير الحساب والقيام بغلاق المطلوب ، ويرجع من حيث أتى . فان امتثل والا حاربناه ، وهذا آخر الكلام .

ثم جمعوا المراكب ، وعبوا الذخيرة والبقسماط ، وذلك كله فى يوم الثلاثاء والأربعاء . ونقلوا عزالهم ومتاعهم من البيوت الكبار الى أماكن لهم صغار جهة المشهد الحسينى والشنوانى والأزهر ، وعطلوا القناديل والتعاليق المعدة لمهرجان رمضان . وزاد الارجاف ، وكثر اللغط ، ولاحت عليهم لوائح الخذلان ، ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم ... كما قيل : مصائب قوم عند قوم فوائد ...

٢٤ منه (٢١ يوليو ١٧٨٦ م) :

خرج مراد بيك والأمراء المسافرون معه الى ناحية بولاق ، وبرزوا خيامهم ، وعدوا فى ليلتها الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هنالك .

وتعين للسفر — صحبة مراد بيك — مصطفى

بيك الداوودية الذى عرف بالاسكندرانى ، ومحمد بيك الألفى ، وحسين بيك الشفت ، ويحيى بيك ، وسليمان بيك الأغا ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر .

وركب ابراهيم بيك بعد المغرب وذهب اليهم وأخذ بخاطرهم ورجع ، فأقاموا فى بر انبابة يوم الجمعة ، حتى تكامل خروج العسكر . وأخذ مراد بيك ما احتاجه من ملائل الحج جمالا وبقسماط وغيره ... حتى الذى قبض من مال الصرة .

وأرسلوا فى ليلتها على آغا كتخدا الجاوبشية ، وسليمان آغا الحنفى الى الباشا ، وطلبوا منه الدراهم التى كانوا استخلصوها من مصطفى بيك أمير الحج وأودعوها عند الباشا ، فدفعها لهم بتمامها

٢٦ منه (٢٣ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافر مراد بيك من بر انبابة وأصحب معه سلام أغاسى الباشا ليكون سفيرا بينه وبين قبطان باشا .

٢٨ منه (٢٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

فى ليلتها سافر مصطفى بيك الكبير أيضا ولحق بمراد بيك .

٢٩ منه (٢٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

فى الليل حضر المشايخ ومن معهم من ثغر رشيد ، فوصلوا الى بولاق بعد العشاء ، وباتوا هناك وذهبوا الى بيوتهم فى الصباح ، فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسن باشا ثلاث مرات ... الأول للسلام ، فقابلهم بالاجلال والتعظيم ، وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ، ورتب لهم مايكفيهم من الطعام المهيأ فى الافطار والسحور ، ودعاهم فى ثانى يوم وكلمهم كلمات قليلة .

وقال له الشيخ العروسى : « يا مولانا ... رعية مصر قوم ضعاف ، وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس » .

فقال : « لاتخشوا من شيء . فان أول ما أوصانى مولانا السلطان أوصانى بالرعية ».
وقال : « ان الرعية وديعة الله عندى . وأنا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى » .

فدعوا له بخير ...

ثم قال : « كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران ، وترضوبهم حكاما عليكم يسومونكم بالعذاب والظلم ؟ لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم ؟ » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى بقوله : « يا سلطانم ! هؤلاء عصبة شديدو البأس ويد واحدة » .

فغضب من قوله ونهره وقال : « تخوفنى ببأسهم ؟ » .

فاستدرك وقال : « انما أعنى بذلك أنفسنا ، لأنهم - بظلمهم — أضعفوا الناس » .

ثم أمرهم بالانصراف .

واجتمعوا عليه مرة ثالثة — بعد صلاة الجمعة — فاستأذنوه فى السفر فقال لهم . « فى غد أكتب لكم مكاتبة للرعية تقرأونها على الملأ فى الجامع الأزهر » فقال له الشيخ العروسى : « هذا أمر لايمكننا فعله فى هذا الوقت » . فقبل عذره وقال : « يكفى الاستفاضة » .

ثم تركهم يومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بيك الشابورى وأمرهم بالانصراف ، فودعوه وساروا . وأخفيت تلك المكاتبات .

غايته (٢٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

أرسل الباشا عدة أوراق الى أفراد المشايخ ، وذكر أنها وردت من صدر الدولة . وأما

العرضحالات التى أرسلوها صحبة السلحدار والططرى فانهما لما وصلا الى الاسكندرية واطلع عليهما حسن باشا حجزها ومنع المراسلة الى اسلامبول ، وقال : « أنا دستور مكرم ... والأمر مفوض الى فى أمر مصر » . وسأل السلحدار عن الأوراق التى من صدر الدولة هل أرسلها الباشا الى أربابها . فأخبره أنه خاف من اظهارها ، فاشتد غضبه على الباشا وسبه بقوله : « خائن ، منافق ! »

فلما رجع السلحدار فى تاريخه وأخبر الباشا ... فعند ذلك أرسلها كما تقدم .

شـوال

٢ منه (٢٩ يوليو ١٧٨٦ م) :

أشيع أن مراد بيك ملك مدنية فوة وهرب من بها من العسكر ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وأنه أخذ المراكب التى وجدها على ساحلها ... ثم ظهر عدم صحة ذلك .

٣ منه (٣٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

نزلت الكسوة من القلعة على العادة الى المشهد الحسينى ، وركب ابراهيم بيك الكبير وابراهيم بيك أمير الحج الى قراميدان ، ونزل الباشا كذلك ، وأكد على أمير الحج فى التشهيل ، فاعتذر اليه بتعطيل الأسباب ، فوعده بالمساعدة .

٤ منه (٣١ يوليو ١٧٨٦ م) :

أشاعوا اشاعة مثل الأولى مصطنعة ، وأظهروا البشر والسرور .

وركب ابراهيم بيك فى ذلك اليوم ، وذهب الى الشيخ البكرى ، وعيد عليه ، ثم الى الشيخ العروسى ، والشيخ الدردير .. وصار يحكى لهم ، وتصاغر فى نفسه جدا ، وأوصاهم على المحافظة ، وكف الرعية عن أمر يحدثونه ، أو قومة أو حركة فى مثل هذا الوقت — فانه كان يخاف ذلك جدا ، وخصوصا لما أشيع أمر الفرمانات التى أرسلها الباشا للمشايخ ، وتسامع بها الناس ...

***

وفى وقت ركوب ابراهيم بيك من بيت الشيخ البكرى حصلت زعجة عظيمة ببركة الازبكية وسببها أن مملوكا أسود ضرب رجلا من زراع المقاثىء فجرحه ، فوقع الصياح من رفقائه واجتمع عليهم خلق كثير من الأوباش . وزاد الحال حتى امتلأت البركة من المخلوقات ، وكل منهم سأل عن الخبر من الآخر ، ويختلقون أنواعا من الأكاذيب .

فلما رجع ابراهيم بيك الى داره أرسل من طرد الناس ، وفحصوا عن أصل القضية ، وفتشوا على الضارب فلم يجدوه فأخذوا المضروب فطيبوا خاطره وأعطوه دراهم !

***

وفيه : أرسل مراد بيك بطلب ذخيرة وبقسماط ، وركب أيوب بيك الصغير وذهب الى مصر العتيقة وعثمان بيك الطنبورجى الى بولاق ، ونزلوا جملة مدافع ومنها « الغضبان » و « أبو مايلة » . وكان أيوب بيك هذا متمرضا عدة شهور ومنقطعا فى الحريم ، فعرق وشفى فى ساعة واحدة .

٥ منه (أول أغسطس ١٧٨٦ م)

كان مولد السيد أحمد البدوى ببولاق ، وكراء مشايخ الأشاير المراكب ليسافروا فيها فأخذوها بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ، ووسقوها وأرسلوا منها جملة .

٦ منه (٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

حضرت مراكب من مراكب الغائبين ، وفيها مماليك ومجاريح وأجناد ، وأخبروا بكسرة مراد بيك ومن معه ، وأصبح الخبر شائعا فى المدينة

وثبت ذلك . ورجعت المراكب بما فيها ، وأخبروا عما وقع وهو أنه لما وصل مراد بيك الى الرحمانية فعدى سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الشرقاوى والألفى الى البر الشرقى فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى محله العلويين فأخلوا منها الأروام فدخلوا اليها وملكوها . وأرسلوا الى مراد بيك يطلبون منه الامداد ، فأمر بعض الأمراء بالتعدية اليهم فامتنعوا وقالوا : « نحن لانفارقك ونموت تحت أقدامك » فحنق منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب ثم ركبوا وقصدوا أن يتقدموا الى فوة ، فوجدوا أمامهم طائفة من العسكر ناصبين متارس فلم يمكنهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة التنى ومزارع الأرز ، فتراموا بالبنادق فرمح سليمان بيك فعثر بقناة وسقط فحصلت فيهم ضجة وظنوها كسرة ، فرجعوا القهقرى ودخل الرعب فى قلوبهم ورجعت عليهم العرب ننهبوهم فعدوا الى البر الآخر .

وكان مراد بيك مستقرا فى مكان توصل اليه من طريق ضيقة لاتتسع الا لفارس بمفرده ، فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان ... وداخلهم الخوف وتخيلوا تخيلات !

وما زالوا فى نقض وابرام الى الليل ، ثم أمر بالارتحال فحملوا حملاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا فى سيرهم وأشيع فيهم الانهزام وتطايرت الأخبار بالكسرة ، وتيقن الناس أن هذا أمر الهى ليس بفعل فاعل .

وفيه : حصلت كرشة من ناحية الصاغة . وسببها عبد مملوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحم عليه الحمارة ، ورمحوا خلفه .. فصارت كرشة ! ورمحت الصغار .. فأغلقوا الدكاكين بالأشرفية والغورية والعقادين وغير ذلك .

ثم نبين أن لا شىء ، ففتح الناس الدكاكين !

وفى ذلك اليوم حضر أناس من المماليك مجاريح ، وزاد الارجاف فنزل الباشا وقت الغروب الى باب العزب وأراد ابراهيم بيك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك وأرسل الباشا فطلب القاضى والمشايخ فطلع البعض وتأخر البعض الى الصباح ، وبات السيد البكرى عند الباشا بباب العزب ، وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ .

٧ منه (٣ أغسطس ١٧٨٦ م) :

فى الصباح طلعوا بأجمعهم — وكذلك جماعة الوجاقلية — ونصب الباشا البيرق على باب العزب ونزل جاويش مستحفظان وجاويش العزب وأمامهم القابجية والمناداة على الألضاشات وغيرهم ، وكل من كان طائعا لله وللسلطان يأتى تحت البيرق ، فطلع عليه جميع الألضاشات والتجار وأهل خان الخليلى وعامة الناس ، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر ، والذى لم يجد ثياب زيه استعار ثيابا وسلاحا حتى امتلأت الرميلة وقراميدان من الخلائق ، وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا فى سرعة القدوم ويخبره بما حصل . وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحج وتأتى العساكر البرية ، فاقتضى الحال ولزم الأمر فى عدم التأخر .

وأما ابراهيم بيك فانه اشتغل فى نقل عزاله ومتاعه بطول الليل فى بيوته الصغار ، فلم يترك الا فرش مجلسه الذى هو جالس فيه ، ثم انه جلس ساعة وركب الى قصر العينى وجلس به .

وأما ابراهيم بيك — أمير الحج — فانه طلع الى باب العزب وطلب الأمان ، فأرسل له الباشا فرمانا بالأمان وأذن له فى الدخول .

وكذلك حضر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك الصغير وكتخدا الجاويشية وسليمان بيك الشابورى وعبد الرحمن بيك عثمان وأحمد جاويش المجنون ومحمد كتخدا أزنور ومحمد كتخدا أباظة وجماعة كثيرة من الغز والأجناد وكذلك رضوان بيك بلفيا، فكان كل من حضر لطلب الأمان فان كان من الأمراء الكبار فانه يقف عند الباب ويطرقه ويطلب الأمان ويستمر واقفا حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن له فى الدخول من غير سلاح .. وان كان من الأصاغر فانه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على المصاطب .

فلما تكامل حضور الجميع ، أبرز الباشا خطا شريفا وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدم ذكرها ، وطلب ابراهيم بيك ومراد بيك فقط ، وتأمين كل من يطلب الأمان ، واستمر أمير الحج على منصبه . ثم انه خلع على حسن كاشف — تابع حسن بيك قصبة رضوان — وقلده أغات مستحفظان . وخلع على محمد كتخدا أزنور وقلده الزعامة . وقلد محمد كتخدا أباظة أمين احتساب . ونزلوا الى المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وكذلك نزل الأمراء الى دورهم — ما عدا ابراهيم بيك أمير الحج ، فان الباشا عوقه عنده ذلك اليوم . وكذلك أذنوا للناس بالتوجه الى أماكنهم بشرط الاستعداد والاجابة وقت الطلب . ولم يتأخر الا المحافظون على الأبواب . وأما مراد بيك فانه حضر الى بر انبابة واستمر هناك ذلك اليوم ثم ذهب فى الليل الى جزيرة الذهب وركب ابراهيم بيك ليلا وذهب الى الآثار .

وفى عصر ذلك اليوم : نزل الأغا ونبه على الناس بالطلوع الى الأبواب .

وفيه : حضر سليمان بيك الأغا ، وطلب الأمان ، فأعطوه فرمان الأمان وذهب الى بيته .

وأصبح يوم الخميس فنزلت القابجية ، ونبهت على الناس بالطلوع ... فطلعوا ، واجتمعت الخلائق زيادة على اليوم الأول ، وحضر أهالى بولاق ، ونزل الأغا ، فنادى بالأمن والأمان ...

وفى ذلك اليوم ، قبل العصر ، ركب عثمان خازندار مراد بيك سابقا ، وذهب الى سيده ... وكان من جملة من أخذ فرمانا بالأمان . فلما نزل الى داره أخذ ما يحتاجه وذهب ، فلما بلغ الباشا هروبه ، اغتاظ من فعله .

ثم ان الباشا تخيل من ابراهيم بيك أمير الحج ، فأمره بالنزول الى بيته ، فنزل الى جامع السلطان حسن ، وجلس به ، فأرسل له الباشا بالذهاب الى منزله .. فذهب .

وفى صبح ثانى يوم : ركب سليمان بيك وأيوب بيك الكبير والصغير وخرجوا الى مضرب النشاب ، وركب ابراهيم بيك أمير الحج وذهب الى بولاق وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ فمنعه عسكر المغاربة ، ثم ذهب عند رفقائه بمضرب النشاب .

فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرمانا بالعود ، فطردوا الرسول ومزقوا الفرمان وأقاموا بالمصاطب حتى اجتمعت عليهم طوائفهم وركبوا ولحقوا باخوانهم . فلما حصل ذلك اضطربت البلد وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ، ويضربوا على القلعة ، وغير ذلك من التوهمات .

وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلى أغا خازندار مراد بيك سابقا وصحبتهم جملة من المماليك والعسكر..وهم بالطرابيش وبيدهم مكاحل البندق والقرابينات وفتائلها موقودة ، فوصلوا الى الرميلة ، فضربوا عليهم مدفعين ، فرجعوا الى ناحية الصليبية ونزلوا الى باب زويلة ومروا على الغورية والأشرفية وبين القصرين ، وطلعوا من باب النصر وأمامهم المناداة : أمان واطمئنان ! حكم مارسم ابراهيم بيك ومراد بيك ... وحكم الباشا بطال !!

فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت الناس وحاصوا حيصة عظيمة وكثر فيهم اللغط .

ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة والمحمودية والسلطان حسن ، وأرسل الأغـا فنادى على الالضاشات بالطلوع الى القلعة .

وفى تلك الليلة : ضرب المنسر كفر الطماعين ، ونهبوا منه عدة أماكن ، وقتل بينهم أشـخاص ، وانقطعت الطرق حتى الى بولاق ومصر القديمة ، وصارت التعدية من عند رصيف الخشاب .

وفى يوم السبت ركب ابراهيم بيك وحسين بيك وأتوا الى المناخ أيضا .

وأرادوا أخذ الجمال فمنعهم المغاربة ، وقيل أخذوا منهم جملة . وعربدوا فى ذلك اليوم عربدة عظيمة من كل ناحية ، وأرسل الباشا قبل المغرب فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشاء وباتوا بالسبيل الذى فى رأس الرميلة . وشـدد الباشا فى اجتماع الالضاشات ومن ينتسب للوجاقات فقيل له ان منهم من لايملك قوت يومه ، وسبب تفرقهم الجوع وعدم النفقة .فطلب أغات مستحفظان وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم .

وفيه : عدى مراد بيك من جزيرة الذهب الى الآثار ، وكان ابراهيم بيك ركب الى حلوان وضربها وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركبا من مراكبه .

ولمـا عدى مراد بيك الى البر الشرقى أرسل الى ابراهيم بيك فحضر اليه واصـطلح معه لأن ابراهيم بيك كان مغتاظا منه بسبب سفرته وكسرته، فان ذلك كان على غير مراد ابراهيم بيـك وكان قصـده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضـمين واذا وصل القبطان أخلوا من وجهه ان لم يقدروا على دفعه أو مصالحته ، وتركوا له البـلد ومصـيره الرجوع الى بلاده فيعودون بعد ذلك بأى طريق كان ، وكان ذلك هو الرأى فلم يمتثل مراد بيك وقال : « هذا عين الجبن » . وأخذ فى أسـباب الخروج والمحاربة ، ولم يحصل من ذلك الا ضياع المال والفشل والانهزام الذى لا حقيقة له ... وكان الكائن .

ولمـا اصـطلحا تفرقت طوائفهما يعيشون فى الجهات ويخطفون مايجدونه فى طريقهم من جمال السقائين وحمير الفلاحين ، وبعضهم جلس فى مرمى النشاب ، وبعضهم جهة بولاق ، ونهبوا نحو عشرين مركبا كانت راسية عند الشيخ عثمان ، وأخذوا ماكان فيهـا من الغلال والسمن والأغنام والتمر والعسل والزيت .

١١ منه (٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

زاد تنطيطهم وهجومهم على البـلد من كل ناحية ، ويدخلون أحزابا ومتفرقين . ودخل قائد أغا وأتى الى بيته الذى كان سكن فيه وسـكنه بعده حسن أغا المتولى — وهو بيت قصبة رضوان — فوجد بابه مغلوقا ، فأراد كسره بالبلط فأعياه . وخاف من طارق فذهب الى باب آخر من ناحيـة القربية فضرب عليه الحراس بنـادق فرجع بقهره يخطف كل ماصادفه . ولم يزالوا على هذه الفعال الى بعد الظهر من ذلك اليوم .

واشتد الكرب ، وضاق خناق الناس ، وتعطلت أسبابهم ، ووقع الصياح فى أطراف الحارات من الحرامية والسراق والمناسر نهارا ، والأغا والوالى والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول منها الى المدينة .

وتوقع كل النـاس نهب البلد من أوباشها ، وكل ذلك والمآكل موجودةوالغلال معرمة كثيرةبالرقع ،

ورخصت أسعارها ، والأخباز كثيرة ، وكذلك أنواع الكعك والفطير .

وأشيع وصول مراكب القبطان الى شلقان ، ففرح النـاس وطلعوا المنارات والأسـطحة العالية ينظرون الى البحر ، فلم يروا شيئا ، فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار .

فلما كان بعد العصر سمع صـوت مدافع على بعد ، ومدافع ضربت من القلعة ، ففرحوا واستبشروا وحصـل بعض الاطمئنان . وصـعدوا أيضا على المنارات فرأوا عدة مراكب ونقاير وصلت الى قرب ساحل بولاق ، ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج .

وكان مراد بيك وجماعة من صناجقه وأمرائه قد ذهبوا الى بولاق ، وشرعوا فى عمل متاريس جهة السبتية ، وأحضروا جملة مدافع على عجل ، وجمعوا الأخشـاب وحطب الذرة وأفراد وغيرها ، فوردت مراكب الأروام قبـل اتمامهم ذلك فتركوا العمل وركبوا فى الوقت ورجعوا ، وضـجت النـاس وصرخت الصبيان وزغرتت النساء ، وكسروا عجل المدافع ...

وفيه : أرسـل الأمراء مكاتبة الى المشـايخ والوجاقات يتوسلون بهم فى الصلح ، وأنهم يتوبون وبعودون الى الطاعة ، فقرئت تلك المكاتبات بحضرة الباشـا ، فقال الباشـا : « ياسـبحان الله ! كم يتوبون ويعودون ! ولكن اكتبوا لهم جوابا معلقا على حضور قبطان باشا » .. فكتبوه وأرسلوه .

١٢ منه (٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

فى وقت العشاء وصل حسن باشا القبطان الى ساحل بولاق ، وضربوا مدافع لقدومه ، واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدى الزمان ، فبات فى مراكبه الى الصباح وطلع بعض أتباعه الى القلعـة وقابلوا الباشا .

ثم ان حسن باشا ركب من بولاق وحضر الى مصر من ناحية باب الخرق ، ودخل الى بيت ابراهيم بيك وجلس فيه وصحبته أتباعه وعساكره ، وخلفه الشيخ الأترم المغربى ومعه طائفة من المغاربة ، فدخل بهم الى بيت يحيى بيك ، وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ، ونزل من بالقلعة الى دورهم . وشاع الخبر بذهاب الأمراء المصرية الى جهة قبلى من خلف الجبل ، فسافر خلفهم عـدة مراكب وفيها طائفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم وأرسلوها الى ساحل بولاق ، وأنفذ حسن باشا رسلا الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى يطلبهما للحضور الى مصر .

وفيه : خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمراء ونهبوها ، وتبعتهم فى ذلك الجعيدية وغيرهم فلما بلغ القبطان ذلك أرسـل الى الوالى والأغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه . ثم ركب بنفسه وطاف البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات فانـكفوا عن النهب ، ثم نزل على باب زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الحراطين على باب الأزهر وذهب الى المشهد الحسينى فزاره ونظر الى الكسوة ، ثم ركب وذهب الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية فجلس عنده ساعة ، وأمر بتسمير بيت ابراهيم بيك الذى بالأزبكية وبيت أيوب بيك الكبير وبيت مراد بيك ، ثم ذهب الى بولاق ورجع بعد الغروب الى المنزل ، وحضر عنده محمد باشا مخففا واختلى معه ساعة .

١٣ منه (٩ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ذهب اليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه ، وكذلك التجار وشـكوا اليه ظلم الأمراء ، فوعدهم بخير واعتذر اليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه .

وفيه : عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا مستحفظان صنجقية ، وخلع على على بيك جركس الاسماعيلى صنجقية كما كان فى أيام سيده اسماعيل بيك ، وخلع على غيطاس كاشف — تابع صالح بيك — صنجقية ، وخلع على قاسم كاشف — تابع أبى سيف — صنجقية أيضا . وخلع على مراد كاشف — تابع حسن بيك الأزبكاوى — صنجقية ، وخلع على محمد كاشف — تابع حسين بيك كشكش — صنجقية ، وقلد محمد أغا أرنؤود الوالى أغات الجمليان ، وقلد موسى أغا الوالى — تابع على بيك — أغات تفكجية ، وخلع على باكير أغا تابع محمود بيك وجعله أغات مستحفظان ، وخلع على عثمان أغا الجلفى وقلده الزعامة عوضا عن محمد أغا .

ولما تكامل لبسهم التفت اليهم الباشا ونصحهم وحذرهم وقال للوجاقلية : « الزموا طرائقكم وقوانينكم القديمة ، ولا تدخلوا بيوت الأمراء الصناجق الا لمقتض ، واكتبوا قوائمكم بتعلقاتكم وعوائدكم أمضيها لكم » .

ثم قاموا وانصرفوا الى بيوتهم ، ونزل الأغا وأمامه المناداة بالتركى والعربى بالأمان على أتباع الأمراء المتوارين والمخفيين ... وكل ذلك تدبير وترتيب الاختيارية . وقلدوا من كل بيت أميرا لئلا يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم .

وفيه : أرسل حسن باشا الى نواب القضاء وأمرهم أن يذهبوا الى بيوت الأمراء ويكتبوا مايجدونه من متروكاتهم ويودعوه فى مكان من البيت ويختموا عليه ففعلوا ذلك .

وفى تلك الليلة : وردت خمس مراكب رومية وضربوا مدافع وأجيبوا بمثلها من القلعة .

١٤ منه (١٠ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب حسن باشا وذهب الى بولاق وهو بزى الدلاة وعلى رأسه هيئة قلبق من جلد السمور ، ولابس عباءة بطراز ذهب ، وكان قبل ذلك يركب بهيئته المعتادة ، وهى هيئة القباطين ، وهى فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره ، وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال أحمر ، وفى وسطه سكينة كبيرة ، وبيديه مخصرة لطيفة هيئة حربة بطرفها مشعب حديد على رسم الجلالة .

وفيه : نادى الأغا على كل من كان سراجا بطالا ، أو فلاحا أو قواسا بطالا ... يسافر الى بلده . ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة .

وفيه أيضا : نودى على طائفة النصارى بألا يركبوا الدواب ، ولا يستخدموا المسلمين ، ولا يشتروا الجوارى والعبيد ، ومن كان عنده شىء من ذلك باعه أو أعتقه ، وأن يلزموا زيهم الأصلى من شد الزنار والزنوط .

وفيه : أرسل حسن باشا الى القاضى وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى على الديور والكنائس من أطيان ورزق وأملاك .. والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح !

١٥ منه (١١ أغسطس ١٧٨٦ م — الموافق ٦ مسرى) :

نودى على طائفة النصارى بالأمان ، وعدم التعرض لهم بالايذاء . وسببه تسلط العامة والصغار عليهم ...

وفيه : كثر تعدى العساكر على أهل الحرف : كالقهوجية ، والحمامية ، والمزينين ، والخياطين ... وغيرهم . فيأتى أحدهم الى الحمامى ، أو القهوجى ، أو الخياط ... ويقلع سلاحه ويعلقه ، ويرسم ركنه فى ورقة أو على باب دكان ، وكأنه صيره شريكه وفى حمايته . ويذهب حيث شاء ، أو يجلس متى شاء ... ثم يحاسبه ، ويقاسمه فى المكسب . وهذه عادتهم : اذا ملكوا بلدة ذهب كل

ذى حرفة الى حرفته التى كان يحترفها فى بلده ، ويشارك البلدى فيهـا ... فثقل على أهل البلدة هذه الفعلة لتكلفهم ما لا ألفوه ولا عرفوه .

وفيه : أجلسـوا على أبواب المدينة رجـلا أوده باشا ، ومعه طائفة من العسكر نحو الثلاثين أو العشرين .

وفيه : نودى بوفاء النيل ، فأرسل حسن باشا فى صبح يـوم الجمعة كتخداه والوالى ، فكسر السد على حين غفلة ، وجرى الماء فى الخليج ولم يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة ، بسبب القلقة وعدم انتظام الأحوال ، والخوف من هجوم الأمراء المصرية ، فانهـم لم يزالوا مقيمين جهـة حلوان .

وفيه : نودى بتوقـير الأشراف ، واحترامهم ، ورفع شـكواهم الى نقيب الأشراف ، وكذلك المنسوبون الى الأبواب ... ترفع الى وجاقه .

وان كان من أولاد البـلد فـالى الشرع الشريف ! (١)

وفيه : مرت جمـاعة من العسـكر على سوق الغـورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقمشة ، فهاجت أهل الدكاكين ، والناس المارون ، وأغلقوا الحوانيت ، وثارت كرشـة الى باب زويـلة ... وصادف مرور الوالى ، فقبض على ثلاثة منهم ، واستخلص ما بأيديهم ، وهرب الباقون .

وكان الوالى والاغا ، كل منهما صحبته ضابطان من جنس العسكر !

وفيه : نودى بمنع القواسة وأسافل الناس من لبس الشيلان الكشميرى ، والتختم أيضا !

وفيه : وصلت مراكب القباطين الواردين من جهة دمياط الى ساحل بولاق — وفيهم اسماعيل كتخـدا حسن باشـا — فضربت لهم مدافع من القلعة .

وفيه : قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسـدوا بالنساء بناحية الرميلة ، فرفعوا أمرهم — وأمـر الخطافين — الى القبطان ، فأمر بقتلهم ، فضربوا أعناق ثلاثة منهـم بالرميلة ، وثلاثة فى جهـات متفرقة ...

وفيه : نودى بابطال شركة العسكر لأهـل الحرف ، ومن أتاه عسكرى يشاركه ، أو أخذ شيئا بغير حق ، فليمسك ، ويضرب ، وتوثق أكتافه ، ويؤتى به الى الحاكم .

وحضر الـوالى — وصحبته الجـاويش — وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوى . وطردهـم وزجرهـم ... وذلك بسبب تشـكى الناس . فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم .

١٧ منه (١٣ اغسطس ١٧٨٦ م) :

خلعوا على محمدبيك — تابع الجرف — وجعلوه كاشفا على البحيرة .

وفيه : جاء الخبر عن الأمراء أن جماعة من العرب نحو الألف اتفقـوا أنهم يكبسـون عليهم ليـلا ويقتلونهم وينهبونهم ، فذهب رجـل من العـرب وأخبرهم بذلك الاتفاق ، فأخلوا من خيامهم وركبوا خيولهم وكمنوا بمرأى من وطاقهم . فلمـا جاءت العربان وجدوا الخيام خالية فاشتغلوا بالنهب ... فكبس عليهم الأمراء من كمينهم فلم ينج من العرب الا من طال عمره .

وفيه : نودى على طائفة النساء ألا يجلسن على حوانيت الصياغ ، ولا فى الأسواق الا بقدر الحاجة.

١٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٦ م) :

عملوا الديوان ، وقلدوا مراد بيك أمير الحج . وسماه حسن باشا « محمدا » ... كراهة فى اسم

---

(١) اى ان السارق من السادة الاشراف ، يشكى الى نقيب الاشراف ! والسارق من « المنسوبين الى الابواب » ، ترفع الشكوى فيه الى « وجاقه » ! اما السارق من « أولادالبلد » ، فتقطع يده !

مراد بيك ، فصار يكتب فى الامضاء « محمد بيك حسن » .

وكان هذا اليوم هو ثانى يوم ميعاد خروج المحمل من مصر ، فان معتاده فى هذه العصور سابع عشر شوال .

٢٠ منه (١٦ أغسطس ١٧٨٦ م) :

كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمد بن حبيب بغفر البرين والموارد من بولاق الى حد دمياط ورشيد على عادة أسلافه — وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام على بيك — ونودى له بذلك على ساحل بولاق

وفيه : أخرجت خبايا وودائع للأمراء من بيوتهم الصغار ، لهم ولأتباعهم وختم أيضا على أماكن ، وتركت على ما فيها ووقع التفتيش والفحص على غيرها ، وطلبوا الفقراء فجمعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التى فى العطف والحارات .

وطلبت زوجة ابراهيم بيك ، وحبست فى بيت كتخدا الجاويشية — هى وضرتها أم مرزوق بيك — حتى صالحوا بجملة من المال والمصاغ ، خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس .

وطولبت زليخا — زوجة ابراهيم بيك — بالتاج الجوهر وغيره

وطلبت زوجة مراد بيك ، فاختفت .

وطلب من السيد البكرى ودائع مراد بيك فسلمها

٢٢ منه (١٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل الباشا ديوانا وخلع على على أغا كتخدا الجاويشية وقلده صنجقا ودفتردار وشيخ البلد ومشير الدولة ، فصار صاحب الحل والعقد واليه المرجع فى جميع الأمور الكلية والجزئية وقلد محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاويشية عوضا عن المذكور ، وخلع على سليمان بيك الشابورى وقلده صنجقا كما كان أيضا فى الدهور السالفة ، وخلع على محمد كتخدا ابن أباظة المحتسب وجعله ترجمانا عوضا عن محمد أغا الترجمان ، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسبا عوضا عن ابن أباظة .

٢٣ منه (١٩ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب المشايخ الى حسن باشا ، وتشفعوا عنده فى زوجة ابراهيم بيك ، وذلك باشارة على بيك الدفتردار .. فأجابهم بقوله : « تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص » .

فقالوا له : « النساء ضعاف . وينبغى الرفق بهن » .

فقال : « ان أزواجهن لهم مدة سنين ينهبون البلاد ، ويأكلون أموال السلطان والرعية وقد خرجوا من مصر على خيولهم ، وتركوا الأموال عند النساء فان دفعن ما على أزواجهن تركت سبيلهن . والا أذقناهن العذاب » .

وانفض المجلس وقاموا وذهبوا .

وفيه : ورد الخبر عن الأمراء أنهم ذهبوا الى أسيوط وأقاموا بها .

٢٤ منه (٢٠ أغسطس ١٧٨٦ م) :

حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودائع ، ونودى فى الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شىء من متاع الأمراء الخارجين ، ولا يظهره ولا يقر عليه فى مدة ثلاثة أيام .. قتل من غير معاودة ان ظهر بعد ذلك !

وفيه : طلب حسن باشا من التجار المسلمين والافرنج والأقباط دراهم سلفة لتشهيل لوازم الحج ، وكتب لهم وثائق وأجلهم ثلاثين يوما ، ففردوها على أفرادهم — بحسب حال كل تاجر — وجمعوها .

وفيه : حصلت كائنة على ابن عياد المغربى ببولاق ، وقتله اسماعيل كتخدا حسن باشا .

وفيه : نادوا على النساء بالمنع من النزول فى مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلى .

وفيه : كتبوا مكاتبات — من حسن باشا ، ومحمد باشا الوالى ، والمشايخ ، والوجاقات — خطابا لاسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى .. باستعجالهم للحضور الى مصر .

٢٥ منه (٢١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودى على النساء ألا يخرجن الى الأسواق . ومن خرجت بعد اليوم ، شنقت .. فلم ينتهين !!

أحضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج جوارى ابراهيم بيك وباقى الأمراء بيضا وسودا وحبوشا ونودى عليهن بالبيع والمزاد فى حوش البيت ... فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية وعسكرهم .

وفى ذلك عبرة لمن اعتبر . .

٢٦ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أحضروا أيضا عدة جوار من بيوت الأمراء ومن مستودعات كانوا مودعين فيها ، وأخذوا جوارى عثمان بيك الشرقاوى من بيته ، ومحظيته التى فى بيته الذى عند حيضان المصلى ، فأخرجوها بيد القليونجية . وكذلك جوارى أيوب بيك الصغير وما فى بيوت سليمان أغا الحنفى من جوار وأمتعة ، وكذلك بيوت غيره من الأمراء ، وأحاطوا بعدة بيوت بدرب الميضأة بالصليبة وطيلون ودرب الحمام وحارة المغاربة وغيرهم فى عدة أخطاط فيها ودائع وأغلال ، فأخذوا بعضها وختموا على باقيها ، وأحضروا الجوارى بين يدى حسن باشا فأمر ببيعهن، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بيك مرزوق وعديله ، والتشديد على زوجاته .

ثم ان شيخ السادات ركب الى الشيخ أحمد الدردير ، وأرسلوا الى الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الحريرى فحضروا وتشاوروا فى هذا الأمر ، ثم ركبوا وطلعوا الى القلعة وكلموا محمد باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قبطان باشا فقال لهم : « ليس لى قدرة على منعه ، ولكن اذهبوا اليه واشفعوا عنده » . فالتمسوا منه المساعدة فأجابهم وقال : « اسبقونى وأنا أكون فى أثركم » .

فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضا محمد باشا وخاطبوه فى شأن ذلك — وكان المخاطب له شيخ السادات — قال له : « انا سررنا بقدومك الى مصر لما ظنناه فيك من الانصاف والعدل . وان مولانا السلطان أرسلك الى مصر لاقامة الشريعة ومنع الظلم . وهذا الفعل لايجوز . ولا يحل بيع الأحرار وأمهات الأولاد » ، ونحو ذلك من الكلام .

فاغتاظ وأحضر أفندى ديوانه وقال : « اكتب أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبره بمعارضتهم لأوامره » .

ثم التفت اليهم وقال : « أنا أسافر من عندكم والسلطان يرسل لكم خلافى فتنظروا فعله . أما كفاكم أنى كل يوم أقتل من عساكرى طائفة على أيسر شىء مراعاة وشفقة ؟ ولو كان غيرى لنظرتم فعل العسكر فى البيوت والأسواق والناس ! » . فقالوا له : « انما نحن شافعون ، والواجب علينا قول الحق » .

وقاموا من عنده وخرجوا ، وتغير خاطره من ذلك الوقت على شيخ السادات .

وفيه : قبض اسماعيل — كتخدا حسن باشا — على الحاج سليمان بن ساسى التاجر ، وجماعة من طيلون ، وألزمه بخمسمائة كيس .. فولول واعتذر بعجزه عن ذلك . فلم يقبل ولطمه على وجهه ، وشدد عليه .. فراجعوه وتشفعوا فيه ، الى أن قررها مائة كيس . فحلف أنه لا يملك الا ثلاثمائة

فرق بن — وليس له غيرها . فأرسل وختم عليها في حواصلها .

واستمر في الاعتقال حتى غاق المائة كيس .. على نفسه منها خمسون ، ومثلها على الطولولية .

وسبب ذلك حادثة ابن عياد ، لأنهم أولاد بلاده . ولما قتله ببولاق ، ورجع وهو في حدته ، فدخل الى خان الشرايبي ، فوجد الحاج سليمان المذكور جالسا بالخان مع التجار ، فقال له : « بلغ منكم — يا جربية — حتى تقتلوا عسكر السلطان ! ان ابن عياد قتل من طائفتي شخصين ودبتهما تلزمكم . وهي خمسمائة كيس ، تحضرونها في غد ، والا قتلتكم عن آخركم ! » .

فلما أصبح فعل معهم ما ذكر ، وهذا محض ظلم وبغي !

٢٧ منه (٢٣ أغسطس ١٧٨٦ م) :

كان خروج المحمل صحبة أمير الحج محمد بيك المبدول بالموكب على العادة ، ماعدا طائفة الينكجرية والعزب خوفا من اختلاط العثمانية بهم ، وحضر حسن باشا القبطان الى مدرسة الغورية لأجل الفرجة والمشاهدة ، ولم يزل جالسا حتى مر الموكب والمحمل . ولما مرت عليه طوائف الأشاير كانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويقرأون الفاتحة ، فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس .

ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة ، وازدحمت الناس للفرجة عليه — وكان لابسا على هيئة ملوك العجم ، وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد ، مخروط الشكل ، وعليه عصابة لطيفة من حرير مرصعة بالجوهر ، ولها ذوائب على آذانه وحواجبه ، وعليه عباءة لطخ قصب أصفر !

٢٨ منه (٢٤ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودي على النصارى واليهود بأن يغيروا أسماءهم التي على أسماء الأنبياء — كابراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحاق — وأن يحضروا جميع ماعندهم من الجواري والعبيد ، وان لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم ، فصالحوا على ذلك بمال فحصل العفو ! وأذن لهم في أن يبيعوا ما عندهم من الجواري والعبيد ويقبضوا أثمانها لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين ، فأخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين (١) .

وفيه : حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة . وحضر الباشا الجديد الى بولاق .

٢٩ منه (٢٥ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبتهم اسماعيل كتخدا الى عرب البحيرة لكونهم خامروا مع المصرلية ووقع الحلف بينهم وبين قبيلتهم ، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدي القبطان واصطلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضرت الفرقة الأولى واستنجدوا بحسن باشا فأرسل لهم اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر في المراكب فهربوا ورجع اسماعيل كتخدا ومن معه على الفور .

وفيه : وصلت العساكر البرية صحبة عابدي باشا ودرويش باشا الى بركة الحج . وكان أمير الحج مقيما بالحجاج بالعادلية ، ولم يذهبوا الى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء .

---

(١) حكام اجانب أجلاف مغرورون جهلاء ... يلبسون ما يضحك الحكماء والسفهاء ، ويذهب أحدهم ليشهد حفلا أو مناسبة ... فيزدحم الناس للفرجة عليه !

... حتى يستطيعوا الاحتفاظ بهذا المستوى من الترف المضحك ، لابد لهم من ابتزاز الاموال .

وتتوالى موجات ابتزازهم ، فتتخذ احيانا صورة الاضطهاد الديني .

وما نحسب أن للدين دخلا في ذلك أبدا ... فلم يكن لهؤلاء الحكام الغاشمين دأب الا أن « ينزلوا الظلم بطائفة — أي طائفة — ثم يصالحوها على مال ... فيحصل العفو ! » ... ولم يبتغ طموحهم غير ذلك دينا ...

السبت غرته (٢٦ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ارتحل الحجاج من العادلية ، وحضر عابدى باشا ودرويش باشا الى العادلية ، وخرج حسن باشا الى ملاقاتهم ، ودخلت طوائف عســاكرهما الى المدينة وهم بهيئات مختلفة وأشــكال منكرة ، وراكبون خيــولا وأكاديش كأمثــال دواب الطواحين وعلى ظهورها لبابيد شبه البراذع متصلة بكفل الاكديش ، وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة ، والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واســع كبير مخيط عليه قطعة قماش لابسها فى دماغه — والطربوش مقلوب عــلى قفــاه — مثل حــزمة البراطيش ، وهم لابسون زنوط وبشوت محزمين عليهــا ... وصورهم بشعة ، وعقائدهم مختلفة ، وأشكالهم شتى ، وأجناسهم متفرقة ، مابين أكراد ولاوند ودروز وشوام ... ولكن لم يحصل منهم ايذاء لأحد ، واذا اشتروا شيئا أخذوه بالمصلحة ، فباتوا بالخيام عند سبيل قيماز تلك الليلة .

الأحد ٢ منه (٢٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب عابدى باشا ودرويش باشا ، وذهبوا الى البساتين من خارج البلد . فمروا بالصحراء وباب الوزير ، وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره .

وفيه : نودى على النصارى باحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ســاعة تاريخه . ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى ، واستخرجوا ما فيها ... فكان شــيئا كثيرا . وأحضروهم الى القبطان فأخرجوهم الى المزاد وباعوهم ، واشترى غالبهم العسكر ، وصاروا يبيعونهم على النــاس بالمرابحة .

فاذا أراد انسان أن يشترى جارية ذهب الى بيت الباشا ، وطلب مطلوبه ، فيعرض عليه الجوارى من مكان عند باب الحريم . فاذا أعجبته جارية ، أو أكثر ، حضر صاحبها الذى اشتراها ، فيجبره برأس ماله ، ويقول : « وأنا آخذ مكسبى كذا » ، فلا يزيد ولا ينقص . فان أعجبه الثمن دفعــه ، والا تركها وذهب .

ثم وقع التشديد على ذلك ، وأحضروا الدلالين والنخاسين ، القدم والجدد ، واستدلوا منهم على المبيوعات .

وفيه : جمع القبطان المهندسين ليستخبر منهــم عن الخبــايا والدفائن التى صــنعوها فى البيوت وغيرها .

الاثنين ٣ منه (٢٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

أمر القبطان الأمراء والصناجق والوجاقلة أن يذهبوا للسلام على عابدى باشا ودرويش باشا ... فذهب الصناجق أولا بسائر أتباعهم وطوائفهم ، وتلاهم الوجاقلــة ... فســلموا ورجعــوا من البساتين ، وكلاهما فى جمع كثير .

الثلاثاء ٤ منه (٢٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حضر عابدى باشا عند القبطان ، وسلم عليــه ، ثم طلع الى القلعة وسلم على محمد باشا المتولى ، ثم نزل وخرج الى مخيمه بالبساتين .

وفيه : قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراءالمصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون الف ريال .

وفيه : أمر أيضا باحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو فى ملكهم ، وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم ، ويقرر عليها أجرة مثلها فى العام ، وأن يكشف فى السجل على ما هو جار فى أملاكهم .

ثم قرر عليهم أيضا خمسمائة كيس ، فوزعوها

على أفرادهم . وحصل لفقرائهم الضرر الزائد .

وقيل انهم حسبوا لهم الجواري المأخوذة منهم من أصل ذلك ... على كل رأس أربعون ريالا .

وقرر أيضا على كل شخص دينارا جزية : العال كالدون ... وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة !

الخميس ٦ منه (٣١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل محمد باشا ديوانا ، وخلع على مصطفى أغا — تابع حسن أغا ، تابع عثمان أغا وكيل دار السعادة سابقا — وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ أستاذه ... وكانت شاغرة من أيام على بيك .

وفيه أيضا : سمحوا في جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجرية كما كان قديما . وكان ذلك مرفوعا عنهم من أيام ظهور على بيك .

وفيه : انتقل عابدى باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين الى قصر العينى بشاطىء النيل ، وجلسوا هناك .

وفيه : دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التى كان اقترضها من التجار ، فدفع مال الافرنج وجانبا لتجار المغاربة ... بغلاق الباقى ..

وفيه : قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى ، واستخلص منه صندوقا من ودائع النصارى .

وفيه أيضا : قبض على شخص من الأجناد من بيته بحوش قدم ، وأخرجوا من داره زلعتين مسدودتين فى كل واحدة منهما برفعها ثمانية من الرجال العتالين بالآلة ، لا يعلم ما فيها ...

الجمعة ٧ منه (١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة أجداده بالقرافة .

وفيه : حضر قاصد من طرف اسماعيل بيك وعلى يده مكاتبات من المذكور يخبر فيها بأنه وصل الى دجرجا وقصده الاقامة هناك لأجل المحافظة فى تلك الجهة حتى تسافر العسكر ، فاذا التقوا مع الأمراء وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه فى أقفيتهم وقت الحرب ومانعا عند الهزيمة .

السبت ٨ منه (٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال . وواصف هذا أحد الكتاب المباشرين المشهورين ، ويعرف الايراد والمصاريف ، وعنده نسخ من دفتر الروزنامة ، ويحفظ الكليات والجزئيات ، ولا يخفى عن ذهنه شيء من ذلك ، ويعرف التركى .

الأحد ٩ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض على بعض نساء المعلم ابراهيم الجوهرى من بيت حسن أغا كتخدا على بيك أمين احتساب سابقا ، فأقرت على خبايا أخرجوا منها أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك .

الاثنين ١٠ منه (٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حصلت جمعية بالمحكمة بسبب جمرك البهار . وذلك أن ابراهيم بيك شيخ البلد أخذ من التجار فى العام الماضى مبلغا كبيرا من حساب الباشا ، وذلك قبل حضوره من ثغر الاسكندرية ، فلما حضر دفعوا له البواقى وحاسبهم وطالبهم بذلك المبلغ فماطلوا ووعدوه الى حضور المراكب .

فلما حضرت المراكب فى أوائل رمضان من هذه السنة أحضرهم وطالبهم ، فلم يزالوا يسوفونه ويعتذرون له — وذلك خوفا من ابراهيم بيك — ويعيدون القول على ابراهيم بيك فيقول لهم لاتفضحونى ، ويلاطفهم ويداهنهم كما هى عادته ، والباشا يطالبهم ... فلما ضاق خناقهم أخبروه أن

ابراهيم بيك يطلب ذلك ويقول : « أنا محتاج لذلك فى هذا الوقت . ووالدى الباشا يمهل وآنا أحاسبه به بعد ذلك »...ولم يخبروه أنه اخذه ، فلم يرض ولم تقبل ، وصار يرسل الى ابراهيم بيك يشكو له من التجار ومطلهم ، فيرسل ابراهيم بيك مع رسوله معينين من سراجينه يقولون للتجار : « ادفعوا مطلوبات الباشا » . فاذا حضر اليه التجار تملق لهم ويقول : « اشتروا لحيتى واشترونى » ... فلم يزل التجار فى حيرة بينهما .

وقصد ابراهيم بيك أن التجار يدفعون ذلك القدر ثانيا الى الباشا ، وهم يثاقلونه خوفا من آن يقهرهم فى الدفع ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج ابراهيم بيك واخوانه ، فبقى الأمر على السكوت فلما راق الحال واطمأن الباشا أرسل يطالب التجار بالمبلغ ، وهو أربعة وأربعون ألف ريال فرانسة . فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر ، وأنهم دفعوا ذلك لابراهيم بيك قبل حضوره الى مصر ، فاشتد غيظه وقال : « ومن أمركم بذلك ، ولا يلزمنى . ولا بد من أخذ عوائدى على الكامل » . ثم انهم ذهبوا الى حسن باشا واستجاروا به فأمرهم أن يترافعوا الى الشرع . فاجتمعوا يوم الأحد فى المحكمة ، وأقام الباشا من جهته وكيلا وأرسله صحبة أنفار من الوجاقلية ، واجتمعت التجار حتى ملأوا المحكمة . وطلبوا حضور العلماء .. فلم يحضروا . وانفض المجلس بغير تمام .

ثم حضر التجار فى ثانى يوم ، وحضر العلماء .. ولم يحضر وكيل الباشا .

ثم أبرز التجار رجعة بختم ابراهيم بيك وتسلمه المبلغ مؤرخة فى ١٢ شعبان أيام قائمقاميته ووكالته عن الباشا ، وأبرزوا فتاوى أيضا . وسئل العلماء فأجابوهم بقولهم : « حيث ان الباشا أرسل فرمانا لابراهيم بيك أن يكون قائما مقامه ووكيلا عنه الى حين حضوره ... فيكون فعل الوكيل كالأصيل ، وتخلص ذمة التجار ، وليس للباشا مطالبتهم ، ومطالبته على ابراهيم بيك ... على أن ذلك ليس حقا شرعيا » .

وكتب القاضى اعلاما بذلك وأرسله الى الباشا ، وانفض المجلس على دماغ الباشا !

الخميس ١٣ منه (٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

تعين للسفر عدة من العساكر البحرية فى المراكب ، ولحقت بالمراكب السابقة .

الجمعة ١٤ منه (٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد باشا — والى جدة — الذى كان مقيما بثغر الاسكندرية ، الى ثغر بولاق ، فذهب لملاقاته على بيك الدفتردار ، وكتخدا الجاوشية ، وأرباب الخدم فركب صحبتهم ، وتوجه الى ناحية العادلية ، وجلس هناك بالقصر .

السبت ١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن باشا ، وعابدى باشا ، ودرويش باشا الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية باستدعاء ، وجلسوا هناك الى العصر ، وقدم لهم تقادم وهدايا. وحضروا اليه فى مراكب من الخليج .

الأحد ١٦ منه (١٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أحضروا عند حسن باشا رجلا من الأجناد يسمى رشوان كاشف من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، فأمر برمى عنقه .. ففعلوا به ذلك وعلقوا رأسه قبالة باب البيت .

قيل ان سبب ذلك أنه كان بجرجا أيام الحركة، فلما خرج رفقاؤه حضر الى مصر وطلب الأمان فأمنوه ، ولم يزل بمصر الى هذا الوقت ، فحدثته نفسه بالهروب الى قبلى فركب جواده وخرج

فقبض عليه المحافظون وأحضروه الى حسن باشا فأمر برمي عنقه . وقيل ان السبب غير ذلك .

وفيه : وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وأخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمراء القبالى لطمة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب ، فانتقل المصريون من مكانهم وترفعوا جهة الجبانة ، وصار البلد حائلا بين الفريقين ، وساحل أسيوط طرد لايحمل المراكب ، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب اليهم ، وصوروا صورة ذلك وهيئته فى كاغد لأجل المشاهدة ، وأرسلوها مع الرسول .

وفيه : عمل الديوان بالقلعة ، وتقلد قاسم بيك أبو سيف ولاية جرجا وسارى عسكر التجريدة المعينة صحبة عابدى باشا ودرويش باشا ، ومعهم من الصناجق أيضا على بيك جركس الاسماعيلى وغيطاس بيك المصالحى ومحمد بيك كشكش ، ومن الوجاقلية خمسمائة نفر ... وأخذوا فى التجهيز والسفر .

الاثنين ١٧ منه (١١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى ساحل بولاق أغا من الدبار الرومية ، وهو أميراخور ، وعلى يده مثالات وخلع وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة ، وخروج الأمراء . فركب أغات مستحفظان ، ومن له عادة بالركوب لملاقاته ، وطلع حسن باشا ، وعابدى باشا ، وأحمد باشا الجداوى ، ودرويش باشا ، والأمراء ، والصناجق ، والوجاقات ، والقاضى ، والمشايخ .. واجتمعوا بالقلعة ، وحضر الأغا من بولاق بالموكب ، والنوبة خلفهم ، وبقية الأغوات وهم يحملون بقجا على أيديهم ، والمكاتبات فى أكياس حرير على صدورهم .

ولما دخلوا باب الديوان قام الباشوات والأمراء على أقدامهم ، وتلقوهم ، ثم بدأوا بقراءة المرسوم المخاطب به حسن باشا ، فقرأوه ، ومضمونه التبجيل والتعظيم لحسن باشا ، وحسن الثناء عليه بما فعله من حسن السياسة ، والوصية على الرعية ، وصرف العلائف والغلال .

وفيه : ذكر اسماعيل بيك وحسن بيك والتحريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة ..

ولما فرغوا من قراءة ذلك ، أخرجوا الخلعة المخصوصة به ، فلبسها — وهى فروة سمور وقفطان أصفر مقصب مفرق الأكمام — فلبسه من فوق .. وسيف مجوهر تقلد به .

ثم قرأوا المرسوم الثانى ، وهو خطاب لمحمد باشا يكن ، المتولى ومعه الخطاب للقاضى والعلماء والأمراء والوجاقلية ، والثناء على الجميع ، والنسق المتقدم فى المرسوم السابق . ثم لبس الخلعة المخصوصة به — وهى فروة وقفطان .

ثم قرأوا المرسوم الثالث ، وهو خطاب لأحمد باشا ، والى جدة ، بمثل ذلك . ولبس خلعته أيضا — وهى فروة وقفطان .

ثم قرىء المرسوم الرابع ، وفيه الخطاب لعابدى باشا ، ومضمونه ما تقدم . ولبس أيضا خلعته وفروته .

ثم قرىء المرسوم الخامس ، ومضمونه الخطاب لدرويش باشا ، وذكر ما تقدم . ولبس خلعته .

ثم مرسوم بالخطاب لعلى بيك الدفتردار ، ومضمونه الثناء عليه من عدم التأخر عن الاجابة والنسق .

ثم فرمان ثان ، وهو خطاب لأمير الحج ، والوصية بتعلقات الحج ..

فما فرغوا من ذلك الا بعد الظهر ، ثم ضربوا مدافع كثيرة ، ودخلوا الى داخل ، وجلسوا مع بعضهم ساعة ، ثم ركبوا ونزلوا الى أماكنهم .

وكان ديوانا عظيما ، وجمعية كبيرة لم تعهد قبل

ذلك ولم يتفق أنه اجتمع فى ديوان خمسة باشوات فى آن واحد ..

الأربعاء ١٩ منه (١٣ سبتمبر ١٧٨٦) :

عمل الباشا ديوانا ، وخلع على باكير آغا مستحفظان وقلده صنجقا ، وخلع على عثمان آغا الوالى وقلده آغات مستحفظان عوضا عن باكير آغا ...

الخميس ٢٠ منه (١٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

خلع الباشا على اسماعيل كاشف من أتباع كشكش وقلده واليا عوضا عن عثمان آغا المذكور ، وأقر أحمد أفندى الصفائى فى وظيفته روزنامجى أفندى على عادته ، وكانوا عزموا على عزله وأرادوا نصب غيره فلم يتهيأ ذلك .

وفيه : وصل ابراهيم كاشف من طرف اسماعيل بيك وحسن بيك ، وأخبر بقدومهما ، وأنهما وصلا الى شرق أولاد يحيى ، وأرسلا يستأذنان فى المقام هناك بالجمعية ، حتى تصل العساكر المعينة فيكونوا معهم .. فلم يجبه حسن باشا الى ذلك ، وحثه على الحضور فقابله ، ثم نتوجه من مصر ثانيا ، ثم أجيب الى المقام حتى تأتيهم العساكر .

وأخبرا أيضا أن الأمراء القبليين لم يزالوا مقيمين بساحل أسيوط على رأس المجرور ، وبنوا هناك متاريس ونصبوا مدافع ، وأن المراكب راسية تجاههم ولا تستطيع السير فى ذلك المجرور الا باللبان .. لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب .

وفيه : استعفى على بيك جركس الاسماعيلى من السفر ، فأعفى .. وعين عوضه حسن بيك رضوان .

وأنفق حسن باشا على العسكر : فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال ، وللوجاقلية سبعة عشر ألف ريال .

وأنفق عابدى باشا فى عسكره النفقة أيضا : فأعطى لكل عسكرى خمسة عشر قرشا .. فغضبت طائفة الدلاة ، فاجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى العادلية يريدون الرجوع الى بلادهم وحصل فى وقت خروجهم زعجة فى الناس . وأغلقت الحوانيت ولم يعرفوا ما الخبر !

ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره وخرج يريد قتالهم . وخرج معه المصريون ، وركب عابدى باشا أيضا ولحق به عند قصر قايماز — وكان هناك أحمد باشا الجداوى ، فنزل اليه أيضا ، واجتمعوا اليه ، واستعطفوا خاطره ، وسكنوا غضبه ، وأرسلوا الى جماعة الدلاة فاسترضوهم وزادوا لهم فى نفقتهم ، وجعلوا لكل نفر أربعين قرشا . وردوهم الى الطاعة .

ورجع حسن باشا وعابدى باشا الى أماكنهم قبيل الغروب .

وفى صبح ذلك اليوم سافر اسماعيل كتخدا بطائفة من العسكر فى البحر الى جهة قبلى .

وفيه (أعنى يوم الخميس) : أخرجوا جملة غلال من حواصل بيوت الأمراء الخارجين .. فأخرجوا من بيت أيوب بيك الكبير ، وبيت أحمد أغا الجملية ، وسليمان بيك الأغا ، وغيرهم .

وفيه أيضا : أخذت عدة ودائع من عدة أماكن ، وتشاجر رجل جندى مع خادمه ، وضربه وطرده ، ولم يدفع له أجرته .. فذهب ذلك الخادم الى حسن باشا ، ورفع اليه قصته ، وذكر له أن عنده صندوقا مملوءا من الذهب من ودائع الغائبين . فأرسل صحبته طائفة من العسكر فدلهم على مكانه فأخرجوه وحملوه الى حسن باشا .. وأمثال ذلك .

الجمعة ٢١ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

فتحوا بيت المعلم ابراهيم الجوهرى وباعوا

ما فيه وكان شيئا كثيرا من فرش ومصاغ وأوان وغير ذلك .

السبت ٢٢ منه (١٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

برز عابدى باشا ودرويش باشا وأخرجا خيامهما الى البساتين قاصدين السفر .

وفيه : ركب على بيك الدفتردار وذهب الى بولاق ، وفتح الحواصل وأخرج منها الغلال لأجل البقسماط والعليق .

الاحد ٢٣ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن يخدموا عند الأمراء .

الاثنين ٢٤ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر عابدى باشا ودرويش باشا .

وأخرج الأمراء الصناجق خيامهم ، ونصبوا مكان المرتحلين .

وفيه حضر باشا من ناحية الشام — وهو أمير كبير من أمراء شين أغلى — وصحبته نحو ألف عسكرى ، فنزل بهم بالعادلية .

الثلاثاء ٢٥ منه (١٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

دخلت عساكر المذكور الى القاهرة ، وأميرهم توجه الى ناحية البساتين من نواحى باب الوزير .

وفيه : غمز على مكان ببيت أيوب بيك الكبير مسدود الباب ، ففتح وأخرج منه أشياء كثيرة ، وكذلك ببيت المعلم ابراهيم الجوهرى مكان مرتفع مهدوم الدرج ، وكان ذلك المكان لولده وقد مات من نحو سنتين . فلما مات هدم الدرج التى يتوصل منها اليه حزنا عليه وتركه بما فيه ، فصعدوا اليه وأخرجوا منه أشياء كثيرة من فرش وأمتعة مزركشة وأوانى ذهب وفضة وصينى وغير ذلك فأحضرت جميعها الى حسن باشا وباعها بين يديه بالمزاد فى عدة أيام .

وفيه : قتل حسن باشا شخصين من عسكر عابدى باشا ، تخلفا عنه ، فقبض عليهما وأحضرهما اليه ، فأمر بقتلهما ، ففعلوا بهما ذلك تجاه الباب .

الخميس ٢٧ منه (٢١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر أمير شين أغلى بعساكره جهة قبلى .

الجمعة ٢٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان فى يوم الجمعة بالطبول . وسبب ذلك أن حسن باشا صلى بجامع المؤيد شيخ ، الذى بباب زويلة ، فعندما شرع الخطيب فى الخطبة واذا بضجة عظيمة وطبول مزعجة ، فقال الباشا : « ماهذا ؟ » فأخبروه بذلك فأمر بمنع ذلك فى مثل هذا الوقت .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٢٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

اشيعت أخبار وروايات ووقائع بين الفريقين وأن جماعة من القبالى حضروا بأمان عند اسماعيل بيك .

الثلاثاء ٢ منه (٢٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى مصر ، فيض الله افندى ، رئيس الكتاب ، فتوجه الى حسن باشا ، فتلقاه بالاجلال والتعظيم ، وقابله من أول المجلس . ثم طلع الى القلعة وقابل محمد باشا أيضا ، ثم نزل الى دار أعدت له ، ثم انتقل الى دار بالقلعة عند قصر يوسف .

الخميس ٤ منه (٢٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أغا ، وعلى يده تقرير لمحمد باشا على السنة الجديدة ، فركب من بولاق الى العادلية ، وخرج اليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات مستحفظان ، وأغات العزب والوجاقلية ، ودخل

بموكب عظيم من باب النصر ، وشــق القاهرة ، وطلع الى القلعة .

السبت ٦ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها فى الأيام السابقة ، لاتعاد ولا تسمع ثانيا ، وسبب ذلك تسلط الناس على بعضهم فى التداعى .

وفيه : ردت السلفة التى كانت أخذت من تجار المغاربة ، وهى آخر السلف المدفوعة .

الأربعاء ١٠ منه (٤ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

كان عيد النحر ، وفيه وردت أخبار من الجهــة القبلية بوقوع مقتلة عظيمة بين الفريقين ، وقتل من المصرية عمر كاشف الشرقية ، وحسن كاشف وسليمان كاشف ، ثم انحازت العسكر الى المراكب ، ورجع الأمراء الى وطاقهم ، فاغتــم حسن باشــا لتمادى أمرهم ، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول الشتاء ويأخذ رؤوسهم ويرجع بهم الى سلطــانه قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية .. حتى انه منع من فتح الترع التى من عادتهــا الفتح بعــد الصليب — كبحر أبى المنجا ومويس والقرنين — خوفا من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار .

وفيه : حضر واحد ططرى ، وعلى يده مرسوم ، فطلب حسن باشا محمد باشا المتولى فنزل اليه وجمع الديوان عنده ، فقرأ عليهم ذلك المرسوم وحاصله : الحث والتشــديد والاجتهاد فى قتــل العصاة ، والفحص عن أموالهم وموجوداتهم ، والانتقام ممن تكون عنده وديعة ولا يظهرها ، وعدم التفريط فى ذلك .. وطلب حــلوان عن البــلاد ، فائظ ثلاث سنوات .

وفيه : حضر ابراهيم بيك قشطة الاسماعيلى — وصحبته زوجته ، ابنة اسماعيل بيك ، وحـــريم اسماعيل بيك أيضا — وســكنوا فى دارهم التى ببركة الأزبكية .

الخميس ١٨ منه (١٢ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر عثمــان بيك طبل الاسماعيلى ، فذهب عند على بيك الدفتردار . وتوجه صحبته الى حسن باشا ، فسأله عن أحوال العسكر ، وأخبره أنهم محتاجون لنفقة وذخيرة ، وأن عساكر عابدى باشا تعبانون بسبب قلة النفقة ، وحاصل عندهم قلقة ، وأن الأمراء القبالى ترفعوا الى طحطا .. فأمر حسن باشا بتشهيل بقسماط واحتياجات ، وأوصل عثمان بيك مائتين وسبعين كيسا برسم النفقة .

الاحد ٢١ منه (١٥ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

ســافر عثمان بيك المذكور ، وأرســلوا خلفه المراكب المشحونة بالبقسماط والشــعير والسمن والزيت .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٨٦ م) :

خلع على أحمد جاويش المجنون ، وتقلد كتخدا مستحفظان .

فى أواخره (أواخر اكتوبر ١٧٨٦ م) :

أرسل عابدى باشا مكاتبة حضرت له من الأمراء القبالى . وصورتها — وهى جواب عن رسالتهم ، وهى باللغة التركية ، وحاصل ما فهمته من ذلك :

« أنكم تخاطبــونا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة .

« واننا — بحمد الله تعالى — موحـــدون ، واسلامنا صحيح ، وحجينا بيت الله الحرام .

« وتكفير المؤمن كفر ، ولسنا عصاة ولا مخالفين . وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنا من الحرب الا طاعة للسلطان ولنائبه ، فانه أمرنا بالخروج حتى تسكن الفتن وحقنا للدماء ، ووعدنا أنه يسعى لنا

فى الصلح .. فخرجنا لأجل ذلك ولم نرض باشهار السلاح فى وجوهكم ، وتركنا بيوتنا وحريمنا فى عرض السلطان ، ففعلتم بهم ما فعلتم ، ونهبتم أموالنا وبيوتنا ، وهتكتم أعراضنا وبعتم أولادنا وأحرارنا وأمهات أولادنا .. وهذا الفعل ماسمعنا به ولا فى بلاد الكفر .

« وماكفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر يخرجونا من بلاد الله ، وتهددونا بكثرتكم . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وأن عساكر مصر أمرها فى الحرب والشجاعة مشهور فى سائر الأقاليم ، والأيام بيننا .

« وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة فى خلاص البلاد التى غصبها منكم الكفار واستولوا عليها ، مثل بلاد القرم والودن واسماعيل وغير ذلك » .

وأمثال هذا القول ، وتخشين الكلام تارة وتليينه أخرى . وفى ضمن ذلك آيات وأحاديث وضرب أمثال وغير ذلك .

فأجابهم عابدى باشا ونقض عليهم ، ونسب كاتبهم الى الجهل بصناعة الانشاء ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الغريبة .

***

ومات فى هذه السنة الشيخ العلامة المحقق ، والفهامة المدقق ، شيخنا الشيخ محمد بن موسى الجناجى ، المعروف بالشافعى . وهو مالكى المذهب . أحد العلماء المعدودين ، والجهابذة المشهورين . تلقى عن مشايخ عصره ، ولازم الشيخ الصعيدى ملازمة كلية ، وصار مقرئه ومعيدا لدروسه .

وأخذ عن الشيخ خليل المغربى والسيد البليدى . وحضر على الشيخ يوسف الحفنى والملوى .

وتمهر فى المعقول والمنقول ، ودرس الكتب المشهورة الدقيقة ، مثل : « المغنى » لابن هشام ، والأشمونى ، والفاكهى ، والسعد ، وغير ذلك .

وأخذ علم الصرف عن بعض علماء الأروام ! وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك ابن الهائم عن الشيخ حسين المحلاوى .

واشتهر فضله فى ذلك وألف فيها رسائل .

وله فى تحويل النقود بعضها الى بعض رسالة نفيسة تدل على براعته وغوصه فى علم الحساب . وكان له دقائق وجودة استحضار فى استخراج المجهولات وأعمال الكسورات والقسمة والجذورات ، وغير ذلك من قسمة المواريث والمناسخات والأعداد الصم والحل والموازين ... ما انفرد به عن نظائره ...

وكان مهذب الأخلاق جدا ، متواضعا ، لايعرف الكبر ولا التصنع أصلا ، يلبس أى شىء من الثياب الناعمة والخشنة ، ويذهب بحماره الى جهة بولاق ويشترى البرسيم ويحمله عليه ويركب فوقه ، ويحمل طبق العجين الى الفرن على رأسه ، ويذهب فى حوائج اخوانه .

ولما بنى محمد بيك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تقرر فى وظيفة خزن الكتب نيابة عن محمد أفندى حافظ ، مضافة الى وظيفة تدريس مع المشايخ المقررين ... فلازم التقييد بها ، وينوب عنه أخوه الشيخ حسن فى غيابه .

وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط حسن فى غاية السرعة ، ويتحدث مع الناس وهو يكتب من حفظه ولا يغلط .

ولم يزل المترجم (أى صاحب السيرة) يملى ويفيد ، ويبدى ويعيد ، مقبلا على شأنه ، ملحوظا بين أقرانه ، حتى وافاه الحمام فى سابع عشرين جمادى الآخرة من السنة مطعونا (١) . وصلى عليه

(١) أى أنه مات بالطاعون .

بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين .

* * *

ومات فيها أيضا الأجل المكرم أحمد بن عياد المغربى الجربى .

كان من أعيان أهل تونس ، وتولى بها الدواوين ، وأثرى ، فوقع بينه وبين اسماعيل كتخدا حمودة — باشة تونس — أمور أوجبت جلاءه عنها . فنزل فى مركب بأهله وأولاده وماله ، وحضر الى اسكندرية . فلما علم به القبطان أراد القبض عليه ، وأخذ أمواله ، فشفع فيه نعمان أفندى قاضى الثغر — وكان له محبة مع القبطان — فأفرج عنه ، فأهدى ابن عباد لنعمان أفندى ألف دينار فى نظير شفاعته كما أخبرنى بذلك نعمان أفندى المذكور .

ثم حضر الى مصر ، وسكن بولاق بشاطىء النيل بجوار دارنا التى كانت لنا هناك ، ومعه ابنه صغيرا ، ونحو اثنتى عشرة سرية من السرارى الحسان ، طوال الأجسام ، وهن لابسات ملابس الجزائر بهيئة بديعة تفتن الناسك . وكذلك عدة من الغلمان المماليك ... كأنما أفرغ الجميع فى قالب الجمال .. وهم الجميع بذلك الزى !

وصحبته أيضا صناديق كثيرة ، وتحائف وأمتعة ... فأقام بذلك المكان منجمعا عن الناس ، لايخرج من البيت قط ، ولا يخالط أحدا من أهل البلدة ، ولا يعاشر الا بعض أفراد من أبناء جنسه يأتونه فى النادر . فأقام نحو ثمانى سنوات . ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده .

وخرج بعده من توس اسماعيل كتخدا أيضا فارا من حمودة باشا ابن على باشا ، وحضر الى مصر ، وحج ، ورجع الى اسلامبول واتصل بحسن باشا ولازمه فاستوزره وجعله كتخداه .

فلما حضر حسن باشا الى مصر أرسل اليه ابن عياد تقدمة وهدية فقبلها .

وحضر أيضا فى أثره اسماعيل كتخداه المذكور ، فأغراه به لما فى نفسه منه من سابق العداوة . والظلم كمين فى النفس : القوة تظهره ، والضعف يخفيه .

فأرسل حسن باشا يطلب ابن عياد للحضور اليه بأمان فاعتذر وامتنع ، فسكت عنه أياما ثم أرسل يستقرض منه مالا فأبى أن يدفع شيئا ، ورد الرسل أقبح رد ، فرجعوا وأخبروا اسماعيل كتخدا — وكان بخان الشرايبى بسبب المطلوب من التجار — فحنق لذلك وتحرك كامن مافى قلبه من العداوة السابقة ، وركب فى الحال وذهب الى بولاق ودخل الى بيته وناداه ، فأجابه بأحسن الجواب ، وأبى أن ينزل اليه ، وامتنع فى حريمه ، وقال له : « أما كفاك أنى تركت لك تونس حتى أتيتنى الى هنا ؟ » ... وضرب عليه بنادق الرصاص ، فقتل من أتباعه شخصين ، فهجم عليه اسماعيل كتخدا ، وطلعوا اليه وتكاثروا عليه وقتلوه ، وقطع رأسه ، وأراد قتل ولده أيضا فوقعت عليه أمه فتركوه .

وأخرجوا جثته خارج الزقاق ، فألقوها فى طريق المارة . وأخرجوا نساءه وخدمه واحتاطوا بالبيت وختموا عليه .

ورجع اسماعيل كتخدا الى خان الشرايبى وهو ملطخ بالدم ، وبه الحاج سليمان الساسى ...فلطمه على وجهه وقال : « بلغ منكم — ياجربيون — تفعلون هذه الفعال ، وتحاربون رجال الدولة ؟ » ... وقبض عليه وصادره ..

وما الدهر ، فى حال السكون ، بساكن

ولكنه مستجمع لوثوب

سنة ١٢٠١ هجرية

المحرم

الاثنين ٧ منه (٣٠ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل بيك فى تطريدة الى مصر ، فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل . وحضر عند حسن باشا وقابله ، وهو أول اجتماعه به . فجلس معه مقدار درجتين لا غير ، واستأذنه فى القيام ، فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت مملوكه على بيك جركس ، وهو بيت أيوب بيك الصغير الذى فى الحبانية .

وكان السبب فى حضوره على هذه الصورة أنه فى يوم الخميس ٣ المحرم (٢٦ اكتوبر ١٧٨٦ م) التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية ، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم ، وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية ، وهجمت القبالى ، وألقوا بأنفسهم فى نار الحرب ، وطلب كل غريم غريمه . ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدى باشا ما تحدث به الفريقان فى شجاعته .

وأصيب اسماعيل بيك برشة رصاص دخلت فى فمه وطلعت من خده ، فولى منهزما ، وألقى نفسه فى البحر ، وركب فى قنجة ، وحضر الى مصر على الفور ، ولم يدر ماذا جرى بعده .

فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل ، واختلفت الروايات ، وكثرت الأكاذيب ، وأرجح العثمانيون ، وأرسل حسن باشا الرسل لاحضار العساكر التى بالاسكندرية وكذلك أرسل الى بلاد الروم .

السبت ١٢ منه (٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن بيك الجداوى ، وجماعة من الوجاقات والعساكر ، فذهب حسن بيك الى حسن باشا ، وقابله — وقد أصيب بسيف على يده — فخلع عليه فروة ، ثم ذهب الى بيته القديم .. وهو بيت الداوودية .

وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق ، وأصيب قاسم بيك بضربة جرحت أنفه .

وكذلك حضر عابدى باشا ، وطلع الى قصر العينى وأقام به .

وفيه : حضر ططرى وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدى باشا مكانه ، وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضا عن عابدى باشا . فشرع عابدى باشا فى نقل عزاله الى بولاق ، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أمورا باطنية .

الاثنين ١٤ منه (٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

عمل حسن باشا ديوانا فى بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ ، وألبس اسماعيل بيك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها ، وألبس حسن بيك خلعة وقلده أمير الحج . ثم قال يخاطب الجمع : « هذا اسماعيل بيك حضر اليكم وصار كبيركم ، فشدوا عزمكم وتأهبوا لقتال أخصامكم وكل انسان يقاتل عن نفسه » .. فسكتوا جميعا ولم يجيبوه . فقال أحمد جربجى أرنؤود : « كيف يخرجون من غير مصروف ؟ وكل انسان يلزمه أتباع وخدم ودواب » . فقال : « الذى يأكله الانسان فى يوم يقسمه على يومين » . فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم .

هذا واسماعيل بيك متململ من جرحه ،

والسيد عثمان الحمامى بمالجه ، وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ ، فان الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص فى الجسد فغاص نفس الزرد ، فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة بغاية المشقة والألم ، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى برىء فى أيام قليلة .

وفيه : حضر الى اسماعيل بيك رجل بدوى وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا الى بحرى ووصلت أوائلهم الى بنى سويف ، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بيك الداوودية ، ومصطفى بيك السلحدار ، وعلى أغا — خازندار مراد بيك سابقا — ونحو خمسة عشر أميرا من الكشاف ، وأن نفوسهم قويت على الحرب .

الثلاثاء ١٥ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل آغا كمشيش — وكان ممن تخلف فى الأسر عند القبليين — فأفرجوا عنه وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة .. واستعدادهم للحرب ان لم يجابوا فى ذلك .

الاربعاء ١٦ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل محمد باشا من القلعة ، وذهب الى بولاق .

الخميس ١٧ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على النفر والألضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه . ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالا — ولم يكن معه ورقة — يستحق العقوبة .. وكذلك حضور الغائبين بالأرياف .

وفيه : أخذ أحمد باشا القبطان — المعروف بحماجى أوغلى — المراكب الرومية التى بقيت فى النيل وجملة نقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريبا من التبين ، وشرعوا فى عمل متاريس وحفر خنادق هناك ، ونقلوا جملة مدافع أيضا .

وكان أشيع طلوع عابدى باشا الى القلعة فى ذلك اليوم فلم يطلع ، وحضر عنده حسن باشا وتكلم معه كلاما كثيرا وقال : « كيف أطلع وأتسلطن فى هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد ، وأولاد أخى قتلوا فى حربهم ؟ ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت » .

ثم قام من عنده ورجع الى قصر العينى .

وفيه : سافر عمر كاشف الشعراوى لملاقاة الحجاج الى القلزم ، وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة ، وأخبروا بالأمن والراحة .

الجمعة ١٨ منه (١٠ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج رضوان بيك بلفيا ، وسليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان .. وبرزوا خيامهم ناحية البساتين .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا ، وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بيك الجداوى وقلدهم صناجق وهم : شاهين وعلى وعثمان .

وفيه : حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب — كاشف الفيوم ، المعروف بأبى سعده .

السبت ١٩ منه (١١ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج غالب الأمراء الى ناحية البساتين ، وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين فى ناحية بنى سويف .

وفيه : أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر . فأعطى اسماعيل بيك عشرين ألف دينار ، وحسن بيك خمسة عشر ألفا ، ولكل صنجق عشرة آلاف ، ولكل طائفة وجاق أربعة آلاف .. فاستقل الينكجرية حصتهم ، وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزيادة فى نفقتهم .

وفيه : طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم ، فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسمرونها وكذلك البيوت ، وطلبوا أيضا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها . وعزت الخيول جدا وغلت أثمانها .

الاثنين ٢١ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على اسماعيل أغا كشيش وأمر بقتله ، وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفية ، فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه .

وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرا خطابا لبعض أنفار ، فظهروا على ذلك .. فوقع له ما وقع .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا عظيما جمع فيه الأمراء والأعيان وقرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ، ويذكرون لعابدى باشا ما نهب له فى المعركة ، وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه . فقال عابدى باشا لحسن بيك الجداوى : «ما تقول فى هذا الكلام ؟» قال : « أقول لا نأخذه الا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف » . فقال : « وهذا جوابى » .

ثم ان حسن بيك قال لحسن باشا : « يامولانا ، الرأى أن لا يصحبنا أحد من المحمدية مطلقا ، فانهم أعداؤنا فيلحقنا منهم الضرر » . فأجابه الى ذلك وأمر بجمع خيولهم .

ثم ان حسن باشا قال يخاطب الأمراء خطابا عاما: « اسمعوا ! ربما تحدثكم نفوسكم وتقولون هؤلاء عثمانية لا نملكهم بلادنا ، أو أنهم مقصرون معنا فى النفقة ، والمصرلية غرضهم مع بعضهم .. فتذهبوا معنا ثم يقع منكم الخيانة والمخامرة » . ثم حلف أنه ان وقع منهم شيء من ذلك ليكون سببا فى خراب مصر سبع سنوات ولا يبقى بها أحد .

وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابا عن رسالتهم ، ملخصها : ان كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فانهم يجابون الى ذلك . ويحضر ابراهيم بيك ومراد بيك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانا شافيا من مولانا السلطان ويوجه لهم مناصب أينما يريدون فى غير الاقليم المصرى يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من مماليكهم وأتباعهم . وأما بقية الأمراء فان شاءوا حضروا الى مصر وأقاموا بها ، وكانوا من جملة عسكر السلطان ، وان شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها ، وان أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال . .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على عمر كاشف الذى سكنه بالشيخ الظلام ، وعلى محمد أغا البارودى ، وأمر بحبسهما عند اسماعيل بيك . وسبب ذلك المكاتبات التى تقدم ذكرها مع اسماعيل أغا كشيش .

الأربعاء ٢٣ منه (١٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

سافر محمد افندى مكتوبجى حسن باشا بالمكاتبة الى القبليين .

وفيه : قتل رجل من عسكر القليونجية رجلا بربريا ، فاجتمعت طائفة البرابرة وأخذوا قتيلهم ، وذهبوا به الى حسن باشا ، فأحضر القليونجى القاتل ... وقتله .

الخميس ٢٤ منه (١٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الأغا والجاويشية ونادوا على جميع الالضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا فى المراكب صحبة الوجاقلية ، وكل من بات فى بيته استحق

العقوبة . وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عمن بها منهم ويأمرهم بالخروج . فأغلق الناس حوانيتهم ، وبطل سوق خان الخليلي فى ذلك اليوم ، وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ، ومنهم من طلع الى الأبواب حسب الأمر . وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة ، بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سماط بلكهم ، ويعلقون على دوابهم ... وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لاغير ، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده ، فان اللحم الضانى بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة ان وجد ، والجاموسى بثمانية أنصاف . وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط ، وكذلك السمن والزيت .

وفيه : نقل محمد أغا البارودى وعمر كاشف من بيت اسماعيل بيك ، وحبسا بباب مستحفظان بالقلعة .

وفيه : أرسل القبالى أحد أولاد أخى عابدى باشا ، وكان مأسورا عندهم ، وأرسلوا صحبته منهوبات عابدى باشا ، وجملة من العساكر المجروحين وأنعموا على كل عسكرى بدينار .

الأحد ٢٧ منه (١٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر محمد افندى المكتوبجى من عند الجماعة — وصحبته على أغا مستحفظان — بجواب الرسالة السابق ذكرها ، فأخبر أنهم ممتثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر ، فان فراق الوطن صعب .

ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شىء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد — أعنى اسماعيل بيك وحسن بيك — وذلك هو السبب الحاض لهم على القدوم والمحاربة .

فان لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم أخصامهم ومن العساكر العثمانية ... « فتكون الغلبة لنا ، أو علينا . فان كانت علينا ، وظفروا بنا ، استحقوا الامارة دوننا . وان كانت لنا ، وظفرنا بهم ، فالأمر لكم بعد ذلك : ان شئتم قبلتم توبتنا ، ورددتم لنا مناصبنا ، وشرطتم علينا شروطكم ، فقمنا بها قياما لا تتحول عنه أبدا ما بقينا . وان شئتم ، فوجهتمونا الى أى جهة ، امتثلنا ذلك »

فلما ذكرا ذلك لحسن باشا ، قال لعلى أغا : « أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم . وانما السلطان أمرنى بما أمرت به فان كانوا مطيعين ، فليمتثلوا الأمر . والا فسيلقون وبال عصيانهم » .

وكتب لعلى أغا جوابا بذلك ، وخلع عليه فروة سمور ، وسافر من وقته ورجع الى أصحابه ، وصحبته شخص من طرف الباشا .

ولما ذهب اليهم محمد افندى المكتوبجى أنعموا عليه وأكرموه ، وأعطاه مراد بيك خاصة ألف ريال ، فجعل يثنى عليهم ، ويمدح مكارم أخلاقهم !

صفر

الخميس اوله (٢٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضرت خزينة حسن باشا من ثغر الاسكندرية فدفع باقى النفقة للعسكر والأمراء .

وفيه : وصل الخبر ، أن الأمراء القبالى زحفوا الى بحرى ، ووصلت أوائلهم الى بر الجيزة وآخرهم بالرقق ، وفرضوا الكلف على بلاد الجيزة .

وفيه خرجت خيام اسماعيل بيك وحسن بيك الى ناحية طرا ، وحجزوا المعادى والمراكب ، وانحازت كلها الى البر الشرقى .

وفيه : طلب اسماعيل بيك دراهم سلفة من التجار ، فاعتذروا بقلة الموجود بأيديهم ، وأغنياؤهم جلوا الى الحجاز ولم يدفعوا له شيئا . وادعى على تجار

البن ، بمبلغ دراهم باقى حساب من مدته السابقة ، فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار .

الجمعة ٢ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون الى اسماعيل بيك ويقابلونه : سواء كان جنديا ، أو أميرا ، أو مملوكا ... ومن تأخر استحق العقوبة . وقبض على أنفار منهم ، وسجنوا بالقلعة ، وختم على دورهم ... من جملتهم جعفر كاشف ، الساكن عند بيت القاضى من ناحية بين القصرين .

وفيه : حضر الأغا الذى كان بصحبة على أغا المتوجه بالرسالة ، وحضر بجوابات من القبالى ملخصها : اننا طلبنا العفو مرارا فلم تعفوا ، ولم تقبلوا توبتنا . وحيث كان كذلك ، فالله أولى وبه الاعانة .

السبت ٣ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج حسن باشا ، واسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وبقية الأمراء ، وبرزوا الى نواحى البساتين .

وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الأحد — وقعت حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسماعيل كاشف ، بيته فى عطفة بخط الخيمية ، قتله مماليكه .

وسبب ذلك — على ما سمعنا — تقصيره فى حقهم ، وفى تصرفه عدة حصص جارية فى التزامه . فكتب تقاسيطها بتمامها باسم زوجته ، ولم يكتب لهم شيئا من ذلك .

وكان جبارا ظالما ، معدودا فى جملة كشاف مراد بيك . فلما حصلت المناداة على المحمدية ، ذهب الى اسماعيل بيك وقابله ، فطرده وأمره بلزوم بيته ، وإلا يخرج منه ... فذهب الى بيته وأرسل الى اسماعيل بيك حصانين بعددهما : أحدهما مركوبه ، والثانى لأحد مماليكه . وأرسل معهما درعين على سبيل التقدمة والهدية ، ليستميل خاطره .

وكان مملوكه صاحب الحصان غائبا فى شغل ، فلما حضر فلم يجد الجواد ، سأل عنه فأخبره خشداشه بصورة الحال ، فدخل الى سيده وسأله فنهره وشتمه فخرج مقهورا ، وجلس يتحدث مع رفيقه ، فقالوا لبعضهم : « هذا الرجل سيدنا ... لا نرى منه الا الأذى ، ولا نرى منه احسانا ، ولا حلاوة لسان . وكذلك الحصص كتبها لزوجته ، ولم يفعل معنا خيرا عاجلا ولا آجلا » .

وحملهم الغيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء وقتلوه ، فصرخت زوجته من أعلى ، ونزلت اليهم فقتلوها أيضا ، هى وجاريتها ، فسمعت الجيران وكثر العائط .

وحضر الوالى فوقف المملوكان وضربا عليه بنادق الرصاص ، ونقبوا بيوت الجيران ، ونطوا منها ...

فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلهما على رأس العطفة ، وأصبح الخبر شائعا بين الناس بذلك .

الأحد ٤ منه (٢٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر نجاب الحج ، وأخبر أن العرب وقفت للحجاج فى طريق المدينة ، وحاربوهم سبعة أيام ، وانجرح أمير الحج وقتل غالب أتباعه ، وخازنداره ، ومن الحجاج نحو الثلث ، ونهبوا غالب حمولهم بسبب عوائدهم القديمة .

الاثنين ٥ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

شق الأغا وأمامه المنادى يقول :

ان ابراهيم بيك ومراد بيك مطرودا السلطان ، ومن كان مختفيا أو غائبا ، وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر ، وعليه الأمان ، ولا بأس عليه ، ومن خالف فلا يلومن الا نفسه .

وفيه : انتقل عساكر القليونجية ، وعدوا الى البر الغربى ، ونصبوا هناك متاريس . وأما الأمراء

القبليون ، فانهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها بأجمعها الى البر ، وتركوا المراكب تذهب الى حال سبيلها ، وانحازوا جميعا عند الأهرام .

الأحد ١١ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة ، وهم فى أسوأ حال من العرى والجوع ، ونهبت جميع أحمال أمير الحج وأحمال التجار ، وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم ، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال . وكان أمرا شنيعا جدا .

ثم ان الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحج الشامى ، فتكلم مع العرب فى أمر النساء ، فأحضروهن عرايا ليس عليهن الا القمصان ، وأجلسوهن جميعا فى مكان .

وحرجت الناس أفواجا ، فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها ، اشتراها ممن هى فى أسره ، وصارت المرأة من نساء العرب تسوق الأربعة من الجمال والخمسة بأحمالها ، فلا تجد مانعا . وسبب ذلك كله ، رعونة أمير الحج . فانه لما أراد أن يتوجه بالحجاج الى المدينة ، أرسل الى العرب ، فحضر اليه جماعة من أكابرهم ، فدفع لهم عوائد سنتين ، وقسط البواقى على السنين المستقبلة بموجب الفرمان ، وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن ، فبدا له أن كواهم بالنار فى وجوههم ، فبلغ ذلك أصحابهم ، فقعدوا للحجاج فى الطريق فبلغ أمير الحج ذلك ، فذهب من طريق أخرى ، فوجدهم رابطين فيها أيضا ، فقاتلوه قتالا هينا ، ففر هاربا ، وترك الحجاج والعرب ، فنهبوا حملته ، وقتلوا مماليكه ، ولم يبق معه الا القليل . فهرب بمن بقى معه ، واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد . وفعلت العرب فى الحجاج مافعلوه ، وأخذوا ما أخذوه ، فلم ينج منهم الا من طال عمره ، وسلم نفسه أو افتداها ، الى غير ذلك . وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه .

الاثنين ١٢ منه (٤ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

دخل أمير الحج المذكور وخلفه محمل زوروه من المحامل القديمة ، وأشاعوا رجوعه بالكذب .. !

وفيه : هجم القبليون على المتاريس ، وأرادوا أن يملكوها فى غفلة آخر الليل ، لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا الى مصر ، واشتغلوا بالحجاج .

وكان حسن باشا ، أمس ذلك اليوم ، لما بلغه حضور الحجاج ، ركب من فوره ، وذهب الى العادلية ، فقابل أمير الحج ورجع من ليلته الى الوطاق . فلما هجموا على المتاريس ، كان المتترسون مستيقظين ، فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر ، من الفجر الى شروق الشمس ، فرجعوا الى مكانهم من غير طائل ثم هجموا أيضا يوم الثلاثاء بعد الظهر ، فضربوا عليهم ورجعوا .

الأربعاء ١٤ منه (٦ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركب الأمراء القبليون ، وحملوا أحمالهم ، وصعدوا الى دهشور ، وجلسوا هناك ، وحضر منهم جماعة من الأجناد بأمان ، وانضموا الى البحريين .

٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد كتخدا على ، ومعه بعض كشاف ومماليك .

وفيه : حصل العفو عن الألضاشات وغيرهم من المتعيشين .

وسبب ذلك أنه لما زاد الالحاح فى طلبهم ، وصار الأغا يكثر من تكرار المناداة والتفتيش عليهم فى الخانات والمساكن ، وكل من صادفه بالغ فى أذاه ... ضاق ذرعهم من ذلك . وشكا بعضهم للاختيارية ،

فتكلموا مع حسن باشا — وكان المخاطب له أحمد جربجى آرنؤود اختيار تفكجيان — فقال له :

« ياسلطانم ! الجماعة الألضاشات مكروبون من هذا الحال . وغالبهم فقراء . ومنهم من لايملك قوته وما أعطيتموهم نفقة » .

فقال : « ليست هذه الحادثة أحدثناها ... بل ذلك أمر قديم . لأنهم ينتسبون الى الوجاقات »

فقال له : « نعم . ولكن العادة القديمة كان كل وجاق له دفتر وفيه عدة معدودة منهم ولهم جدكات وعوائد وكساوى ... وهذا الأمر بطل من مدة سنين » .

فلما فهم حقيقة الحال أعفاهم وأمر الأغا فنادى عليهم بالعفو ، وكل من كان له عادة قديمة تتبعها ويكتب اسمه فى الدفتر ، ويأخذ جدك .. فاطمأنوا لذلك ...

ثم ترك هذا الأمر ، وقعدوا فى حوانيتهم ، وسكنت نفوسهم ...

أواخره (ديسمبر ١٧٨٦ م) :

أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول ، فذهب اليه أرباب الخدم والعكاكير ، واختيارية الوجاقات ، والأفندية ، وذهبوا اليه ببولاق ، وتحاسبوا معه ، ودققوا عليه فى الحساب ، فطلع عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيسا ، فطلب أن يخصم منها باقى عوائده التى بذمم الأمراء وغيرهم . فعرفوا حسن باشا عن ذلك ، فلم يقبل وقال :

« ان كان له شيء عند أحد يأخذه منه ، ولا بد من احضار الدراهم التى طلعت عليه ، فانى محتاج الى ذلك فى المصاريف اللازمة للعسكر » فشددوا عليه فى الطلب ، فضاق خناقه ، واعتذر وبكى ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك ، واستوحشا من بعضهما ، فسعى فيض الله أفندى الرئيس بينهما فى ازالة ذلك .

ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا ، واجتمع معه فى قصر الآثار .

وفيه : حضرت مكاتبة من القبالى يطلبون الأمان ، وأن يعينوا لهم أماكن فى الجهة القبلية يقيمون بها ويعيشون هناك ، فأجيبوا الى ذلك ، ويختاروا مكانا يريدونه ، بشرط أن يكونوا جماعة قليلة ، ويحضر باقى الأمراء والعسكر الى مصر بالأمان ، فلم يرضوا بالافتراق ، ولم يجابوا الا بمثل الجواب الأول ، واستقروا ناحية بنى سويف ، ورجعت عنهم عرب الهنادى وفارقوهم .

ربيع الأول

الجمعة أوله (٢٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

فيه : حضر ططرى من الدولة ، وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ، ولا يخرج مع العساكر بل يستمر محافظا فى المدينة ، فتحقق الناس اقامته ، وعدم سفره .

وفيه : شرع الأمراء فى التعدية الى الجهة الغربية . فأول من عدى على بيك الدفتردار ، فعدى الى الشمى بأثقاله . وكذلك بقية الأمراء صاروا فى كل يوم يعدى منهم جماعة .

وفيه : شرع حسن باشا فى عمل « شركفلك » ، فشرعوا فى عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان . وهو عبارة عن مترس مصنوع من أخشاب ممتدة على مقصات من خشب ، وهى قطع مفصلات ، يجمعها أغربة من حديد ، وعلى تلك المدادات عدة حراب حديد مسمرة عليها ، محددة الأطراف ، وبين كل مقصين — سفل الأخشاب الممتدة — مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب ، ومساحة ذلك نحو أربعمائة وخمسين ذراعا . وهو يوضع

على هيئات مختلفة ، مربعا ومدورا ، والعسكر من داخله متحصـــنون به ، واذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحراب .

الاثنين ٤ منه (٢٥ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

وركبت طوائف العسكر والوجاقات ، ومـــروا بنظامهم من تحت قصر الآثار ، وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم ، ثم تتابعوا فى التعدية .

الاثنين ١١ منه (اول يناير ١٧٨٧ م) :

سافر عابدى باشا ، بمن بقى معه من العسكر .

الخميس ١٤ منه (٤ يناير ١٧٨٧ م) :

كسف جرم القمر جميعه . وكان ابتداؤه من رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل .

منتصفه (٥ يناير ١٧٨٧ م) :

حضرت عساكر من الأضات ، مثل قبرص وقرمان وغير ذلك . وجاء الخبر عن الأمراء القبالى ، أنهم وصلوا الى أسيوط ، وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع فى نواحى المنيا وغيرها . فمنهم من حضر الى مصر ، ومنهم من اختفى فى البلاد .

وفيه : اشتكت الناس من غلاء الأسعار ، وتكلم الشـــيخ العروسى مع حسن باشـــا بسبب ذلك ، وقال له :

« فى زمن العصاة ، كان الأمراء ينهبون ويأخذون الأشياء من غير ثمن . والحمد لله هذا الأمر ارتفع من مصر بوجودكم ، وما عرفنا موجب الغلاء أى شىء » .

فقال : « أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم ! » .

وتشاور مع الاختيارية فى شـــأن ذلك ، فوقع الاتفاق على عمـــل جمعيـــة فى باب الينكجرية ، واحضـــار الأغا والمحتسب والمعلمين ، ويعمـــلون تسعيرة ، وينادون بها ، ومن خالف أو احتكر شيئا قتل .

السبت ١٦ منه (٦ يناير ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى باب مستحفظان ، وحضر الشـــيخ العروسى أيضـــا واتفقوا على تســـعيرة ، فى الخبز واللحم والسمن وغير ذلك ، وركب الأغا وبجنبه المحتســـب ، ونادوا فى الأســـواق ، فجعلوا اللحم الضانى بثمانية أنصاف ، وكان بعشرة ، والجاموسى بستة ، بعد سبعة ، والسمن المسلى بثمانية عشر ، والزبد بأربعة عشر ، والخبز عشرة أواق بنصـــف فضة ، وهكذا . فعزت الأشياء ، وقل وجود اللحم ، واذا وجد كان فى غاية الرداءة ، مع مافيه من العظم والكبد والفشة والكرشة .

السبت ٢٣ منه (١٣ يناير ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا المنفصل من بولاق الى رشيد .

اواخره (يناير ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأن رضوان بيك قرابة على بيك الكبير المنافق ، وعلى بيك الملط ، وعثمان بيك ، وجمـــاعة علوية ، حضروا الى عرضى التجريدة ، وأخذوا الأمان من اسماعيل بيك وعابدى باشا . وأنهم قادمون الى مصر ، وأن القبـــالى اســـتقروا بوادى طحطا مكانهم الأول ، الذى قاتلوا فيه .

ربيع الآخر

الخميس ٥ منه (٢٥ يناير ١٧٨٧ م) :

وصـــل المذكورون الى مصر ، وقابلوا حسن باشا ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وفيه : ألبسوا أوده باشا بوابه ، وكان شـــاغرا من أيام على بيك الكبير نحوا من ثمان عشره سنة .

الأحد ٨ منه (٢٨ يناير ١٧٨٧ م) :

ضربوا مدافع كثيرة وقت الضحى ، وكان أشيع

فى أمسه أن التجريدة نصرت ، وقتل من القبالى أناس كثيرة . فلما سمع الناس تلك المدافع ، ظنوا تحقيق ذلك ، وكثرت الأكاذيب والأقاويل ، ثم تبين أن لاشىء ، وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحيةالفشن ، بسبب قلة ماء النيل . ومن عادتهم أنهم اذا وصلوا للمرساة ، ضربوا مدافع فيجابوا بمثلها .

منتصفه (٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضر محمد كتخدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصاريف ، فهيئت ، وأرسلت ، وكذلك قبل ذلك مرارا كثيرة ، وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا ، وأن القبالى ارتحلوا منهـا وصعدوا الى فوق ، وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات . ثم انقطعت الأخبار .

جمـادى الأولى

فيه : زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة .

وفيه : عين حسن باشا ، على محمد باشا برشيد ، وشدد عليه فى طلب الدراهم . وضايقوه حتى باع أمتعته وحوائجه ، وغلق ماعليه ، وتوفيت زوجته ، فحزن عليها حزنا شديدا مع ماهو فيه من الكرب ، ولم يفده من فعائله وهمته التى فعلها بمصر عنـد قدوم حسن باشا شىء ، وجازاه بعد ذلك بأقبح المجازاة ! فانه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذيبه ، ما تمكن حسن باشا من دخول مصر . فانه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ، ويهول تهويلات كثيرة عليهم ، وعلى المشـايخ ، واختيـارية الوجاقات ويقول :

« اياكم والعنـاد ... واياكم أن توقعوا حربا ، فانكم تخربون بلادكم ، وتكونون سـببا فى هلاك أهلها . فانه بلغنى أنه تعين مع حسن باشا : كذا كذا ألف من الجنس الفلانى ، وكذا كذا ألف من جنس العسكر الفلانى ، وأنهم متأخرون فى الحضور عنـه تحت الاحتياج ، وكذلك فى عسـاكر البر ، الواصلة من الجهة الشامية ، ومعهم ثمانون ألف ثور ، ومائة ألف جاموس ، برسم جر المدافع . وفى المدافع ما يسحبه خمسون ثورا ... » . ونحو ذلك ، حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه .. !

وانحلت عرا الناس عنهم ، وخصوصا بما مناهم به من اقامة العدل ، ومنـع الظلم والجور ، وغير ذلك ، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمراء ، وتمنـوا زوالهم فى أسرع وقت ، وهيج النـاس وأثارهم قبل وصول حسن باشا ، وملك القلعـة ، ومهد له الأمور ... فجزاه ، بعد تمكنه ، بالخذلان والعزل ، والحساب والتدقيق ، وغير ذلك .

الأربعاء ٣ منه (٢١ فبراير ١٧٨٧ م) :

ورد نجاب ، وصـحبته مكتوب ، من عابدى باشا الى حسن باشـا ، وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين ، فى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ، عنـد الأمير ضرار ، وكانت الهـزيمة على القبـالى . ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين ، وهجموا على « شركفلك » ، فضربوا عليهم من داخـله بالمدافع والبنادق ، وقتل لاجين بيك عند شركفلك ، وقتل الـكثير من عرب الهنـادى ، وقبض على كبيرهم أسيرا . ومات من المصاحبين للعسـكر ذو الفقار الخشـاب وجماعة من الوجاقلية : منهـم عـلى جربجى المشهدى . وكانت الحرب بينهم نحو ست سـاعات ، وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى :

وكان حضور هذا النجاب على الفور من غـير تحقيق . فلما ورد ذلك ، سر الباشا سرورا كثيرا ، وأمر بعمل شنك ، فضربوا مدافع كثيرة من قصر

العينى والقلعة ، وضربوا النوبة السلطانية فى برج القلعة ، وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر ، وأرسل المبشرين الى الأعيان ، كالشيخ البكرى ، والشيخ السادات ، وأكابر الوجاقات ، وحضروا جميعا للتهنئة .

وفى عصر ذلك اليوم أحضر آلات اللهو والطرب ، فضربوا نوبة بين يديه ، وعمل فى ليلتها شنكا وحراقة صواريخ ونفوطا ، وابتهج ابتهاجا عظيما ، وسكن ما كان به من الوجل .

السبت ٦ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة ، فأخبروا فيها بتلك الواقعة ، وأن القبالى صعدوا ، بعد الهزيمة ، الى عقبة الهو على جرائد الخيل . فلم يصعدوا خلفهم ، لصعوبة المسلك على الأحمال والأثقال ، وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة ، فيحملوا الأحمال ، ويسيرون بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم ، التى توصل الى خلف العقبة . وأخبروا أيضا ، أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم ، حتى بيع الجمل وعليه النقاقير بخمسة ريالات ونحو ذلك .

ومن الحوادث فى هذه الأيام : وقوع الموت الذريع فى الأبقار ، حتى صارت تتساقط فى الطرقات . ومات لابن بسيونى غازى ، بناحية سندبون خاصة ، مائة وستون ثورا . وقس على ذلك .

الأربعاء ١٠ منه (٢٨ فبراير ١٧٨٧ م) :

طلب الباشا حوضا لبعمله حنفية ، فأخبره الحاضرون ، وعرفوه بالحوض الذى تحت الكبش ، المعروف بالحوض المرصود . فأمر باحضاره ، فأرسلوا اليه الرجال والحمالين ، وأرادوا رفعه من مكانه ، وازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء، لما تسامعوا بذلك ، لينظروا ماشاع وثبت فى أذهانهم من أن تحته كنزا ، وهو مرصود على شىء من العجائب ، أو نحو ذلك ، وان الباشا يريد الكشف عن أمره فلما حصل ذلك الازدحام ، ووجده الحمالون ثقيلا جدا — وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال — وحركوه عن مكانه يسيرا ، وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة ، أمر بتركه . فتركوه ومضوا ، فذهب العامة فى أكاذيبهم كل مذهب : فمنهم من يقول انهم لما حركوه ، وأرادوا جره ، رجع بنفسه ثانيا ، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات .

الثلاثاء ١٦ منه (٦ مارس ١٧٨٧ م) :

وصل نيف وثلاثون رأسا من قتلى القبليين ، فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة ، على سرير من جريد النخل ، وأبقوهم ثلاثة أيام . ثم دفنوهم ، ووجد فيهم رأس عزوز كتخدا عزبان .

وفى ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم ، وأخذا سلاحهم . ورفعت الشكوى الى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلما على الشجرة التى عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

السبت ٢٠ منه (١٠ مارس ١٧٨٧ م) :

تقلد حسن آغا — كتخدا على بيك الدفتردار ، المعروف بحسن جلبى — الحسبة ، وعزل ابن ميلاد .

الاثنين ٢٢ منه (١٢ مارس ١٧٨٧ م) :

نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل ، معهم أمتعة وثياب مرسلة الى القبالى ، من نسائهم . فركبوا خلفهم ، فلم يدركوهم ، وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل . ووصل خبرهم حسن باشا ، فاغتاظ على الأغا والوالى ، وأمرهما

بالذهاب الى بيوتهم ، ويسمرونها عليهن . ففعلوا ذلك ، وفضوا على الأغوات الطواشية والسقائين ، وحصلت ضجة في البلد ، بين الظهر والعصر ، بسبب ذلك وفرت زوجة ابراهيم بيك الى بيت شيخ السادات .

ثم ان رضوان بيك قرابة على بيك تشفع في تسمير البيوت ، فقبلت شفاعته ، وأرسل لمعادى الخبيرى والحيرة ، ومنعهم من التعدية ، وحجزوهم الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٤ مارس ١٧٨٧ م) :

وردت نجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدى باشا ، يخبر فيها بأن يحيى بيك ، وحسن كتخدا الجربان ، حضرا اليه بأمان ، وخلع عليهم فراوى ، وصحبتهم عدة من الكشاف والمماليك ، وذلك بعد أن وصلوا الى اسنا ، وان القبالى ذهبوا الى ناحيه أبريم فتخلف عنهم المذكورون .

الخميس ٢٦ منه (١٦ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر اسماعيل القبطان ، وكان بصحبته حمامجى أوغلى ، وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان ، وأن الأمراء القبالى ذهبوا الى أبريم ، وأنهم فى أسوأ حال ، من العرى والجوع ، وغالب مماليكهم لابسون الزعابيط مثل الفلاحين ، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم : فمنهم من حضر الى عابدى باشا بأمان ، ومنهم من تشتت فى البلاد ، ومنهم من قتله الفلاحون ، وغير ذلك من المبالغات .

فى أواخره (النصف الثانى من مارس ١٧٨٧ م) :

خلع حسن باشا على رضوان بيك العلوى وقلده كشوفية الغربية ، وقلد على بيك الملط كشوفية المنوفية ، وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة ، ونزلا الى طندتا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوى .

وفى هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران ، فى سائر الاقاليم البحرى ، ووصل الى مصر ، حتى انها صارت تتساقط فى الطرقات وغيطان المرعى ، وجافت الأرض منها : فمنها ما يدركونه بالذبح ، ومنها ما يموت . ورخص سعر اللحم البقرى جدا لكثرته ، حتى صار يباع بمصر ، آخر النهار ، كل رطلين بنصف فضة .. مع كونه سمنا غير هزيل . وعافته الناس ، وبعضهم كان يخاف من أكله .

وأما الأرياف فكان يباع فيها بالأحمال ، وبيعت البقرة بما خلفها .. بدينار . وكثر عويل الفلاحين وبكاؤهم على البهائم ، وعرفوا بموتها قدر نعمتها ؛ وغلا سعر السمن واللبن والأجبان ، بسبب ذلك ، لقلتها .

جمادى الآخرة

الأربعاء ١ منه (٢١ مارس ١٧٨٧ م) :

كان يوم النوروز السلطانى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل .

الأحد ٥ منه (٢٥ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر حمامجى أوغلى ، وأخبر أن القبالى ذهبوا الى أبريم ، وأن الباشا والوقاجلية والعسكر رجعوا الى اسنا ، وأرسلوا ستشيرون الباشا فى الذهاب خلفهم ، أو الرجوع أو الاقامة .

الاثنين ٦ منه (٢٦ مارس ١٧٨٧ م) :

سافر حمامجى أوغلى بالجوابات ، الى الجهه القبلية ، وفيها الأمر بحضور عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الى مصر ، وأن حسن بيك ومحمد بيك المبدول ، ويحيى بيك ، يقيمون باسنا محافظين .

الخميس ١٦ منه (٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، ألا يخرجن الى موسم الخماسين المعروف عند القبطة بالنسيم ، وذلك يوم الاثنين صبيحة عيدهم .

الاثنين ٢٠ منه (٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى بابطال المعاملة بالذهب الفندقلى الجديد، واستمرت المناداة على النساء فى عدم خروجهن الى الأسواق . وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر ، منها أنهم وجدوا ببيت يوسف بيك سكن حسامجى أوغلى نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالاسطبلات ، ومن النساء من لعبت على العسكر وأخذت ثيابه ، وأمثال ذلك ، فنودى عليهن بسبب ذلك ، فتضرر المحترفات منهن ، مثل البلانات ، والدايات ، وبياعات الغزل والقطن ، والكتان ، ثم حصل الاطلاق وسومحوا فى الخروج .

السبت ٢٥ منه (١٤ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضرت نجابة من قبلى ، وحضر أيضا حسامجى أوغلى ، وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا الى دجرجا .

اواخره (النصف الثانى من ابريل ١٧٨٧ م) :

وصل جماعة من الوجاقلية ، وحضر على كاشف الشعراوى ولبس قفطانا على كشوفية الشرقية .

رجب

الخميس مستهله (١٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

قبض حسن باشا على أحمد قبودان ، المعروف بحسامجى أوغلى ، وحبسه وحبس أيضا تابعه عثمان التوقتلى ، وكان يسعى معه فى الخبائث ، وكذلك رجل يقال له مصطفى خوجه .

الأربعاء ٧ منه (٢٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، أنهن اذا خرجن لحاجة ، يخرجن فى كمالهن ، ولا يلبسن الحبرات الصندل ، ولا الأفرنجى ، ولا يربطن على رءوسهن العمائم المعروفة بالقازدغلية ، وذلك من مبتدعات نساء القازدغلية . وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات ، ويجعلنها شبه الكعك ، ويملنها على جباههن ، مقوصات بطريقة معلومة لهن . وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبتها ، ومنهن من تعطى الصانعة لذلك دينارا أو أكثر أو أقل ، وفعل ذلك جميع النساء حتى الجوارى السود !

الاحد ١١ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار ، ورضوان بيك بلفيا ، وحسن بيك رضوان ، ومحمد بيك كشكش ، وعبد الرحمن بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وباقى الوجاقلية .. الى مصر ، وذهبوا الى بيوتهم ، وبات الباشا فى مصر القديمة .

الاثنين ١٢ منه (٣٠ ابريل ١٧٨٧ م) :

ركب عابدى باشا ، وطلع الى القلعة من غير موكب ، وطلع من جهة الصليبة ، وذلك قبل أذان الظهر بنحو خمس درجات . فلما استقر بها ضربوا له مدافع من الأبراج . وبعد انقضاء المدافع ، أرعدت السماء رعودا متتابعة الى العصر ، وأمطرت مطرا غزيرا . وذلك فى الرابع والعشرين من برمودة القبطى والتاسع عشر من نيسان الرومى .

وأما حسن بيك الجداوى ، فانه تخلف بقنا هو وأتباعه ، وكذلك عثمان بيك ، وسليم بيك الاسماعيلى باسنا ، ، وعلى بيك جركس بأرمنت ، وعثمان بيك وشاهين بيك الحسينى ، ويحيى بيك ،

وباكير بيك ، ومحمد بيك المبدول.. بذلك تخلفوا متفرقين فى البنادر لأجل المساقلة . وتاسم بيك أبو سيف فى منصبه بجرجا .

وأراد الباشا واسماعيل بيك أن يبتوا طائفة من الوجاقلية ، ومعهم طائفة من العسكر . فأبوا وقالوا : « حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا ، وبعد ذلك نأتى » .

وفيه : وصل الخبر بأن القبالى رجعوا الى أسوان ، وشرعوا فى التعدية الى اسنا . فأرسل اسماعيل بيك الى الاختيارية ، فحضروا عنده بعد العصر ، وتكلموا فى شأن ذلك ، بحضرة على بيك أيضا .

الثلاثاء ١٣ منه (أول مايو ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى صبح ذلك اليوم ، وانفصل المجلس كالأول .

أواخره (حوالى منتصف مايو ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأنهم زحفوا الى بحرى ، وأن حسن بيك تأخر عنهم .

شعبان

السبت أوله (١٩ مايو ١٧٨٧ م) :

جاء الخبر أن القبالى وصلوا الى دجرجا ، وأن حسن بيك والأمراء وصلوا فى التأخر الى المنية . وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك ، وشرعوا فى طلوع تجريدة . ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمراء ، واستقر الأمر بينهم فى الرأى ، أن يراسلوهم فى الصلح ، وأنهم نقيمون فى البلاد التى كانت بيد اسماعيل بيك وحسن بيك ، ويرسلوا أيوب بيك الكبير والصغير ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك المرادى ، يكونوا بمصر رهائن ، وكتبوا بذلك مكاتبات ، وأرسلوها صحبة محمد أفندى المكتوبجى ، وسليمان كاشف قنبور ، والشيخ سليمان الفيومى .

وفيه : تقلد غيطاس بيك امارة الحج .

وفيه : قررت المظالم على البلاد ، وهى المعروفة برفع المظالم . وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر أبطلها ، وكتب برفعها فرمانات الى البلاد . فلما حضر اسماعيل بيك ، حسن له اعادتها ، فأعيدت ، وسموها التحرير ، وكتب بها فرمانات ، وعينت بها المعينون ، وتفرقوا فى الجهات والأقاليم بطلبها مع مايتبعها من الكلف ، وحق الطرق وغيرها . فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيا ، على ماهم فيه من موت البهائم ، وضياف الزرع ، وسلاطة النيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقاثىء ، وغيرها ، وما هم فيه من تكلف المشاق الطارىء عليهم أيضا ، بسبب موت البهائم فى الدراس ، وادارة السواقى بأيديهم وعوافيهم ، أو بالحمير أو الخيل أو الجمال ، لمن عنده مقدرة على شرائها ، وغلت أثمانها بسبب ذلك الى الغاية . فتغيرت قلوب الخلق جميعا على حسن باشا ، وخاب ظنهم فيه ، وتمنوا زواله ، وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية فى الناس ، وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم ، فانتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية .

الأربعاء ٥ منه (٢٣ مايو ١٧٨٧ م) :

توفى أحمد كتخدا المجنون ، وقلدوا مكانه فى كتخدائيته مستحفظان رضوان جاويش تابعه ، عوضا عنه .

وفيه : قتل عثمان التوقتلى بالرميلة رفيق حمامجى أوغلى بعد أن عوقب بأنواع العذاب مدة حبسه ، واستصفيت منه جميع الأموال التى كان يملكها واختلسها ، ودل على غيرها حمامجى أوغلى ، واستمر حمامجى أوغلى فى الترسيم .

وفيه : قبض على سراج متوجها الى قبلى ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك ، فأخذت منـه ، ورمى عنقه ظلما بالرميلة .

رمضـــان

الأحد مستهله (١٧ يونية ١٧٨٧ م) :

اختصرت الأمراء من وقدة القناديل فى البيوت عن العادة .

وفيه : عبى اسماعيل بيك هدية جليلة وأرسلها الى حسن باشا ،وهى سبع فروق بن ، وخمسون تفصيلة هندى عال مختلفة الأجناس ، وأربعة آلاف نصفية دنانير نقد مطروقة ، وجملة من بخور العود والعنبر ، وغير ذلك . فأعطى للشبالين ، على سبيل الانعام ، أربعة عشر قرشا رومية ، عنها خمسمائة وستون نصف فضة .

الأحد ٨ منه (٢٤ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر حسن بيك الجداوى الى مصر .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٦ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف ، وذلك أنه لما وقع للحجاج من العربان ماوقع فى العام الماضي ، ونهبوا الحجاج ، وأخذوا المحمل ، بقى عندهم ، الى أن جيش عليهم الشريف سرور ، وحاربهم وقاتلهم قتالا شديدا ، وأفنى منهم خلائق لاتحصى ، واستخلص منهم المحمل ، وأرسله الى مصر صحبة ذلك الشريف . وقيل ان الشريف الذى حضر به ، هو الذى افتداه من العرب بأربعمائة ريال فرانسة فلما حضر خرج الى ملاقاته الأشاير ، والمحملدارية ، وأرباب الوظائف ، ودخلوا به أيضا من باب النصر وأمامه الأشاير والطبول والزمور ، وذلك الشريف راكب أمامه أيضا .

وفيه : وقعت بعد أذان العصر بساعتين حادثة مهولة مزعجة بخط البندقانيين ، وذلك أن رجلا عطارا ، يسمى أحمد ميلاد ، وحانوته تجاه خان البهار ، اشترى جانب بارود انكليزى من الفرنج فى برميلين وبطة ، ووضعها فى داخل الحانوت .. فحضر اليه جماعة من أهل الينبع وساوموه على جانب بارود ، وطلبوا منه شيئا ليروه ويجربوه . فأحضر البطة ، وصب منها شيئا فى المنقد الذى يعد فيه الدراهم ، ووضعوه على قطعة كاغد ، وأحضروا قطعة يدك ، وطيروا ذلك البارود عن الكاغد فأعجبهم ، ومن خصوصية البارود الانكليزى ، اذا وضع منه شىء على كاغد ، وطير .. فالنار لا تؤثر فى الكاغد ، ثم رموا بالقطعة اليدك على مصطبة الحانوت ، وشرع يزن لهم ، وهم يضعونه فى ظرفهم ، ويتساقط فيما بين ذلك من حباته ، وانتشر بعضها الى ناحية اليدك ، وهم لايشعرون ، فاشتعلت تلك الحبات ، واتصلت بما فى أيديهم ، وبالبطة ، ففرقعت مثل المدفع العظيم ، واتصلت النار بذينك البرميلين كذلك .. فارتفع عقد الحانوت وما جاوره ، بما على تلك العقود من الأبنية والبيوت والربع والطباق ، فى الهواء ، والتهبت بأجمعها نارا ، وسقطت بمن فيها من السكان على من كان أسفلها من الناس الواقفين والمارين ، وصارت كوما يظن من لم يكن رآه قبل ذلك ، أنه له مائة عام .. وذلك كله فى طرفة عين ، بحيث ان الواقف فى ذلك السوق أو المار ، لم يمكنه الفرار ، والبعيد أصيب فى بعض أعضائه ، اما من النار واما من الردم .

وكان السوق فى ذلك الوقت مزدحما بالناس ، خصوصا وعصرية رمضان ، وذلك السوق مشتمل على غالب حوائج الناس ، وبه حوانيت العطارين والزياتين والقبانية والصيارف وبياعى الكنافة والقطائف والبطيخ والعبدلاوى ، ودكاكين المزينين ، والقهاوى . وغالب جيران تلك الجهة

وسكان السبع قاعات وشمس الدولة .. يأتون فى تلك الحصة ، ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلى . والحاصل أن كل من كان حاصلا بتلك البقعة فى ذلك الوقت — سواء كان عاليا ، أو متسفلا ، أو مارا ، أو واقفا لحاجة ، أوجالسا — أصيب البتة .

وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف : من رصاص وقصدير ، ونحاس وكحل ، وكبريت ، وعنده موازين شبه الجلل . فلما اشتعل ذلك البارود ، صارت تلك الجلل ، وقطع الرصاص ، والكحل ، والمغناطيس .. تتطاير مثل جلل المدافع ، حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها .

وكان خان البهار مقفولا متحربا ، وبابه كبير مسمارى ، فصدمه بعض الجلل وكسره ، واشتعل بالنار ، واتصل بالطباق التى تعلو ذلك الخان . ووقعت ضجة عظيمة . وكل من كان قريبا وسلم ، أسرع بطلب الفرار والنجاة ، وما يدرى أى شيء القضية !

فلما وقعت تلك الضجة ، وصرخت النساء من كل جهة ، وانزعجت الناس انزعاجا شديدا ، وارتجت الأرض ، واتصلت الرجة الى نواحى الأزهر والمشهد الحسينى ، وظنوها زلزلة — شرع تجار خان الحمزاوى فى نقل بضائعهم من الحواصل ؛ فان النار تطارت اليه من ظاهره .

وحضر الأغا والوالى : فتسلم الأغا جهة الحمزاوى ، وتسلم الوالى جهة شمس الدولة ، وتتبعوا النار حتى أخمدوها ، وختموا على دكاكين الناس التى بذلك الخط ، وأرسلوا فختموا بيت أحمد ميلاد الذى خرجت النار من حانوته ، بعد أن أخرجوا منه النساء ، ثم أفرجوا عنهم بأمر اسماعيل بيك .

وأحضروا فى صبحها نحو المائتى فاعل ، وشرعوا فى نبش الأتربة واخراج القتلى ، وأخذ مايجدونه من الأسباب والأمتعة ، وما فى داخل الحوانيت من البضائع والنقود ، وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النساء ، وغير ذلك شيء كثير .. حتى الحوانيت التى لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها ، وأصحابها ينظرون ، ومن طلب شيئا من متاعه يقال له : هو عندنا حتى تثبته .. هذا اذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى اليه ...

وقيامة قائمة ! ومن نقرأ ومن سمع !؟

ووقفت أتباعهم بالنبابيت من كل جهة يطردون الناس ، ولا يمكنون أحدا من أخذ شيء .

وأما القتلى ، فان من كان فى السوق ، أو قريبا من تلك الحانوت والنار ، فانه احترق . ومن كان فى العلو من الطباق ، انهرس . ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقيه .

واذا ظهر وكان عليه شيء أو معه شيء .. أخذوه ، وان كانت امرأة ، جردوها ، وأخذوا حليها ومصاغها . ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم الا بدراهم يأخذونها ؛ وكأنما فتح لهم باب الغنيمة ! ! على حد قول الشاعر : « مصائب قوم عند قوم فوائد ! » .

ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته ، وجدوه تمزق واحترق وصار قطعا مثل الفحم ، فجمعوا منه ست قطع ، وأخذوا شيئا كثيرا من حانوته ، ودراهم وودائع كانت أسفل الحانوت ، لم تصبها النار ، وكتم عليها الردم والتراب .

وكذلك حانوت رجل زيات انهدم على صاحبه ، فكشفوا عنه ، وأخرجوه ميتا ، وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم ! وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوى انهدمت داره أيضا ، وأخذوا ما فيها ، ومن جملتها صندوق ضمنه دراهم لها صورة ، ونحو ذلك .

واستمر الحال على ذلك أربعة أيام ، وهم فى حفر ونبش ، واخراج قتلى وجنائز ، وبلغت القتلى التى أخرجت نيفا عن مائة نفس .. وذلك خلاف من بقى تحت الردم : منهم امام الزاوية المجاورة لذلك ، فانها انخسفت أيضا على الامام ، وبقى تحت الردم .

ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد ، وفقدوا دماغه فجمعوا أعضاءه ووضعوها فى كيس قماش ودفنوه ، وسدوا على تلك الخطة من الجهتين ، وتركوها كما هى مدة أيام ، ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة المؤرخة .. وما راء كمن سمعا !

الخميس ١٢ منه (٢٨ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر الرسل من عند القبليين ، وحضر أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية ، وعثمان بيك الطنبرجى عن مراد بيك ، وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك . فذهبوا الى حسن باشا وقابلوه ، وكذلك قابلوا عابدى باشا ، ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا وتكلموا فى شأن هؤلاء الجماعة وقالوا :

« هؤلاء ليسوا المطلوبين ، ولم يأت الا أيوب بيك الكبير من المطلوبين ، ولم يأت عثمان بيك الأشقر ، وأيوب بيك الصغير » .

فاتفق الرأى على اعادة الجواب . فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صحبة سلحدار حسن باشا .

وفى هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين ، وفيها أناس من أتباع الدولة وأعانها .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة ، وتوفى أحمد باشا واليها .

وفيه : عبى على بيك الدفتردار كساوى للأمراء ، فأرسل الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، وباقى الصناجق والأمراء ، حتى لحريمهم وأتباعهم . وأرسل أيضا لطائفة الفقهاء

وفيه : فتح السفر من جهة الموسقو ، وتقلد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا .

وفى منتصفه : وقعت حادثة بثغر بولاق بين طائفة القليونجية والفلاحين باعة البطيخ .. وذلك ان شخصا قليونجيا ساوم على بطيخة ، وأعطاه دون ثمنها ، فامتنع وتشاجر معه ، فوكزه العسكرى بسكين ، فزعق الفلاح على شيعته ، وزعق الآخر على رفقائه .. فاجتمع الفريقان ، ووقع بينهم مقتلة كبيرة ، قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين انسانا ، ومن القليونجية نحو أربعة .

الأحد ٢٢ منه (٨ يولية ١٧٨٧ م) :

قررت تفريدة على بلاد الأرياف ، أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة ، والأوسط سبعة عشر ألفا ، والأدنى تسعة آلاف . وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف ، وحق الطرق .

وفيه : رفعوا خفارة البحرين عن ابن حبيب ، وكذلك الموارد ، والتزم بها رضوان بيك ، على خمسين كيسا يقوم بها فى كل سنة لطرف الميرى . وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين ابن حبيب ، فانه لما تولى المنوفية ومر على دجوة ، أرسل له ابن حبيب تقدمة فاستقلها . ثم أرسل اليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالا ، وأشياء ، فامتنع ابن حبيب ، فأرسل يطلبه ليقابله ، فلم يذهب اليه واعتذر . ولما رجع نزل اليه ابنه على بالضيافة ، فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته ، وأضمر له فى نفسه ، وتكلم معه حسن باشا فى رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور — وطريقة العثمانية الميل الى الدنيا بأى وجه كان ! — فأخرج فرمانا بذلك .

شوال

٢ منه (١٨ يولية ١٧٨٧ م) :

برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم : سليم بيك الاسماعيلى للعربية ، وشاهين بيك الحسينى لاقليم المنصورة ، وعلى بيك الحسينى لاقليم المنوفية ، ومحمد بيك كشكش للشرقية ، وعثمان بيك الحسينى للبحيرة ، وعثمان كاشف الاسماعيلى للفيوم ، ويوسف كاشف الاسماعيلى للبهنسا ، وأحمد كاشف للجيزة .

٨ منه (٢٤ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر سلحدار الباشا ، وسليمان كاشف قنبور ، المسافران بالجوابات الى الأمراء القبليين . وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ماعينوا لهم وقالوا : « ان هذه البلاد لا تكفينا » .

فأمر لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى ، فقال اسماعيل بيك : « اطلبوا منهم حلوانها » .

فقال اسماعيل كاشف قنبور : « اجعلوا ما أخذ من بيوتهم فى نظير الحلوان » .

فقال : « كذلك » .

١٠ منه (٢٦ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور ، بخبر فيها بعصيان عرب حرب وغيرهم ، وقعودهم على الطريق ، ومنعهم السبيل ، ويحتاج أن أمير الحج يكون فى قوة واستعداد ، وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف ، وخرج اليهم فى نحو خمسة عشر ألفا .

منتصفه (٣١ يولية ١٧٨٧ م) :

كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العينى المعروفة بتكية البكتاشية ، وكانت موقوفة على طائفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية ، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب ، وصارت فى غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بيك ، وغلام يدعى أنه من ذرية مشايخها المقبورين ، فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه الى الأمراء ، وسافر الى اسكندرية فصادف مجىء حسن باشا ، واجتمع به ، وهو بهيئة الدراويش — وهم يميلون لذلك النوع — وصار من أخصائه لكونه من أصل عقيدته ، وحضر صحبته الى مصر ، وصار له ذكر وشهرة ، ويقال له الدرويش صالح . فشرع فى تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التى توسط لأربابها مع حسن باشا . فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها ، المحيطة بها ، وأنشأ بها صهريجا فى فسحة القبة ، ورتب لها تراتيب ومطبخا ، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا .

فلما تم ذلك عمل وليمة ، ودعا جميع الأمراء ، فحصل عندهم وسوسة واعتذروا وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين ، فمد لهم سماطا وجلسوا عليه ، وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسموما ، وقاموا وتفرقوا فى خارج القصر والمراكب ، وعمل شنك وحراقة نفوط وبارود ، ثم ركبوا فى حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم .

١٩ منه (٤ أغسطس ١٧٨٧ م) :

وصل باشة جده الى بولاق ، وركب حسن باشا والأمراء ، وذهبوا للسلام عليه .

وفيه حضرت بشارة من شريف مكة بنصرته على العرب ، وهزيمتهم ، وأنه قتل منهم نحو الثلاثة آلاف ، فاطمأن الناس .

وفيه : مرض عابدى باشا .

٢٤ منه (٩ أغسطس ١٧٨٧ م) :

خرج المحمل وأمير الحج غيطاس بيك ، فى موكب محتقر ، بدون الينكجرية والعزب ، مثل العام الماضى . فخرجوا الى الحصوة ، وأقاموا هناك ، ولم يذهبوا الى البركة .

الثلاثاء غايته (١٤ أغسطس ١٧٨٧ م) :

ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر ، وارتحلوا فى ضحوة يوم الأربعاء غرة شهر ذى القعدة .

ذو القعدة

الجمعة ٣ منه (١٧ أغسطس ١٧٨٧ م) : الموافق ١٣ مسرى القبطى :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك ، وعمل الشنك ، وركب حسن باشا فى صبحها ، وكسروا السد بحضرته . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يحضر عابدى باشا لمرضه .

الاثنين ٦ منه (٢٠ أغسطس ١٧٨٧ م) :

نودى على المماليك ألا يخرجوا من بيوت أسيادهم ، ولا يركبوا على انفرادهم ويمشوا فى المدينة .

وكان من السنن السابقة فى آداب المماليك ألا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدا ، فترك ذلك فى جملة المتروكات ، وتزوج المماليك ، وصار لهم بيوت وخدم ، ويركبون ويغدون ويروحون ، ويشربون الدخان وهم راكبون فى الشارع الأعظم ، وفى أيديهم شبكات الدخان من غير انكار ، وهم فى الرق ، ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم انكار أسيادهم ، وترخيصهم لهم فى الأمور . فاذا مات بعض الأعيان ، بادر أحد المماليك الى سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده ، وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت ، فيجيبه الى ذلك ، فيركب فى الوقت والساعة ويذهب الى بيت المتوفى — ولو قبل خروج جنازته — وينزل فى البيت ويجلس فيه ، ويتصرف فى تعلقاته ، ويحوزه ويملكه بما فيه ، ويقيم بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ، ويأمر وينهى ، ويطلب الغداء والعشاء والفطور ، والقهوة والشربات من الحريم ، ويتصرف تصرف الملاك . وربما وافق ذلك عرض المرأة . فاذا رأته شابا مليحا قويا ، وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك ، أظهرت له المخبآت والمدخرات ، فيصبح أميرا من غير تأمر ، وتتعدد عنده الخيول والخدام ، والفراشون والأصحاب ، ويركب ويذهب ويجىء الى بيت سيده ، وفى حاجاته وغير ذلك .

فجرى يوما بمجلس حسن باشا ذكر ركوب المماليك على انفرادهم فى الأسواق ، بحضرة بعض الاختيارية ، فقالوا : « انه قلة أدب ، وخلاف العادة القديمة التى رأيناها وتربينا عليها » . فقال الباشا : « اكتبوا فرمانا بمنع ذلك » . ففعلوا ذلك ، ونادوا به ... من قبيل الشغل الفارغ !

٧ منه (٢١ أغسطس ١٧٨٧ م) :

ثقل عابدى باشا فى المرض وأشيع موته .

١١ منه (٢٥ أغسطس ١٧٨٧ م) :

حضر حسين بيك المعروف بشفت ، من قبلى فى جملة الرهائن ، وقابل الباشا ، وأقام بمصر .

منتصفه (٢٩ أغسطس ١٧٨٧ م) :

عوفى عابدى باشا من مرضه ، وشرعوا فى طلب المال الشتوى ، فضج الملتزمون ، وتكلم الوجاقلية فى الديوان وقالوا :

« من أين لنا ما ندفعه ، وما صدقنا بخلاص

المظالم ، والصبنى ، والفردة ؟ ! ولم يبق عندنا ، ولا عند الفلاحين شيء ، أعطونا الجامكية ، ثم ندفعها لكم فى المال الشتوى » . فانحط الرأى على كتابة رجع الجامكية ، وفرح الناس بذلك . ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة الا بقدر ماعليه من الميرى ، وان زاد له شيء يبقى له وديعة بالدفتر ، وان لم يكن له جامكية يدفع ماعليه نقدا . فصار بعض الملتزمين يأتى بأسماء برانية ، وينسبها لنفسه ، لأجل غلاق المطلوب منه ، فانفضح ذلك أيضا بالنسبة له ، ومراجعة الدفتر . ثم منعوا كتابة الرجع ، وصار الأفندية يكشفون على الدفاتر ويملون ويسددون بأنفسهم : فمن زاد له شيء تبقى بالدفتر ، ومن زاد عليه شيء طلب منه .

٢٠ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

ذهب الأمراء الى حسن باشا وهم : اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ، وباقى الأمراء . فتكلم معهم بسبب الأموال التى جعلها عليهم ، والميرى المطلوب منهم ، ومن أتباعهم ، وقال لهم : « أنا مسافر بعد الأضحى ، ولا بد من تشهيل المطلوبات » . فاعتذروا وطلبوا المهلة ، فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركى ، ومن جملة ما قال لهم :

« أنتم وجوهكم مثل الحيط ! » وأمثال ذلك . فخرجوا من عنده وهم فى غاية من القهر ، وكان ذلك باغراء اسماعيل بيك . ولما ذهب اسماعيل بيك الى بيته ، طلب أمراءه ، وشنع عليهم ، كما شنع عليه الباشا . وحلف أن كل من تبقى عليه شيء — ولو ألف درهم — سلمه للباشا نقطع رأسه .

الخميس غايته (١٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

طلعوا عند عابدى باشا ، فطالبهم بالميرى أيضا ، وشنع عليهم — وخصوصا قاسم بيك أبو سيف — وحلف أنه يحبسهم حتى يدفعوا ما عليهم .

ذو الحجة

الجمعة مستهله (١٤ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

فيه : حضر الأغا وعلى يده مقرر لعابدى باشا على السنة الجديدة .

وفيه أيضا : قوى عزم حسن باشا على السفر الى بلاد الروم ، وأعطى لاسماعيل بيك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب ، وصنع له قليونا صغيرا ، وقرر ألفا وخمسمائة عسكرى يقيمون بمصر

الخميس ١٤ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

عمل حسن باشا ديوانا بالقصر ، وحضر عنده عابدى باشا والمشايخ ، وسائر الأمراء ، بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا الى الديار الرومية ، بسبب حركة السفر الى الجهاد ، وأن المسقو زحفوا على البلاد ، واستولوا على مابقى من بلاد القرم وغيرها . والثانى فيه ذكر العفو عن ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القتل ، وأن يقيم ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا ، ولا اذن لهم فى دخول مصر جملة كافية .

وفيه : نودى على صرف الريال الفرانسة بمائة نصف فضة ، وكان وصل الى مائة وعشرة . فتضرر الناس من ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٥ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا ، وكان فى عزمه النزول فى المراكب بعد صلاة الجمعة . فلما تكاملوا عنده ، قبض على الرهائن وهم : عثمان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحسين بيك شفت ، وعبد الرحمن بيك الابراهيمى . ثم أمر بالقبض على حسن كتخدا الجربان ، وسليمان كاشف قنبور ، فهرب حسن كتخدا وساق جواده ، فتبعه جماعة من العسكر . فلم يزل رامحا ، وهم

خلفه ، حتى دخل بيت حسن بيك الجداوى ، ودخل الى باب الحريم . وكان حسن بيك بالقصر ، فرجع العسكر ، وأخبروا الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فطلب حسن بيك وسأله اسماعيل بيك فقال :

« ان كان فى بيتى خـذوه » . فأرسـلوا وأحضروه ، ووضعوه صحبة المقيدين .

وفيه عزلوا عثمان أغا مستحفظان ، وقلدوا محمد كاشف — المعروف بالمتيم ، كتحدا اسماعيل بيك — أغات مستحفظان .. عوضه !

السبت ٢٣ منه (٦ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن ، وسـافر صحبته ابراهيم بيك قشـطة ليشيعه الى رشـيد ، وزار فى طريقه سـيدى أحمد البدوى بطندتا . ولم يحصل من مجيئه الى مصر ، وذهابه منها الا الضرر ولم يبطل بدعة ، ولم يرفع مظلمة ، بل تقـررت به المظالم ، والحوادث . فانهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثـل السرقة ، ويخـافون من اشاعتها ، وبلوغ خبرها الى الدولة ، فينـكرون عليهم ذلك ...

وخابت فيه الآمـال والظنون . وهلك بقدومه البهـائم التى عليها مدار نظام العـالم ، وزاد فى المظالم «التحرير» . لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم ، ثم أعاده باشارة اسماعيل بيـك ، وسماه التحرير ، فجعله مظلمة زائدة ، وبقى يقال رفـع المظالم والتحرير . فصار يقبض من البـلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف ، والبرانى ، وعوائد الكشوفية ، والفرد المتعددة ، ورفع المظالم والتحرير ، ومال الجهات ، وغير ذلك ...

ولو مات حسن باشا بالاسكندرية أو رشـيد لهلك عليه الاقليم أسفا ! وبنوا على قبره مزارا وقبة وضريحا بقصد الزيارة ! !

* * *

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، واللوذعى الفهامة ، لسـان المتكلمين ، وأسـتاذ المحققين ، الفقيه النبيه ، المسـتحضر الأصـولى ، المنطقى الفرضى الحيسوب ، الشيخ عبد الباسط السنديونى الشافعى .

تفقه على أشـياخ العصر المتقدمين ، وأجازه أكابر المحدثين . ولازم الشيخ محمد الدفرى ، وبه تخرج فى الفقـه وغيره ، وأنجب ودرس ، وأفاد وأفتى فى حياة شيوخه .

وكان حسن الالقـاء ، جيـد الحافظة ، يملى دروسه عن ظهر قلبه وحافظته ، عجيب الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية .

ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى فى مسألة مشكلة فى المناسخة ، فتصدى لتحريرها وقسمتها جماعة من الأفاضل — ومنهم الشـيخ محمد الشافعى الجناجى ... وناهيك به فى هـذا الفن ! — وتعبوا فيهـا يوما وليلة حتى حرروها على الوجه المرضى ، ثم قالوا : « دعنا نكتبها فى سؤال على بياض ونرسلها للمتصدرين للافتاء ، وننظر ماذا يقولون فى الجواب ... ولو بالمهلة » .

ففعلوا ذلك وأرسلوها للشيخ المترجم مع بعض الناس وهو لا يعلم بشىء مما عانوه . فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذى تعب فيه الجماعة يوما وليلة ... فقضوا عجبا من جودة استحضاره ، وحدة ذهنه ، وقوة فهمه ...

الا أنه كان قليل الورع عن بعض سـفاسف الأمور !

اتفق أنه تنازع مع عجوز فى فدان ونصف طين مدة سنين ، وأهين بسببها مرارا فى أيام مشـيخة الشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ الحفنى .

ورأيته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشـيخ أحمـد العروسى ، فنهاه الشيخ العروسى عنها ، ولامه فلم ينته ، فاحتد الشيخ وقال : « والله لو

كان هذا الفدان ونصف لى فى الجنة ، ونازعتنى هذه العجوز عليه ... لتركته لها ! » .

ولم يزل ينازعها وتنازعه الى أن ماتت !

وغير ذلك أمور يستحى من ذكرها فى حق مثله ... وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه ..

توفى فى أول جمادى الآخرة من السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين .

رحمه الله ، وغفر لنا وله .

سنه ١٢٠٢ هجريه

المحرم

السبت مستهله (١٣ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

عزل المحتسب ، وتولى آخر يسمى يوسف أغا الخربتاوى . وتولى عثمان بيك طبل الاسماعيلى على دجرجا .

وفيه : انفرد اسماعيل بيك الكبير فى أمارة مصر ، وصار بيده العقد والحل والابرام والنقض ، واستوزر محمد أغا البارودى وجعله كتخداه . واستمر اسماعيل كتخدا حسن باشا بمصر ، لقبض بواقى المطلوبات ، وسكن ببيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على الحاج سليمان ابن ساسى ، وحبسه ببيت محمد أغا البارودى ، وصادره فى خمسين كيسا .

فى ٥ منه (١٧ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

طلب اسماعيل بيك دراهم قرضة مبلغا كبيرا ، فوزعوا منها جانبا على تجار البن والبهار ، وجانبا على الذين يقرضون البن بالمرابحة للمضطرين ، وجانبا على نصارى القبط ، وعلى الأروام والشوام ، وعلى طوائف المغاربة بطولون والغورية ، وعلى المتسببين فى الغلال بالسواحل والرقع ، وكذلك بياعين القطن والبطانة والقماش والمنجدين ، والعقود وغير ذلك . فانزعج الناس ، وأغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان .

السبت ١٥ منه (٢٧ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

اجتمع جملة من الطوائف المذكورة ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، وضجوا واستغاثوا من هذا النازل . وحضر الشيخ العروسى ، فقاموا فى وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع ، فمنعهم من ذلك ، فصاحوا عليه وسبوه ، وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشوام . فمنع عنه المجاورون ، وأدخلوه الى الرواق ، ودافعوا عنه الناس ، وقفلوا عليه باب الرواق ، وصحبته طائفة من المتعممين ، وكتبوا عرضا الى اسماعيل بيك بسبب ذلك ، وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومى ، وانتظروه حتى رجع اليهم ومعه تذكرة من اسماعيل بيك مضمونها الأمان والعفو عن الطوائف المذكورة . وفيها أن هذا المطلوب انما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذلك . فلما قرئت عليهم التذكرة ، قالوا : « هذه مخادعة . وعند ماينفض الجمع ، وتفتح الدكاكين ، يأخذونا واحدا بعد واحد » .

ثم قام الشيخ وركب ، وحوله الجم الغفير ، والغوغاء ، وبعض المجاورين .. يدفع الناس عنه بالعصى ، والعامة يصيحون عليه ، ويسمعونه الكلام غير اللائق ، الى أن وصل الى باب زويلة ، فنزل بجامع المؤيد ، وأرسل الى اسماعيل بيك يخبره بهذا الحال .

فحنق اسماعيل بيك ، وظن أنها مفتعلة من الشيخ ، وأنه هو الذى أغراهم على هذه الأفعال فأجابه الرسل ، وحلفوا له ببراءته من ذلك ، وليس قصده الا الخلاص منهم . فقال :

« أنا أرسلت اليهم بالأمان ، ودعوهم ينفضوا . وما أحد يطالبهم بشىء » .

فانفضوا وتفرقوا .

ومضى على ذلك يومان .. فأرسلوا الى أهل الصاغة ، والجواهرجية ، والنحاسين ، وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم ، فلم يجدوا بدا من الدفع . ثم طالبوا وكالة الجلابة .. وتطرق الحال الى باقي الناس ، حتى بياعين الفسيخ . ومجموع ذلك نحو اثنتين وسبعين حرفة .

وفيه : حضر علي كاشف من جهة قبلي ، وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة الى الأمراء القبالي ، وأخبر أنهم مستقرون في أماكنهم ، ولم يتحركوا .

٢٦ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر أمير الألزم بالملاقاة الى الحج ، وكان من عادته السفر في أول الشهر . ولم يحضر في هذه السنة نجاب الجبل ، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين ، وأخذوا أيضا بيته الذي كان سكن به . فلما استقر يحيى بيك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بيك ، وهو بيت أبيها ، وهو أحق به .

صفر

الاثنين أوله (١٢ نوفمبر ١٧٨٧) :

فيه : كملت القيسارية التي عمرها اسماعيل بيك بجانب السبيل الذي بسويقة لاجين ، فأنشأ بها احدى وعشرين حانوتا وقهوة ، وجعلها مربعة الأركان — وهذا السبيل من انشاء سيده ابراهيم كتخدا — ولما أتمها نقل اليها سوق درب الجماميز بعد العصر ، وانتقل اليه الدلالون والناس والقماشون في عصرية يوم الثلاثاء ثانية . وبطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم .

وليس لاسماعيل بيك من المحاسن الا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه في هذه الجهة ، كما لا يخفى .

الثلاثاء ٢ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

اشتد الضيق في الرعية بسبب طلب السلفة ، وتعدى الحال الى بياعين الفجل والسوقة ، وتضرر الفقراء من ذلك .

الأحد ٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا والي جدة الى السويس .

السبت ١٣ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

طلع اسماعيل بيك والأمراء الى الديوان بالقلعة ، وأخرج قوائم مزاد البلاد التي تأخر على ملتزميها الميري ، فتصدر لشرائها كتخداه محمد أغا البارودي ، فاشترى نحو سبعين بلدا . وفي الحقيقة هي راجعة الى مخدومه ، يفرقها على من يشاء من أغراضه .. فشرع أولا في طلب الشتوي ، وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفا . ثم ادعى ان حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ، ودخلت في حسابه ، وطلب سنة ونصفا أخرى ، وطلب المال الصيفي أيضا . فعجز الملتزمون ، ففعل هذه الفعلة ، وأخرج قوائم مزادهم الى الديوان ، واستخلصها من ملتزميها .

وفي تلك الليلة حضرت جماعة من كشاف النواحي القبلية ، وأخبروا أن الأمراء القبالي حضروا الى أسيوط ، وأوائلهم تعدى منفلوط . فهرب من كان هناك من الكشاف وغيرهم ، وحضروا الى مصر . فلما تحققت هذه الأخبار ، طلع في صبحها اسماعيل بيك الى الديوان ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ . فتكلم اسماعيل بيك وقال :

« ياأسيادنا يامشايخ ، ياأمراء ، وياوجاقلية ، ان الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان ، وانتقلوا من أماكنهم ، وزحفوا على البلاد ، فهل الواجب قتالهم ودفعهم ؟ » .

قالوا : « نعم » .

فقال :

« ان المخالفين اذا نقضوا عهد السلطان ، ولزم

الحال الى قتالهم ، يصرف على المقاتلين من العسكر من خزينة السلطان ، وليس هنا خزينة ، فكل منكم يقاتل عن نفسه » .

فأجابه اسماعيل أفندى الخاوتى وقال :

« ونحن أى شيء تبقى عندنا ، حتى نصرفه ، وقد صرنا كلنا شحاتين لا نملك شيئا » .

فقال له الباشا :

« هذا الكلام لايناسب ، ولا ينبغى أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام ، والأولى أن تقول لهم : أنا وأنتم شيء واحد ، ان جعت جوعوا معى ، وان شبعت اشبعوا معى » .

ثم انحط الرأى بينهم على أن يكتبوا عرضا للدولة ، والاخبار عن نقضهم ، وعرضا لهم بالتحذير . وقال الباشا :

« نرسل نعلم الدولة ، وننظر مايكون الجواب . فان زحفوا قبل مجيء الجواب ، خرجنا اليهم وقاتلناهم » .

ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرياف بالحضور ، وبكى اسماعيل بيك بالمجلس ، ونهنه فى بكائه . فقال له الاختيارية :

« لا تبك يابيك ! » ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ، ومن الوجاقلية والمشايخ ، وأرسلوها صحبة واحد من طرف الباشا ، وسراج من طرف اسماعيل بيك ، وأرسلوا الى محمد باشا المسافر الى جدة بالرجوع من السويس الى مصر بأمر من الدولة .

الأحد ١٤ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

حضر جاويش الحاج من العقبة .

الأربعاء ١٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

نبهوا على مماليك الأمراء القبليين ، وكشافهم الكائنين بمصر ، بالاجتماع والحضور . فأرسل كل من كان مستخدما عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم ، فجمعهم فى مكان فى بيته . ومن كان غائبا فى حاجة ، أرسلوا اليه وأحضروه . فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم ، وأبقوهم فى الترسيم .

وأما على بيك الدفتردار ، فانه لم يسلم فيمن عنده ، وكان منقطعا فى الحريم لصداع برأسه ووجع فى عينيه من مدة شهرين .

الجمعة ١٩ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

كان نزول الحجاج ودخولهم الى مصر ، وكانوا أغلقوا أبواب مصر ، وأجلسوا عليها حرسجية ، فلم يدخل الحجاج الا من باب النصر فقط ... فتضرر الناس من الازدحام فى ذلك الباب .

وارتاح الحجاج فى هذا العام ، ولم يحصل لهم تعب ، وزاروا المدينة الشريفة .

وفيه : نزل الأغا ، وصحبته كتخدا الباشا ، وأمامهما المناداة على كل من كان مختفيا من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم .. بالظهور ، ويطلعوا يقابلوا الباشا . وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام ، فانه يستأهل الذى يجرى عليه .

وفيه : قبضوا على جماعة من المماليك والأجناد — وهم الذين كانوا فى الترسيم — وأنزلوهم فى مراكب ، وأرسلوهم الى ثغر اسكندرية ، وحبسوهم بالبرج ، ومنهم جماعة بأبى قير .

وكان على بيك توقف فى تسليم المنتسبين اليه ، فلم يزل به اسماعيل بيك حتى سلم فيهم .

السبت ٢٠ منه (أول ديسمبر ١٧٨٧ م) :

دخل أمير الحج غيطاس بيك ، وصحبته المحمل .

وفيه : قال اسماعيل بيك للمشايخ :

« اكتبوا للدولة يرسلوا لنا عساكر » .

فقال الشيخ العروسى :

« لايحتاج الى ذلك ، فان العساكر الرومية لاتنفع بين العساكر المصرية ، والأولى استجلاب خواطر الجند بالاحسان اليهم ، والذى تعطوه للأغراب أعطوه لأهل بلادكم أولى » .

وفيــه : شرع اسماعيل بيك فى طلب تفريدة من البلاد والقرى ، فجعلوا على كل بلد مائة دينــار وعشرة ، خلاف مايتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك ، وعين لقبضها خازنداره وغيره .

وفيه : قبضوا على باقى مماليك الأمراء القبلية وأجنادهم ، وأنزلوهم المراكب أيضــا ، وبعضهم أنزلوه عريانا ليس عليه سوى القميص والصديرى واللباس ، وطاقية أو طربوش معمم عليه بمحرمة أو منديل ، ونحو ذلك .

ولم تزل الحرســجية مقيمــين على الأبواب ، وحصل منهم الضرر للناس والرعية ، والمتســببين والفــلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ، ونحو ذلك وكل من أراد العبور من باب منعوه من الدخول حتى يأخذوا منه دراهم ، ولو كان بنفسه !

الأحد ٢٨ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

نزل الأغا ، وأمامه الوالى ، وأودة باشة البوابة ، وأمامهم المناداة على جميع الألضاشات المنتسبين الى الوجاقات ، بأنهم يأخذون لهم أوراقا من أبوابهم . وكل من وجد ، ولبس معه ورقة بعد ثلاثة أيام ، يحصل له مزيد الضرر . وبيــد المنادى فرمان من الباشــا .

وفيه : ركب اســماعيل بيك ونزل الى بولاق ليتفرج على «شركفلك» الذى صنعه وتم شغله . وقد زاد فى صنعته عما فعله حسن باشا ، بأن ركبه على عجل يجرونه ، وزاد فى اتقانه . وسبك جللا كثيرة للمدافع ... فلما رآه أعجبه ، وشرع أيضا فى عمل شركفلكين اثنين ، وجهز ذخيرة عظيمة من بقسماط وغــيره .

الأثنين ٢٩ منه (١٠ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر الرسول الذى كان توجه بالرسالة للأمراء القبليين ، وهو الذى من طرف الباشا ، وصحبته آخــر من طرف اسماعيل بيك ، وعــلى يدهما جوابان : أحدهما خطاب للباشــا ، والثانى خطاب للمشايخ .

واجتمعوا صبح ذلك اليوم بالديوان ، وقرأوا الجوابات . وملخصها : أنكم نسبتمونا لنقض العهد . والحال أن النقض حصل منكم بتسفير اخوانـنـا الرهائن ، وذهابهم مع قبطان باشــا الى الروم . وما فعلتم فى بيوتنا وحريمنا . ولما حصل ذلك ، احتد البعض منا ، وزحفوا الى بحرى ، فركبنــا خلفهم نردهم ، فلم يمتثلوا ، فأقمنا معهم ... وكلام هذا معناه .

فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع ، اقتضى الرأى كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ . وفيهــا الملاطفــة فى الخطاب والاعتــذار ، وأرسلوها . وأخذوا فى الاهتمام والتشهيل .

ربيع الأول

٢ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأغا ، وشق الأسواق ، وصار يقف على الوكائل والخانات ، ويفتش عــلى الألضاشات ، ودخل سوق خان الخليلى ، ونبه على أفرادهم ، وقال لهم : « فى غد أحضر فى التبديل . وكل من وجدته من غير ورقة جــدك ، فعلت به وفعلت ، وقطعت آذانه أو أنفه » .

وفيه : عزل أحمد افندى الصفائى الروزنامجى من الروزنامه لمرضه ، وتقلد أحمد أفندى — المعروف بأبى كلبة قلفة الأنبار — روزنامجى ، عوضا عنه .

٦ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس ،

وكتبوا لهم أيضـا سمهود وبرديس ، زيادة على ما بأيديهم من البلاد . والحال أن الجميع بأيديهم .

٧ منه (١٧ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، الى بيت الشيخ البكرى باستدعاء ، بسبب المولد النبوى . فلما استقر بهم الجلوس ، التفت الباشا الى جهـة حارة النصارى وسأل عنها ، فقيل له : انها بيوت النصارى . فأمر بهدمها ! والمناداة عليهم من ركوب الحمير ! فسعوا فى المصالحة ، وتمت على خمسـة وثلاثين ألف ريال : منها على الشوام سبعة عشر ألفا ، وباقيها على الكتبة !

٢٨ منه (٧ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ أحمد يونس والذى توجه صحبته من طرف الباشا ، واجتمعوا فى صبحها بالديوان عند الباشا ، وقرأوا المكاتبات ، مضمونها الجواب السابق ، وعدم الرجوع ، وأنهم طالبون أخصامهم ، وأما الباشا والوجاقلية والمشايخ فليس لهم علاقة فى شىء من ذلك ، وليس لهم الا أمراء تخدمهم ، أيا من كان .

ثم ان الشـيخ احمـد يونس قال للباشـا : « ياامولانا .. ملحص الكلام أنكم لو أعطيتموهم من الاسكندرية الى اسوان ، مايرضيهم الا دخول مصر » .

فقـال الباشا : « أنا عنـدى فتوى من شيخ الاسلام باسلامبول على جـواز قتالهم ، وكذلك أريد فتوى من علماء مصر بموجب ذلك ، وأخرج اليهم وأقاتلهم ، وأبذل نفسى ومالى .. » .
فوعدوه بذلك .

٣٠ منه (٩ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشـيخ العروسى الى الجامع الأزهر ، وكتبوا سؤالا مضمونه :

« ما قولكم .. دام فضلكم .. فى جمـاعة أمراء وكشاف ، تغلبوا على البلاد المصرية ، وحصل منهم الفساد والافساد ، ومنعوا خراج السلطان ، وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ، ومنعوا زيارة النبى عليه الصلاه والسلام ، وقطعوا علوفات الفقراء ، وجماكى المسـتحقين والأنبـار ، وأرسـل لهـم السلطان يأمـرهم وينهـاهم ، فـلم يطيعـوا ، ولـم يمتثلوا . وكرر عليهم أوامره ، فلم ينتهوا ، فعين عليهم عساكره ، وأخرجهم من البلاد . ثم ان نائبه صالحهم ، وفرض لهم أماكن ، وعاهدهم على ألا يتعدوها حقنا للدماء ، وقطعا للنزاع ، وسـكونا للفتن . وأخـذ منهم رهائن على ذلك ، ورجـع لمخدومه . فعند ذلك تحركوا ثانيا ، وزحفوا على البلاد ، وسعوا فى ايقاع الفساد ، وقطعوا الطرق ، ونقضوا العهود . فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم ، بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر ... أم كيف الحال .. ؟ » .

وكتبوا بجواز قتالهم ، ودفعهم ، ويجب على كل مسلم المساعدة ، وطلعوا بها الى الباشا .

ربيع الآخر

أوله (١٠ يناير ١٧٨٨ م) :

كتب الباشا فرمانا ، على موجب الفتوى ، ونزل به أغات مسـتحفظان ، ونادى به جهارا ، وكذلك التنبيه على جميـع الوجاقلية باتبـاع أبوابهم ، وحضور الغائبين منهم ، والاستعداد للخروج .

٣ منه (١٢ يناير ١٧٨٨ م) :

أنفق اسـماعيل بيك على الأمراء الصناجق ، وأرسـل لهم الترحيلة . فأرسـل الى حسن بيك الجداوى ثمانية عشر ألف ريال ، فغضب عليهـا وردها ، ووبخ محمـد كتخدا البارودى ، وركب مغضبا وخرج الى نواحى العادلية . فركب اليه فى

صحبتها اسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار وصالحاه ، وزادا له فى الدراهم حتى رضى ، وتكلم مع اسماعيل بيك فى تشديده على الرعية والالضاشات وقال له :

« لأى شيء يتعصب هؤلاء الناس ؟ ان كنت تريد تخرجهم سخرة ، ومن غير نفقة ، فما أحد يقاتل سخرة .. وان كنت تعطيهم نفقة فالذى تعطيه لهم ، أعطه للفرسان المقاتلين . وأما الوجاقات فليس عليهم الا درك البلد والقلعة » .

الخميس ٨ منه (١٧ يناير ١٧٨٨ م) :

سافر امام الباشا ، وعلى كاشف — من طرف اسماعيل بيك — بجوابات للأمراء القبليين ، حاصلها : اما الرجوع الى آماكنهم على موجب الاتفاق والصلح ، بشرط أن تدفعوا ميرى البلاد التى تعديتم عليها ، والا ... فنحن أيضا ننقض الصلح بيننا وبينكم .

ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ارتحل من طحطا غرة الشهر (١٠ ينساير ١٧٨٨) وحضر الى المنيا عند قسيمه مراد بيك ، وأن مراد بيك فرق البلاد من بحرى المنيا على أتباعه وأتباع الأمراء الذين بصحبته . ثم وقع التراخى فى أمر التجريدة ، وحصل التوانى والاهمال والترك ، وخرجت الخيول الى المراعى .

الجمعة ١٦ منه (٢٥ يناير ١٧٨٨ م) :

نزل عابدى باشا الى بولاق ، وركب اليه اسماعيل بيك وبقية الأمراء ، وأمامه مدافع الزمبلك على الجمال ، فتفرج على الشركفلكات ، وسيروا أمامه الثلاثة غلايين الى مصر القديمة ، وضربوا مدافعها .. ثم عاد وطلع الى القلعة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٧٨٨ م) :

عزل احمد افندى أبو كلبه من الروزنامة ، وتقلدها عثمان أفندى العباسى على رشوة دفعها وضاع على أحمد أفندى مادفعه من الرشوة !

الأربعاء ٢١ منه (٣٠ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر امام الباشا وعلى كاشف ، وأخبرا أن ابراهيم بيك حضر عند مراد بيك بالمنيا ، وأن جماعة من صناجقهم ، وأمرائهم ، وصلوا الى بنى سويف وبحريها . وأنهم قالوا فى الجواب :

« اننا تركنا لهم الجهة البحرية ، وأخذنا الجهة القبلية . فان قاتلونا عليها قاتلناهم ، وان انكفوا عنا فلسنا واصلين اليهم ، ولا طالبين منهم مصر ، ونعقد الصلح على ذلك ، فيرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية بتوافق معهم على أمر يحسن السكوت عليه » .

فعملوا ديوانا اجتمع به الجميع ، وتحالفوا واتفقوا على ارسال جواب صحبة قاصد من طرف الباشا ، مضمونه :

انهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين ، فبهما الكفاءة لفصل الخطاب ، ليحصل معهما التوافق ، ونرسل صحبتهما ما أشاروا به ...

الاثنين ٢٦ منه (٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر واحد بشلى وعلى يده مكاتبات من حسن باشا خطابا الى الباشا واسماعيل بيك وعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك واسماعيل كتخداه والشيخ البكرى . وأخبر بوصول عسكر أرنؤود الى ثغر الاسكندرية ، وعليهم كبير ومعه هدية الى الأمراء .

الخميس ٢٩ منه (٧ فبراير ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وتكلموا من جهة النفقة . فقال قاسم بيك : أما أنا فلا يكفينى خمسون ألف ريال . فقال له اسماعيل بيك : فعلى هذا أمثالك . ويحتاج حسن بيك ورضوان

بيك وعلى بيك كل واحد مائة ألف ، فلازم أننا نرسل الى السلطان يرسل لكم خزائنه حتى تكفيكم.

فرد عليه على بيك وقال : « آنا صرفت على التجريدة الأولى ، وشيلت أربع باشوات والأمراء والأجناد ، وأنت من جملتهم ، وما صادرت آحدا فى نصف فضة » .

فاغتاظ اسماعيل بيك وقال : « اعمل كبير البلد ، وافعل مثل مافعلت ، وأنا أعطيك المال الذى تحت يدى .. الذى جمعته من النـاس . خذه واصرفه بمعرفتك » .

وقام من المجلس منتورا ، فرده الباشا واختلى به وبعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك ساعة زمانية ، وتشاوروا مع بعضهم ، ثم قاموا ونزلوا .

جمادى الأولى

مستهله (٨ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر ططرى وبيده مرسومات ، فاجتمعوا بالديوان وقرأوها : أحدها بطلب مشاق ويدك . والثانى بسبب الجماعة القبليين ان كانوا مقيمين بالأماكن التى عينها لهم حسن باشا فلا تتعرضوا لهم ، وان كانوا زحفوا وتعدوا ونقضوا ، فاخرجوا اليهم ، وقاتلوهم ، وان احتجتم عساكر أرسلنا لكم . والثالث مقرر لعابدى باشا على السنة الجديدة . والرابع بالوصية على الفقراء وغلال الحرمين والأنبار والجامكية ... وأمثال ذلك من الكلام الفارغ ...

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل عن ولاية مصر .

٣ منه (١٠ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر المرسل من الجهة القبلية — وصحبته صالح أغا الوالى — بجوابات حاصلها أنهم يطلبون من طحطا الى قبلى ، ويطلبون حريمهم ، وأن يردوا لهن ما أخذوه من بلادهن . وكذلك يطلبون أتباعهم ومماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكندرية . فان أجيبوا الى ذلك لا يتعدوا بعدها على شىء أصلا .

فلما قرئت المكاتبة بحضرة الجمع فى الديوان ، قال اسماعيل بيك للباشا : لاسكن ذلك ، ولا يتصور آبدا والا افعلوا مابدا لكم ، ولا علاقة لى ، ولا آكتب فرمانا . فانى أخاف على نفسى ان زدتهم على ما أعطاهم حسن باشا . ولا بد من دفعهم الميرى .

ثم كتبوا لهم جوابا وسافر به صالح أغا المذكور وآخر من طرف اسماعيل بيك .

٨ منه (١٥ فبراير ١٧٨٨ م) :

وقع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة ، بسبب افسادهم وتعديهم ، وفسقهم مع النساء ، وأذية السوقة وأصحاب الحوانيت ، وخطفهم الأشياء بدون ثمن ، فاجتمع جمع من أهل بولاق ، وخرجوا الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى الباشا ، يشكون مانزل بهم من البلاء . فلما علم عسكر القليونجية ذلك ، اجتمعوا بأسلحتهم وحضروا اليهم ، وقاتلوهم ، وانهزم القليونجية . فنزل الأغا وتلافى الأمر ، وأخذ بخاطر العامة ، وسكن الفتنة ، وخاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم فقالوا له :

« وكيلك فلان وفلان ، هما اللذان يسلطاننا على هذه الأفعال » .

فأحضر أحدهما وقتله وفر الآخر .

١٧ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر صالح أغا بجواب ، وأخبر بصلح الأمراء القبليين . على أن يكون لهم من آسيوط وما فوقها ، ويقوموا بدفع ميرى البلاد وغلالها ، ولا يتعدوا بعد ذلك ، وأنهم يطلبون أناسا من كبارالوجاقات والعلماء ليقع الصلح بأيديهم . فعمل الباشا ديوانا ،

وأحضر الأمراء والمشايخ واتفقوا على ارسال الشيخ محمد الأمير واسماعيل أفندى الخلوتى وآخرين ، وسافروا يوم الأربعاء ١٩ منه (٢٦ فبراير ١٧٨٨ م)

٢٥ منه (٣ مارس ١٧٨٨ م) :

هبت رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثنى عشر يوما .

جمادى الآخرة

الأحد مستهله (٩ مارس ١٧٨٨ م) :

ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بنى سويف .

الثلاثاء ٣ منه (١١ مارس ١٧٨٨ م) :

وصل الخبر بأن مراد بيك حضر أيضا الى بنى سويف ، فى نحو الأربعين ، فشرع المصريون فى التشهيل والاهتمام ، وأخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين .

الخميس ٥ منه (١٣ مارس ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه ، وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحرى ، وطلبوه للنزول صحبتهم ، فقال لهم :

« حتى ترجع الرسل بالجواب ، أو نرسل لهم جوابا آخر وننظر جوابهم » . فامتثلوا الى رأيه . فكتب مكتوبا مضمونه : انكم طلبتم الصلح مرارا وأجبناكم بما طلبتم ، وأعطيناكم ماسألتم ، ثم بلغنا أنكم زحفتم ورجعتم الى بنى سويف ، فما عرفنا أى شىء هذا الحال ... والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم ، وكيفية حضوركم ، وان كنتم نقضتم الصلح والا لا ... فترجعوا الى ماحددناه لكم ، وما وقع عليه الاتفاق .

وأرسله صحبة مرسل من طرفه .

الجمعة ٦ منه (١٤ مارس ١٧٨٨ م) :

سحبوا الشركفلكات من بولاق ، وذهبوا بها الى البرطاق ، وشرع اسماعيل بيك فى عمل متاريس عند طرا والمعصرة ، وكذلك فى بر الجيزة ، وجمع البنائين والفعلة والرجال ، وأمر بحفر خندق ، وبنى أبراجا من حجر ، وحيطانا لتصف المدافع والمتاريس فى البرين .

الاثنين ٩ منه (١٧ مارس ١٧٨٨ م) :

تكامل خروج الأمراء . وفى تلك الليلة هرب بعض الأجناد والكشاف الى قبلى . فأرسل اسماعيل بيك آغات مستحفظان ، فأحاط بدورهم ، وأخرج حريمهم منها ونهبها عن آخرها وأكثره متاع النساء .

الأربعاء ١١ منه (١٩ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ، ونادى على جميع الالفاشات والأنفار بالطلوع الى القلعة ، ويأخذ كل شخص ألف فضة .

الخميس ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته ، وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بيك ومراد بيك فى بنى سويف ، وأربعة من الأمراء وهم : سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى ، وأيوب بيك الصغير ، وعثمان بيك الشرقاوى بزاوية المصلوب ، وحاصل جوابهم :

« ان يكن صلحا فليكن كاملا ، ونقعد معهم بالبلد عند عيالنا ، ونصير كلنا اخوة ، ونقيم ثأرنا فى ثأرهم ، ودمنا فى دمهم ، وعفا الله عما سلف . فان لم يرضوا بذلك ، فليستعدوا للقاء ... وهذا آخر الجواب والسلام » . وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ ، وعلى أنهم يسعون فى الصلح ، أو يخرجوا لهم على الخيل كما هى عادة المصريين فى الحروب .

وفى هذه الأيام : حصل وقف حال وضيق فى المعايش ، وانقطاع للطرق ، وعدم أمن ، ووقوف العربان ، ومنع السبل وتعطيل أسباب ، وعسر فى الأسفار برا وبحرا ، فاقتضى رأى الشيخ العروسى أنه يجتمع مع المشايخ ، ويركبون الى الباشا ويتكلمون معه فى شأن هذا الحال .

فاستشعر اسماعيل بيك بذلك ، فدبج أمرا و« صور ! » حضور ططرى من الدولة وعلى يده مرسوم ! ..

الجمعة ١٣ منه (٢١ مارس ١٧٨٨ م) :

أرسل الباشا فى عصر هذا اليوم للمشايخ والوجاقلية ، وجمعهم ، وقرأوا عليهم ذلك الفرمان ومضمونه :

الحث والأمر والتشديد ، على محاربة الأمراء القبالى ، وطردهم وابعادهم .

فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسى وقال :

« أخبرونا عن حاصل هذا الكلام ، فاننا لانعرف بالتركى » . فأخبروه فقال :

« ومن المانع لكم من الخروج ، وقد ضاق الحال بالناس ، ولا يقدر أحد من الناس أن يصل الى بحر النيل ، وقربة الماء بخمسة عشر نصف فضة ... وحضرة اسماعيل بيك مشتغل ببناء حيطان ومتاريس ،وهذه ليست طريقة المصريين فى الحروب ، بل طريقتهم المصادمة وانفصال الحرب فى ساعة ، اما غالب أو مغلوب . وأما هذا الحال ، فانه يستدعى طولا ... وذلك يقتضى الخراب والتعطيل ووقف الحال » .

فقال الباشا :

« أنا ماقلت لكم هذا الكلام أولا . وثانيا هيأ شهلوا أحوالكم ، وبهوا على الخروج يوم الاثنين وأنا قبلكم » .

الأحد ١٥ منه (٢٣ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر شخصان من الططر ، ودخلا من باب النصر ، وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يديهما مرسومات حاصلها الاخبار بحضور عساكر برية وعليهم باشا كبير .

وذلك أيضا لا أصل له !

ونودى فى ذلك اليوم بالخروج الى المتاريس ، وكل من خرج يطلع أولا الى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان ، وقدرها خمسة عشر ريالا . فطلع منهم جملة ، وأخذوا نفقاتهم ، وخرجوا الى المتاريس بالجيزة .

الاثنين ١٦ منه (٢٤ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى قصر الآثار ، ونصب وطاقه هناك ولم يأخذ معه ذخيرة ولا كلارا ، بل تكفل بمصرفه اسماعيل بيك وختم كلاره قبل نزوله .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها بوفاة الشريف سرور شريف مكة ، وولاية أخيه الشريف غالب .

الأحد ٢٩ منه (٦ أبريل ١٧٨٨ م) :

مات ابراهيم بيك قشطه صهر اسماعيل بيك ، مطعونا .

وفيه : عزل اسماعيل بيك المعلم يوسف كساب ، الجمركى بديوان بولاق ، ونفاه الى بلاد الافرنج . وقيل انه غرقه ببحر النيل ، وقلد مكانه مخائيل كحيل على عشرين ألف ريال .. دفعها .

رجب

مستهله (٧ ابريل ١٧٨٨ م) :

.. نادى المنادى بالخروج ، وهدد من تخلف ،

واستمروا متترسين بالبرين ، وبعض الأمراء ناحية طرا ، وبعضهم بمصر القديمة فى خلاعاتهم ، وبعضهم بالجيزة كذلك ، الى أن ضاق الحال بالناس ، وتعطلت الأسفار ، وانقطع الجالب من قبلى وبحرى .

وأرسل اسماعيل بيك الى عرب البحيرة والهنادى ، فحضروا بجمعهم وأخلاطهم ، وانتشروا فى الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة ، ينهبون البلاد ، ويأكلون الزروعات ، ويضربون المراكب فى البحر ، ويقتلون الناس . حتى قتلوا فى يوم واحد من بلد النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان . وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقى ، وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية . فتعطل السير برا وبحرا .. ولو بالخفارة . حتى أن الانسان يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو خارج باب النصر !

٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٨ م) :

نهب سوق انبابة .

وفيه : قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدويدار ، رجلا نصرانيا روميا صائغا .. اتهمه مع حريمه فقبض عليه ، وعذبه أياما ، وقلع عينيه وأسنانه ، وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات ... بعد أن استأذن فيه حسن بيك الجداوى ..

وعندما قبض عليه أرسل حسن بيك ونهب حانوته من جوهر ومصاغ ومتاع الناس ، وغير ذلك . وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها ، فهربت عند الست نفيسة زوجة مراد بيك .

وفيه : تشاجر شخص من أولاد البلد ، يقال له ابن البسطى يبيع الصينى مع رجل نطرونى ، فشكاه النطرونى الى محمد كاشف — تابع احمد كتخدا المجنون — فأرسل اليه يطلبه .. فامتنع عليهم ، فأرادوا القبض عليه قهرا ، فغلب عليهم وضربهم وطردهم . فأرسل له آخرين ففعل بهم كذلك .

فركب الكاشف ، والنطرونى معه ، الى الوالى وأرشوه ، وذهب معهم الى اسماعيل بيك ، وأخذوا معهم أشخاصا شهدوا على ذلك الشاب ، أنه فاجر وقاطع طريق ومؤذ لجيرانه ، واستأذنه فى قتله . فذهب اليه الوالى بجماعة كثيرة ، وقبض عليه ، وقتله تحت شباك داره وأمه تنظر اليه !

فلما كان فى صبحها اجتمع أهل حارة الشاب بباب الشعرية ، وخرجوا ومعهم بيارق وأعلام ، وخلفهم النساء يندبن ويصرخن وينعين . وحضروا الى الجامع الأزهر . وبعد حصة طلبوا الى العرضى خارج مصر ، فخرجوا ، فأظهر اسماعيل بيك الغيظ والتأسف ، وأخذ بخاطرهم ، ووعدهم بأخذ الثأر ممن تسبب فى قتله ، وأمر باحضار النطرونى ، فتغيب ، فأمر بالتفتيش عليه .

وانفض الجمع ، وبردت القضية وراحت على من راح ، والأمر لله وحده !

٦ منه (١٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

أخذ اسماعيل بيك فرمانا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بيك أمير الحج ، ليستعين بها على الحج ، وقرر على كل بلد مائة ريال وجملا .

٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ بقصر العينى ، فأظهر لهم اسماعيل بيك الفرمان ، وعرفهم احتياج الحال لذلك . فقام الاختيارية ، وأغلظوا عليه ومانعوا فى ذلك .

١٢ منه (١٨ ابريل ١٧٨٨ م — الموافق ١٢ برمودة ١٥٠٤ ق) :

أمطرت السماء صبح ذلك اليوم .

١٣ منه (١٩ ابريل ١٧٨٨ م) :

هبت رياح جنوبية باردة قوية ، وأثارت غبارا كثيرا واستمرت الى ثانى يوم .

١٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٨ م) :

وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤود الى ساحل بولاق ، وعليهم كبير يسمى اسماعيل باشا ، فخرج اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ورضوان بيك ، لملاقاته ، ومدوا له سماطا عند مكان الحلى القديم .

١٨ منه (٢٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء ، وأطبق الغيم قبل الغروب ، وأرعد رعدا قويا ، وأبرق برقا ساطعا ، ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية ، واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل . وكان ذلك فى ١٧ برمودة .

فسبحان الفعال لما يريد !

٢٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٨ م) :

كان عيد النصارى . وفيه تقررت الفردة المذكورة ، وسافر لقبضها سليم بيك أمير الحج ، ولم يفد من قيام الوجاقلية وسعيهم فى ابطالها شىء . فانهم لما عارضوا فى ذلك فتح عليهم طلب المساعدة ، وليس بأيدى الملتزمين شىء يدفعونه فقال : اذا كان كذلك فاننا نقبضها من البلاد ! فلم يسعهم الا الاجابة .

٢١ منه (٢٧ ابريل ١٧٨٨ م) :

حضر الى ثغر بولاق أغا أسود ، وعلى يده مقرر لعابدى باشا ، وخلعة لشريف مكة . فطلع عابدى باشا الى القلعة ، وعمل ديوانا فى يوم الثلاثاء ، واجتمع بالأمراء والمشايخ والقاضى وقرأوا المقرر .

ووصل صحبة الأغا المذكور ألف قرش رومى ، أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخارى ، ويدعون له بالنصر !

٢٣ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٨ م) :

سافر سليم بيك ، ونزل الى القلبوبية .

وفيه قتل اسماعيل باشا كبير الأرنؤود ، رئيس عسكره وكان يخشاه ويخاف من سطوته . قيل انه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمراء القبليين رغبة فى كثرة عطائهم ، فطالبه بنفقة ، وألح عليه ، وقال له : ان لم تعطهم والا هربوا حيث شاءوا . فحضر عنده وفاوضه فى ذلك فلاطفه وأكرمه واختلى به واغتاله ، وقطع رأسه وألقاه من الشباك لجماعته .

٢٥ منه (أول مايو ١٧٨٨ م) :

كتبوا قائمة بأسماء المجاورين والطلبة ، وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفى طائفة من المجاورين .. فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده ، فوزعوها بحسب الحال : أعلى وأوسط وأدنى . فخص الأعلى : عشرون قرشا ، والأوسط عشرة ، والأدنى أربعة . وكذلك طوائف الأروقة بحسب الكثرة والقلة .

ثم أحضروا أجزاء البخارى وقرأوه ، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة !

٢٨ منه (٤ مايو ١٧٨٨ م) :

توفى صاحبنا حسن أفندى قلفة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندى ميسو كاتب اليومية .

وفيه : توفى أيضا خليل أفندى البغدادى الشطرنجى .

شعبان

الأربعاء أوله (٧ مايو ١٧٨٨ م) :

عدى بعض الأمراء بخيامهم الى البر الغربى ، ثم رجعوا فى ثانيه ، ثم عدى البعض ورجع البعض . وكل ذلك ايهامات بالسفر وتمويهات من اسماعيل بيك . وفى الحقيقة قصده عدم الحركة . وضاقت

أنفس المقيمين بالمتاريس ، وقلقوا من طول المدة ، وتفرق غالبهم ، ودخلوا المدينة .

الأحد ٥ منه (١١ مايو ١٧٨٨ م) :

حضر الى مصر رجل هنـدى ، قيل انه وزير سلطان الهند حيدر بيك ، وكان قد ذهب الى اسلامبول بهدية الى السلطان عبد الحميد ، ومن جملتها : منبر وقبلة مصنوعان من العود القاقلى صنعة بديعة ، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل وأغربة من فضة وذهب ، وسرير يسع ستة أنفار ، وطائران يتكلمان باللغة الهندية .. خلاف البيغا المشهور . وأنه طلب منه امدادا يستعين به على حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده ، فأعطاه مرسومات الى الجهات بالاذن لمن يسير معه ، فسار الى الاسكندرية ، ثم حضر الى مصر ، وسكن ببولاق . وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسى من فضة ، ويحمل على الأعناق .

وقد ماتت العساكر التى كانت معه ، ويريد اتخاذ غيرها من أى جنس كان . وكل من دخل فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة فى جبهته لاتزول ، فنفرت الناس من ذلك .

وملابسهم مثل ملابس الافرنج ، وأكثرها من شيت هندى مقمطة على أجسامهم ، وعلى رأسهم شقات أفرنجية .

٧ منه (١٣ مايو ١٧٨٨ م) :

رجع الأمراء والوجاقلية الى بيوتهم ، وأشاعوا أن الأمراء القبليين رحلوا ورجعوا القهقرى الى قبلى .

١٠ منه (١٦ مايو ١٧٨٨ م) :

خرجوا ثانيا ، وأشيع حضورهم الى الشيمى .

الجمعة ١٧ منه (٢٣ مايو ١٧٨٨ م) :

فى ليلتها خرج الأمراء بعد الغروب ، وأشيع وصول القبليين ، وهجومهم على المتاريس .

وفى صبح ذلك اليوم حصلت زعجة وضجة ، وهرب الناس من القرافتين ، ونودى بالخروج ، فلم يخرج أحد . ثم برد هذا الأمر .

وفى تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة ، يقال لهم « البصاصون » . وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم ، واختصوا بها دونه ، ولم يشركوه معهم .

الاثنين ٢٧ منه (٢ يونية ١٧٨٨ م) :

مات محمد أغا مستحفظان ، المعروف بالمتيم .

الأربعاء ٢٩ منه (٤ يونية ١٧٨٨ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى ، وكان المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع . وأظلم الجو الا يسيرا ، ثم انجلى ذلك عند الزوال .

رمضـان

٣ منه (٧ يونيه ١٧٨٨ م) :

قلدوا اسماعيل بيك ، خازندار اسماعيل بيك — الذى كان زوجه باحدى زوجات أحمد كتخدا المجنون — أغات مستحفظان ، وقلدوا خازندار حسن بيك الجداوى واليا ، عوضا عن اسماعيل أغا الجزايرلى .. لعزله .

فى ١٢ منه (١٦ يونية ١٧٨٨ م) :

حضر ابراهيم كاشف من اسلامبول ، وكان اسماعيل بيك أرسله بهدية الى الدولة ، فأوصلها ورجع الى مصر بجوابات القبول ، وأنه لما وصل الى اسلامبول ، وجد حسن باشا نزل الى المراكب مسافرا الى بلاد الموسقو ، وبينه وبين اسلامبول

نحو أربع ساعات . فذهب اليه وقابله ورجع معه فى شكترية الى اسلامبول ، وطلع البلدية بحضرته .

وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بيك ، ومراد بيك ، دخلا الى مصر وخرج من فيها ، وحصل هناك هرج عظيم بسبب ذلك . فلما وصل ابراهيم كاشف هذا بالبلدية ، حصل عندهم اطمئنان وتحققوا منه عدم صحة ذلك الخبر .

فى ٢٤ منه (٢٨ يونية ١٧٨٨ م) :

نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس ، وفيها شيء كثير جدا من أموال التجار والحجاج . ونهب فيها التجار خاصة ، ستة آلاف جمل ، مابين قماش وبهار ، وبن وأقمشة وبضائع . وذلك خلاف أمتعة الحجاج ، وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم ، وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن . ثم باعوهن لأصحابهن عرايا ، وحصل لكثير من الناس وغالب التجار الضرر الزائد ، ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ، ورجع عريانا ، أو قتل وترك مرميا .. !

فى ٢٥ منه (٢٩ يونية ١٧٨٨ م) :

وقع بين طائفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطىء النيل ببولاق ، وبين عسكر القليونجية مقاتلة ، وسبب ذلك .. أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة من القليونجية المتقيدين بقليون اسماعيل بيك ، ومعهم نساء يتعاطون المنكرات الشرعية . فكلمهم المغاربة ونهوهم عن فعل القبيح ، وخصوصا فى مثل هذا الشهر ، أوانهم يتباعدون عنهم .. فضربوا عليهم طبنجات . فثار عليهم المغاربة ، فهرب القليونجية الى مراكبهم ، فنط المغاربة خلفهم ، واشتبكوا معهم ، ومسكوا من مسكوه ، وذبحوا من ذبحوه ، ورموه الى البحر ، وقطعوا حبال المراكب ، ورموا صواريها .

وحصلت زعجة فى بولاق تلك الليلة ، وأغلقوا الدكاكين ، وقتل من القليونجية نحو العشرين ، ومن المغاربة دون ذلك .

فلما بلغ اسماعيل بيك ذلك اغتاظ ، وأرسل الى المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم ، فانتقلوا الى القاهرة وسكنوا بالخانات .

فلما كان ثانى يوم ، نزل الأغا والوالى ونادوا فى الأسواق على المغاربة الحجاج بالخروج من المدينة الى ناحية العادلية ، ولا يتيمموا بالبلد ، وكل من آواهم يستاهل ما يجرى عليه .. فامتنعوا من الخروج وقالوا :

« كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها عطشا ! » ، وذهب منهم طائفة الى اسماعيل كتحدا حسن باشا ، فأرسل الى اسماعيل بيك بالروضة يترجى عنده فيهم . فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله . فتجمعوا أحزابا واشتروا أسلحة ، وذهب منهم طائفة الى الشيخ العروسى ، والشيخ محمد بن الجوهرى . فتكلموا مع اسماعيل بيك : فنادى عليهم بالأمان .

أواخره (أوائل يولية ١٧٨٨ م) :

ورد خبر من دمياط ، بأن النصارى أخذوا من على ثغر دمياط اثنى عشر مركبا .

شوال

الثلاثاء ٤ منه (٨ يولية ١٧٨٨ م) :

حضر سليم بيك من سرحته .

الأربعاء ٥ منه (٩ يولية ١٧٨٨ م) :

أرسل الأغا بعض أتباعه بطلب شخصين من عسكر القليونجية ، من ناحية بين السورين ، بسبب شكوى رفعت اليه فيهما . فضرب أحدهما أحد المعينين .. فقتله ، فقبضوا عليه ، ورموا عنقه أيضا بجانبه .

وفيه : حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة الى مصر ، وهم من العبايدة ، وقابلوا اسماعيل بيك ، وصالحوه على مال !.. وكذلك الباشا ، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحج ، وخلع عليهم .

ولما نهبت القافلة ، اجتمع الأكابر والتجار ، وذهبوا الى اسماعيل بيك ، وشكوا اليه ما نزل بهم ... فوبخهم ، وأظهر الشماتة فيهم !

وقال لهم : « أنتم ناس أكابر . أنا أطلب العرب لشيل الذخيرة ، وأنتم تحجزونهم لأنفسكم ، وترغبونهم فى زيادة الأجرة لأجل أغراضكم ومتاجركم ، وتعطلوا أشغال الدولة ، ولا تستأذنوا أحدا .. فجزاؤكم ما حل بكم » .

ثم ذهبوا الى الباشا أيضا ، وكلموه . فقال لهم مثل ذلك ، وقال أيضا : « انه بلغنى أنكم تختلسون الكثير من المحزوم والبضاعة ، وتأتون بها من غير جمرك ولا عشور ، فوقع لكم ذلك قصاصا ببركة جدى لأنى شريف ! وأنتم أكلتم حقى » .

فأجابه بعضهم — وهو السيد باكير — وقال له : « يا مولانا الوزير ، جرت العادة أن التجار يفعلون ذلك ، ويقولون ما أمكنهم . وعلى الحاكم التفتيش والفحص ! » .

فاغتاظ من جوابه ، وقال : « انظروا هذا ... كيف يجاوبنى ويشافهنى ، ويرد علىّ الكلام والخطاب ! ما رأيت مثل أهل هذه البلدة ، ولا أقل حياء منهم ! » . وصارت يده ترتعش من الغيظ ، وخرجوا من بين يديه آيسين .. والحاضرون يلطفون له القول ويأخذون بخاطره ، وهو لا ينجلى عنه الغيظ ، وهو يقول : « كيف أن مثل هذا العامى السوقى يرد علىّ هذا الجواب ؟! ولولا خوف من الله لفعلت به وفعلت .. » . فلو قال له أن حقك هذا الذى تدعيه مكس وظلم ، أو نحو ذلك .. لقتله بالفعل ... والأمر لله وحده !

وانفصل الأمر على ذلك .

السبت ٨ منه (١٢ يولية ١٧٨٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسينى على العادة .

الثلاثاء ١١ منه (١٥ يولية ١٧٨٨ م) :

فى ثالث ساعة من الليل ، حصلت زعجة عظيمة ، وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس . وأشيع أن الأمراء القبليين عدوا الى جهة الشرق ، وركب الوالى والأغا ، وصاروا يفتحون الدروب بالمنالات ، ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى المرضى . وباتوا بقية الليل فى كركبة عظيمة ، وأصبح الناس دائخين ، والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج ، وظن الناس هجوم القبليين ودخولهم المدينة .

فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة ، وأصبحت القضية باردة ، وظهر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس فى غفلة من الليل ، فسبق الجين بالخبر ، فوقع ماذكر . فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة ، وشرعوا فى بناء متاريس ، ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق ، ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ماعدا اسماعيل بيك ، فانه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحج .

السبت ٢٢ منه (٢٦ يولية ١٧٨٨ م) :

خرج سليم بيك أمير الحج بموكب المحمل . وكان مثل العام الماضى فى قلة ، بل أقل ، بسبب اقامة الأمراء بالمتاريس .

ذو القعدة

١ منه (٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

فى ذلك اليوم رسموا بنفى سليمان بيك الشابورى الى المنصورة ، وتقاسموا بلاده .

وفيه : رجع الأمراء من المتاريس الى مصر

التسديية كما كانوا ، ولم يبق بهـا الا المرابطون قبل ذلك .

٢ منه (٤ أغسطس ١٧٨٨ م) :

ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسى ، بسبب الجراية ، وقفلوا فى وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب ، بعد كلام وصياح ، ومنعوه من الخروج ، فرجع الى رواق المغاربة ، وجلس به الى الغروب . ثم تخلص منهم وركب الى بيته . ولم يفتحوا الجامع ، وأصبحوا فخرجوا الى السـوق ، وأمروا النـاس بغلق الدكاكين ، وذهب الشيخ الى اسماعيل بيك وتكلم معه فقال له :

« أنت الذى تأمرهم بـذلك وتريدون بـذلك تحريك الفتن علينـا ، ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون » فتبرأ من ذلك ، فلم يقبل .

وذهب أيضا ، وصحبته بعض المتعممين ، الى الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فقال الباشـا مثل ذلك ، وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ، ليؤدبهم وينفيهم ، فمانعوا فى ذلك ، ثم ذهبوا الى على بيك الدفتردار — وهو الناظر على الجامع — فتلافى القضية ، وصالح اسماعيل بيك ، وأجروا لهـم الأخباز بعد مشقة وكلام من جنس ماتقدم ، وامتنع الشـيخ العروسى من دخول الجامع أياما ، وقرأ درسه بالصالحية .

١٤ منه (١٦ أغسطس ١٧٨٨ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وركب الباشا فى صبحها ، وكسر سد الخليج .

٢٠ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٨ م) :

انفتح سد ترعة مويس ، فأحضر اسماعيل بيك ، عمر كاشف الشعراوى — وهو الذى كان تكفل بهـا ، لأنه كاشف الشرقية — ولامـه ، ونسبه للتقصير فى تسكينها ، وألزمه بسدها .. فاعتـذر بعدم الامكان ، وخصوصا وقد عزل من المنصب ، وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد . فاغتاظ منه ، وأمر بقتله . فاستجار برضوان كتخدا مستحفظان ، فشفع فيه ، وأخذه عنده ، وسعى فى جريمتـه ، وصالح عليه .

٢١ منه (٢٣ أغسطس ١٧٨٨ م) :

أحضروا سلمان بيك الشابورى من المنصورة .

ذو الحجـة

الثلاثاء غرته (٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

حضر قليونان رومبان الى بحر النيل ببولاق ، يشتمل أحدهما على واحد وعشرين مدفعا ، والثانى أقل منه ، اشتراهما اسماعيل بيك .

وفيه : زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب .

الاثنين ١٤ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، وتشاوروا فى خروج تجريدة ، وشاع الخبر بزحف القبليين .

الأربعاء ١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، جمع به سائر الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، بسبب شخص آلجى ، حضر بمكاتبات من قرال الموسـقو . ولحضـوره نبـأ ينبغى ذكره ، كمـا نقل الينـا ، وهو : أن قرال الموسـقو لمـا بلغـه حـركة العثمنلى فى ابتـداء الأمـر عـلى مصر ، أرسـل مكاتيـة الى أمراء مصر ، على يد القنصـل المقيم بثغر الاسـكندرية ، يحذرهم من ذلك ، ويحضهم على تحصين الثغر ، ومنع حسن باشا من العبور . فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم ، وأطلعهم على ذلك فأهملوه ، ولم يلتفتوا اليه ، ورجع من غير رد

جواب . وورد حسن باشا ، فعند ذلك انتبهوا ، وطلبوا القنصل ، فلم يجدوه ، وجرىما جرى ، وخرجوا الى قبلى ، وكاتبوا القنصل ، فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجانا واجتمع بهم ورجع .

وصادف وقوع الواقعة بالمنشية فى السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين ، وشاع الخبر فى الجهات بعودهم .

وقد كان أرسل لنجدتهم عسكرا من قبله ومراكب ومكاتبات صحبة هذا الألجى ، فحضر الى ثغر دمياط فى أواخر رمضان ، فرأى انعكاس الأمر ، فعربد بالثغر وأخذ عدة نقاير ، ورجع الى مرساه وأقام بها ، وكاتب قراله وعرفه صورة الحال . وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضا ، وان العثمنلى لم يزل مقهورا معهم . فأجمع رأيه على مكاتبة المستقرين وامدادهم ، فكتب اليهم وأرسلها صحبة هذا الالجى ، وحضر الى دمياط ، وأنفذ الخبر سرا بوصوله ، وطلب الحضور بنفسه ، فأعلموا الباشا بذلك سرا وأرسلوا اليه بالحضور .

فلما وصل الى شلقان ، خرج اليه اسماعيل بيك فى تطريدة كأن لم يشعر به أحد ، وأعد له منزلا ببولاق ، وحضر به ليلا وأنزله بذلك القناق . ثم اجتمع به صحبة على بيك ، وحسن بيك ، ورضوان بيك ، وقرأوا المكاتبات بينهم . فوصل اليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا ، وطلبوا ذلك الألجى عند الباشا .. وذلك باشارة خفية بينهم وبين الباشا ، فركبوا معه الى قصر العينى ، وأرسل الباشا فى تلك الليلة التنابيه لحضور الديوان فى صبحها . فلما تكاملوا ، أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت فى المجلس ، والترجمان يفسرها بالعربى ، وملخصها : « خطابا الى الأمراء المصرية .. بانه بلغنا صنع ابن عثمان الخائن الغدار معكم ، ووقوع الفتن فيكم ، وقصده أن بعضكم يقتل بعضا ، ثم لايبقى على من يبقى منكم ، ويملك بلادكم ، ويفعل بها عوائده من الظلم والجور والخراب . فانه لايضع قدمه فى قطر الا ويعمه الدمار والخراب . فتيقظوا لأنفسكم ، واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية ، وارفعوا بنديرتنا ، واختاروا لكم رؤساء منكم ، وحصنوا ثغوركم ، وامنعوا من يصل اليكم منهم .. الا من كان بسبب التجارة ، ولا تخشوه فى شيء ، فنحن نكفيكم مؤنته ، وانصبوا من طرفكم حكاما بالبلاد الشامية كما كانت فى السابق ، ويكون لنا أمر بلاد الساحل ، والواصل لكم كذا وكذا مركبا ، وبهما من كذا العسكر والمقاتلين . وعندنا من المال والرجال ما تطلبون ، وزيادة على ما تظنون » .

فلما قرىء ذلك ، اتفقوا على ارسالها الى الدولة ، فأرسلت فى ذلك اليوم ، صحبة مكاتبة من الباشا والأمراء ، وأنزلوا ذلك الألجى فى مكان بالقلعة مكرما ..

الاثنين ٢١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهة قبلى ، وأبقوا اثنين ، وأرسلوا بها عثمان بيك طبل الاسماعيلى وعساكر رومية . والله أعلم .

* * *

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، أحد المتصدرين ، وأوحد العلماء المتبحرين ، حلال المشكلات ، وصاحب التحقيقات ، الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكى الأزهرى .

ولد بالجدية فى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف — وهى قرية قرب رشيد وبها نشأ .

وقدم الجامع الأزهر ، فتفقه على بلديه الشيخ شمس الدين محمد الجداوى ، وعلى أفقه المالكية فى عصره : السيد محمد بن محمد السلامونى ، وحضر على الشيخ على خضر العمروسى ، وعلى

السيد محمد البليدى والشيخ على الصعيدى . آخذ عنهم الفنون بالاتقان ، ومهر فيها حتى عد من الأعيان ، ودرس فى حياة شيوخه وأفتى .

وهو شيخ بهى الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجة ، شديد العارضة ، يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه الرائق . وحلقة درسه عليها الخفر ، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر .

وكان ينزل الى بلده الجدية فى كل سنة مرة ، ويقيم بها أياما ، ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم ومواريثهم ، ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة الى حضوره ، ولا يثقون الا بقوله ... ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك مايكفى عياله الى قابل ... مع الحشمة والعفة ...

* * *

ومات الامام العالم العلامة ، الفقيه المحدث النحوى ، الشيخ حسن الكفراوى الشافعى الأزهرى .

ولد ببلدة كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى . فقرأ القرآن ، وحفظ المتون بالمحلة ، ثم حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت — مثل الشيخ أحمد السجاعى والشيخ عمر الطحلاوى والشيخ محمد الحفنى والشيخ على الصعيدى — ومهر فى الفقه والمعقول ، وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره .

ولازم الاستاذ الحنفى ، وتداخل فى القضايا والدعاوى ، وفصل الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ، ونما أمره ، وراش جناحه ، وتجمل بالملابس وركوب البغال ، وأحدق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوى بحارة الشنوانى — بعد موت ابنه سدى على — فزادت شهرته ، ووفدت عليه الناس ، وأطعم الطعام ، واستعمل مكارم الأخلاق .

... ثم تزوج بينت المعلم درع الجزار بالحسينية ، وسكن بها ، فجيش عليه أهل الناحية ، وأولو النجدة والزعارة والشطارة ، وصار له بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده .. ولو من الحكام .

وتردد الى الأمير محمد بيك أبى الذهب قبل استقلاله بالامارة ، وأحبه وحضر مجالس دروسه فى شهر رمضان بالمشهد الحسينى . فلما استبد بالأمر لم يزل يراعى له حق الصحبة ، ويقبل شفاعته فى المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان فى آى وقت أراد ... فزادت شهرته ، ونفذت أحكامه وقضاياه .

واتخذ سكنا على بركة جناق أيضا .

ولما بنى محمد بيك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رآسة التدريس والافتاء ومشيخة الشافعية ، وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور وقصر عليهم الافتاء ، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها آنشأها لهم بظاهر الميضأة بجوار التكية التى جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصة من النهار فى ضحوة كل يوم للافتاء بعد القائهم دروس الفقه . ورتب لهم مايكفيهم ، وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات ... فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ، ونوه بشأنه عند الأمراء والناس ، وأبرزه لهم فى قالب الولاية ، وجعل شعوذته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات .. الى أن اتضح أمره ليوسف بيك ، فتحامل عليه وعلى قرينه الشيخ المترجم من أجله ، ولم يتمكن من ايذائهما فى حياة سيده .

فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه فى بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والافتاء ... فانكسف باله ، وخمد مشعال

ظهوره بين أقرانه الا قليــلا ... حتى هلك يوسف بيك قبل تمام الحول ، ونسيت القضــية ، وبطل أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله .. لا كالأول .

ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورا وتعلل ، وذلك فى عشرين شعبان من السنة .

ومن مؤلفاته اعراب الآجرومية ، وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة .

وكان قوى البأس ، شــديد المراس ، عظيم الزمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظائم ، يغلب على طبعه حب الرياسـة ، والحــكم والسياسة ، ويحب الحركة بالليل والنهـار ، ويمل السـكون والقرار . . وذلك ممـا يورث الخلل ، ويوقع فى الزلل .

فان العـلم اذا لم يقرن بالعمل ، ويصـاحبه الخـوف والوجل ، ويجمـل بالتقـوى ، ويزين بالعفاف ، ويحلّ باتباع الحق والانصاف ... أوقع صاحبه فى الخذلان ، وصيره مثلة بين الأقران ..

اللهم الطف بنا ، ووفقنا ، وارحمنا ، وأحسن عاقبتنا ، وقنا ، واكفنـا شر أنفسـنا ، يا أرحـم الراحمين ، اللهم آمين .

* * *

ومات أيضا العلامة الأديب ، واللوذعى اللبيب ، المتقن المتفنن ، الشـيخ محمـد بن على المعروف بالشافعى التونسى ، نزيل مصر .

ولد بتونس سـنة ١١٥٣ ، ونشـأ فى قراءة القرآن وطلب العلم . وقدم الى مصر سنة ١١٧١ ، وجاور بالأزهر برواق المغـاربة ، وحضر علمـاء العصر فى الفقة والمعقولات ، ولازم دروس الشيخ على الصعيدى وأبى الحسن القلعى التونسى شيخ الرواق .

وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر ، وتخلق بأخلافهم ، وطالع كتب التاريخ والأدب ، وصار له ملكة فى استحضار المناسبات الغريبة والنـكات ، وتزوج وتزيا بزى أولاد البلد ، وتحلى بذوقهم ، ونظم الشعر الحسن ...

* * *

ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق الشيخ مصطفى بن جاد .

ولد بمصر ، ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباى . ورغب فى صناعة تجليد الكتب وتذهيبها ، فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدوسى حتى مهر فيها ، وفاق أستاذه ، وأدرك دقائق الصنعة والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والأصباغ الملونة ، والرسم والجـداول والأطباع وغير ذلك .

وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار ، مثل الدقدوسى وعثمان افندى ابن عبدالله — عتيق المرحوم الوالد — والشيخ محمد الشناوى .

وكان لطيف الذات ، خفيف الروح ، محبوب الطباع ، مألوف الأوضاع ، ودودا مشفقا ، عفيفا صالحا ...

ولم يزل مقبـلا على شأنه ، قانعـا بصناعته ، يستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، الى أن وافاه الحمام ... عوضنا الله فيه خيرا ، فانه كان بى رءوفا ، وعلىّ شفيقا ، ولا يصبر عنى يوما كاملا ، مع حسن العشرة والمودة والمحبة ... لا لغرض من الأغراض .. ولم أر بعده مثله (١) .

سنه ١٢٠٣ هجريه

المحـــرم

الخميس أوله (٢ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

فيه : زاد اجتهاد اسماعيل بيك فى البناء عنـد

(١) ان الجبرتى ، وقد انطلق يوفى الصداقة حقها ، لم يستطع ان يحبس قلمه عن الانطلاق فى وصف مكارم الاخـلاق ، التى ما اجتمعت لصانع الا وفقه الله فأصبح فى عمله فنانا ، يذكر فنه وفضله بعد حين أشرف على قرنين من الزمان ...

طرا ، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر ، وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل ، وأنشأ حيطانا وأبراجا وكرانك ، وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبل ، وأخرج اليها الجبخانة والذخيرة وغير ذلك .

الجمعة ٩ منه (١٠ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر عثمان كتخدا عزبان الى اسلامبول بعرضحال بطلب عسكر ، واذن باقتطاع مصاريفه من الخزينة .

السبت ٢٤ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر اسماعيل باشا باش الأرنؤود بجماعته ، ولحقوا بالغلايين ... والجماعة القبليون متترسون بناحية الصول ، وعاملون سبعة متاريس ، والمراكب وصلت الى أول متراس ، فوجدوهم مالكين مزم الجبل ، فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ، ومدافع المراكب لا تصيبهم ، وهم ممتنعون بأنفسهم الى فوق . وانخرقت المراكب عدة مرات ، وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكبس على المتراس الأول ، فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع ، فقتل من طائفة المغاربة جماعة ، وهرب الباقون ، ونصبت رءوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب .

الاثنين ٢٦ منه (٢٧ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر أيضا عثمان بيك الحسنى ، وامتنع ذهاب السفار وايابهم الى الجهة القبلية ، وانقطع الوارد ، وشطح سعر الغلة . وبلغ النيل غايته فى الزيادة ، واستمر على الأراضى من غير نقص الى آخر شهر بابة القبطى ... وروى جميع الأراضى .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

حضر سراج من عند القبليين ، وعلى يده مكاتبات بطلب صلح ، وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التى عينها لهم حسن باشا ، ويقومون بدفع المال والغلال للميرى ، ويطلقون السبل للمسافرين والتجار ... فانهم سئموا من طول المدة ، ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم ، فلم يخرجوا اليهم ... فلا يكونون سببا لقطع أرزاق الفقراء والمساكين .

فكتبوا لهم أجوبة للاجابة لمطلوبهم ، بشرط ارسال رهائن ، وهم : عثمان بيك الشرقاوى ، وابراهيم بيك الوالى ، ومحمد بيك الألفى ، ومصطفى بيك الكبير .

ورجع الرسول بالجواب ، وصحبته واحد بشلى من طرف الباشا .

صفر

غرته (١ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر جماعة مجاريح .

فى ٢ منه (٢ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر المرسال الذى توجه بالرسالة ، وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين ، والبشلى وآخر من طرف اسماعيل باشا الأرنؤودى ، وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بارسال رهائن . ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتخدا باب التفكجية ، وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك .. فامتنعوا من ذلك ، وقالوا من جملة كلامهم :

« لعلكم تظنون أن طلبنا فى الصلح عجز ، أو أننا محصورون ، وتقولون بينكم فى مصر : انهم يريدون بطلب الصلح التحيل على التعدية الى البر الغربى ، حتى يملكوا الاتساع . واذا قصدنا ذلك أى شىء يمنعنا فى أى وقت شئنا ؟ . وحيث كان الأمر كذلك ، فنحن لانرضى الا من حد أسيوط ، ولا نرسل رهائن ، ولا نتجاوز محلنا » .

فى ٧ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

فلما رجع الجواب بذلك ، أرسل الباشا فرمانا الى

اسماعيل باشا بمحاربتهم ، فبرز اليهم بعساكره ، وجميع العسكر التى بالمراكب ، وحملوا عليهم حملة واحدة .

٨ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

أخلوا لهم ، وملكوا منهم متراسين ، فخرج عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمة . فقتل من العساكر جملة كبيرة .

٩ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

ثم وقع الحرب بينهم ، واستمرت المدافع تضرب بينهم من الجهتين ، والحرب قائمة بينهم سجالا ، وكل من الفريقين بعمل الحيل وينصب الشباك على الآخر ، ويكمن ليلا فيجد الرصد ، ولم تنفصل بينهم الحرب على شيء .

منتصفه (١٥ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

شرع اسماعيل بيك فى عمل تفريدة على البلاد ، فقرروا الأعلى عشرين ألف فضة ، والأوسط خمسة عشر ، والأدنى خمسة آلاف . وذلك خلاف حق الطرق وما يتبعها من الكلف ، وعمل ديوان ذلك فى بيت على بيك الدفتردار بحضرة الوجاقلية ، وكتبت دفاترها وأوراقها فى مدة ثلاثة أيام .

ربيع الأول

مستهله (٣٠ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

الحال على ما هو عليه . وحضر رسول من القبليين بطلب الصلح ، ويطلبون من حد أسيوط الى فوق شرقا وغربا ، ولا يرسلون رهائن . ووصل ساع من ثغر الاسكندرية بالبشارة لاسماعيل كتخدا حسن باشا بولاية مصر ، وأن اليرق والداقم وصل ، والقبجى والكتخدا ، وأرباب المناصب وصلوا الى الثغر ، فردهم الريح عندما قربوا من المرساة الى جهة قبرص ، فشرع عابدى باشا فى نقل متاعه من القلعة .

ولما حضر الرسول بطلب الصلح رضى المصرلية بذلك ، وأعادوه بالجواب .

٤ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر أحمد آغا ، أغات الجماليه المعروفه بشويكار ، لتقرير ذلك . فعمل عابدى باشا ديوانا اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية ، وتكلم أحمد آغا ، وقال :

« نأخذ من أسيوط الى قبلى شرقا وغربا بشرط أن ندفع ميرى البلاد من المال والغلال ، ونطلق سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب ... وكذلك أنتم لاتمنعون عنا الواردين بالاحتياجات الا ما كان من آلة الحرب ... فلكم منعه .

« وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح ، نكتب عرض محضر منا ومنكم الى الدولة ، وننتظر مايكون الجواب . فان حضر الجواب بالعفو لنا ، أو تعيين أماكن لنا .. لانخالف ذلك ، ولا نتعدى الأوامر السلطانية ، بشرط أن ترسلوا لنا الفرمان الذى يأتى بعينه نطلع عليه » .

فأجيبوا الى ذلك كله ، ورجع أحمد آغا بالجواب صبيحة ذلك اليوم ، صحبة عبد الله جاويش ، وشهر حوالة والشيخ بدوى من طرف المشايخ .

وحضر فى أثر ذلك مراكب غلال ، وانحلت الأسعار ، وتواجدت الغلال بالرقع ، وكثرت بعد انقشاعها .

ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا فى عمل جسر على البحر ، من مراكب مرصوصة ممتدة من البر الشرقى الى البر الغربى ، وثبتوه وسمروه بمسامير ورباطات ، وثقلوه بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر ، وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية . ورجعت المراكب ،

وصحبتها العسكر المحاربون ، واسماعيل باشا الأرنؤودي ، وعثمان بيك الحسني ، والقليونجية وغيرهم ، وأشيع تقرير الصلح وصحته .

١٠ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

أخبر بعض الناس قاضي العسكر ، أن بمدفن السلطان الغوري ، بداخل خزانة في القبة ، آثارا للنبي صلى الله عليه وسلم : وهي قطعة من قميصه ، وقطعة عصا ، وميل . فاحضر مباشر الوقف ، وطلب منه احضار تلك الآثار ، وعمل لها صندوقا ووضعها في داخل بقجة ، وضمخها بالطيب ، ووضعها على كرسي ، ورفعها على رأس بعض الأتباع ، وركب القاضي ، والنائب ، وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه ، يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ، ورفعوها في مكانها بالخزانة .

١٧ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شهر حوالة ، وعبد الله جاويش ، وأخبروا بأنهم لما وصلوا الى الجماعة ، تركوهم ستة أيام حتى ، تمموا شغل الجسر ، وعدوا عليه الى البر الغربي ، ثم طلبوهم ... فعدوا اليهم ، وتكلموا معهم ، وقالوا لهم :

« ان عابدي باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة ، وتكفل لنا بكامل الأمور . ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه معزول من الولاية ... وكيف يكون معزولا ونعقد معه صلحا ؟ ... هذا لا يكون الا اذا حضر اليه مقرر ، أو تولى غيره يكون الكلام معه » .

وكتبوا اليه جوابات بذلك ، ورجع بها الجماعة المرسلون ، وأشيع عدم التمام ... فاضطربت الأمور ، وارتفعت الغلال ثانيا ، وغلا سعرها ، وشح الخبز من الأسواق .

١٩ منه (١٨ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا جمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية والقاضي ، فتكلم الباشا ، وقال : « انظروا يا ناس ! هؤلاء الجماعة ما عرفنا لهم حالا ، ولا دينا ، ولا قاعدة ، ولا عهدا ، ولا عقدا .... انا رأينا النصارى اذا تعاقدوا على شيء لا ينقضونه ، ولا يختلون عنه بدقيقة . وهؤلاء الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب ، وأننا أجبناهم الى ما طلبوا ، وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة ، وهي من ابتداء أسيوط الى منتهى النيل شرقا وغربا . ثم انهم نكثوا ذلك ، وأرسلوا يحتجون بحجة باردة . واذا كنت أنا معزولا ، فان الذي يتولى بعدي لا ينقض فعلي ، ولا يبطله . ويقولون في جوابهم : نحن عصاة وقطاع طريق ... وحيث أقروا على أنفسهم بذلك ، وجب قتالهم أم لا ؟ » .

فقال القاضي والمشايخ : « يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان » .

فقال : « اذا كان الأمر كذلك ، فاني أكتب لهم مكاتبة ، وأقول لهم . اما أن ترجعوا وتستقروا على ما وقع عليه الصلح ، واما أن أجهز لكم عساكر ، وأنفق عليهم من أموالكم ، ولا أحد يعارضني فيما أفعله ... والا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ، ولو من غير أمر الدولة ! » .

فقالوا جميعا : « نحن لا نخالف الأمر » .

فقال : « أضع القبض على نسائهم وأولادهم ودورهم ! وأسكن نساءهم وحريمهم في الوكائل ، وأبيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم ، وأجمع ذلك جميعه ، وأنفقه على العسكر . وان لم يكفه ذلك ... تممته من مالي » .

فقالوا : « سمعنا وأطعنا » .

وكتبوا مكاتبة خطابا لهم بذلك ، وختم عليها الباشا والأمراء وأرسلوها .

٢٣ منه (٢٢ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ونادى فى الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة للأمراء القبليين يردها لأربابها ، فان ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شيء استحق العقوبة . وكل ذلك تدبير اسماعيل بيك .

٢٥ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر هجان وباش سراجين ابراهيم بيك ، وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ... فعمل الباشا ديوانا فى صبحها ، وذكروا المراسلة ... وضمن الباشا غائلتهم ، وضمن المشايخ غائلة اسماعيل بيك وكتبوا محضرا بذلك وختموا عليه ، وأرسلوه صحبة مصطفى كتخدا باش اختيار عزبان ... وتحقق رفع الجسر ، وورود بعض المراكب ، وانحلت الأسعار قليلا .

ربيع الآخر

فى مستهله (٣٠ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شيخ السادات الى بيته الذى عمره بجوار المشهد الحسينى ، وشرع فى عمل المولد ، واعتنى بذلك . ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ، ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين . وأحدثوا سيارات وأشاير ومواكب ، وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا وزمورا ... واستمر ذلك خمسة عشر يوما وليلة .

٤ منه (٢ يناير ١٧٨٩ م) :

حضر عابدى باشا باستدعاء الشيخ له ، فتغدى ببيت الشيخ ، وصلى الجمعة بالمسجد ، وخلع على الشيخ وعلى الخطيب . ثم ركب الى قصر العينى .

وفيه : وصل ططرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا فى صبحها ديوانا بقصر العينى ، وقرئت المرسومات ، فكان مضمون أحدها : تقريرا لعابدى باشا على ولاية مصر ، والثانى : الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين ، وابعادهم من القطر المصرى . والثالث : بطلب الافرنجى المرهون الى الديار الرومية .

فلما قرىء ذلك ، عمل عابدى باشا شنكا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة ، وانكسف بال اسماعيل كتخدا ، بعد أن حضر اليه المبشر بالمنصب ، وأظهر البشر والعظمة ، وأنفذ المبشرين ليلا الى الأعيان ، ولم يصبر الى طلوع النهار ، حتى أنه أرسل الى محمد أفندى البكرى المبشر فى خامس ساعة من الليل ، وأعطاه مائة دينار ، وحضر اليه الأمراء والعلماء فى صبحها للتهنئة . وثبت ذلك عند الخاص والعام . ونقل عابدى باشا عزاله وحريمه الى القلعة .

١٢ منه (١٠ يناير ١٧٨٩ م) :

رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلى ، وبيده جوابات ، وأخبر أن ابراهيم بيك الكبير ترفع الى قبلى ، وصحبته ابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك الأغا ، وأيوب بيك . وملخص الجوابات : أنهم طالبون من حد المنيا .

١٤ منه (١٢ يناير ١٧٨٩ م) :

عمل الباشا ديوانا حضرة المشايخ والأمراء ، فلم يحصل سوى سفر الأفرنجى .

فى اواخره (اواخر يناير ١٧٨٩ م) :

حضر سراج باشا ابراهيم بيك ، وبيده جوابات ، يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك ، وكتبت لهم جوابات بذلك ، وسافر السراج المذكور .

جمادى الأولى

غرته (٢٨ يناير ١٧٨٩ م) :

قلدوا غيطاس بيك امارة الحج .

في ٣ منه (٣٠ يناير ١٧٨٩ م) :

وصل ططريون من البر على طـريق دميـــاط بمكاتبات ، مضمونها : ولاية اسماعيل كتخــدا حسن باشا على مصر ، وأخبروا أن حسن باشــا دخل الى اسلامبول فى ربيع الأول ، ونقض ما أبرمه وكيل عابدى باشا ، وألبس قابجى كتخدا اسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الآخر .

وتعين قابجى الولاية ، وخرج من اسـلامبول بعد خروج الططر بيومين . وحضر الططر فى مـدة ثلاثة وعشرين يوما فلما وصـل الططـر ، سر اسماعيل كتخدا سرورا عظيما ، وأنفذ المبشرين الى بيوت الأعيان .

وفيه : ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنيا ، وسافر رضوان بيك الى المنوفية ، وقاسم بيك الى الشرقية ، وعلى بيك الحسنى الى الغربية .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٧٨٩ م) :

جمع اسماعيل بيك الأمراء والوجاقلية ، وقال لهم : يا اخواننا ، ان حسن باشا أرسل يطلب منى باقى الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بهـا ويدفعها فأحضروا حسن افندى شقبون ، افندى الديوان ، وحسـبوا الذى طرف اسماعيل بيـك وجماعته ، فبلغ ثلثمائة وخمسين كيسا . وطلع على طرف حسن بيك وأتباعه نحو أربعمائة كيس ، وعلى طرف على الدفتردار مائة وستين كيسا .

وكانوا أرسلوا الى على بيك ، فلم يأت . فقال لهم حسـن بيك : « أى شىء هـذا العجب ؟ ! والأغراض بلاد على بيك فارسـكور ، وبرمبـال وسرس الليانة حلوانهم قليل ! » .

وزاد اللغط والكلام ، فقام من بينهم اسماعيل بيك ونزل وركب الى جـزيرة الذهب .. وكذلك حسن بيك خرج الى قبة العزب ، وعلى بيك ذهب الى قصر الجلفى بالشيخ قمر .. وأصبح على بيك فركب الى الباشا ، ثم رجع الى بيته .

ثم ان على بيك قال : لابد من تحرير حسابى ، وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشـا الى وقتنا ، وما صرفته على أمير الحج تلك السنة .

وادعى أمير الحج — الذى هـو محمد بيك المبـدولى — ببواق ، ووقـع على الجـداوى . فاجتمعوا ببيت رضوان كتخدا — تابع المجنون — وحضر حسن ، كتخـدا على بيك ، وكيـلا عن مخدومه ، ومصطفى أغا الوكيل وكلا عن اسماعيل بيك . وحرروا الحساب .. فطلع على طرف عـلى بيك ثلاثة وعشرون كيسا ، وطلع له بواق فى البلاد نيف وأربعون كيسا .

جمـادى الآخرة

فى مستهله (٢٧ فبراير ١٧٨٩ م) :

حضر فرمان من الدولة بنفى أربعة أغـوات ، وهم : عـريف أغا ، وعـلى أغا ، وادريس أغا ، واسماعيل أغا ... فحنق لذلك جوهر — أغا دار السعادة — وشرع فى كتابة مرافعة .

١٠ منه (٨ مارس ١٧٨٩ م) :

وصل فرمان لاسماعيل كتخدا وخوطب فيـه بلفظ الوزارة ..

١١ منه (٩ مارس ١٧٨٩ م) :

عمل اسماعيل باشا المذكور ديوانا فى بيتـه بالأزبكيـة . وحضر الأمراء والمشـايخ ، وقرأوا المكاتبة . وفيها الأمر بحساب عابدى باشا .

وبعـد انفضاض الديوان ، أمر الروزنامجى والأفنـدية بالذهاب الى عابدى باشا ، وتحـرير حساب الستة أشهر ، من أول توت الى برمهات ،

لأنها مدة اسماعيل باشا ، وما أخـذوه زيادة عن عوائده . وأخذ منـه الضربخانة ، وسـلمها الى خازنداره ، وقطعوا راتبه من المذبح .

وفى عصريتها : أرسل الى الوجاقلية والاختيارية. فلمـا حضروا قال لهم اسماعيل باشا : بلغنى أنكم جمعتم ثمانمائة كيس ، فما صنعتم بها ؟ فقـالوا : دفعناها الى عابدى باشا ، وصرفها على العسكر . فقال : لأى شىء ؟ قالوا :لقتل العدو . قال : والعدو قتل ؟ قالوا : لا . قال : حينئذ اذا احتاج الحال ، ورجع العدو ، أطلب منكم كذلك قدرها ! قالوا : ومن أين لنا ذلك ؟ قال : اذن اطلبوها منه ،واحفظوها عندكم فى باب مستحفظان لوقت الاحتياج !

وفيه : تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بيك بمنفلوط ، وبنى له بها دارا ، وصحبته أيوب بيك . وأما مراد بيك وبقيـة الصـناجق ، فانهم ترفعوا الى فوق .

١٢ منه (١٠ مارس ١٧٨٩ م) :

حضر حسن كتخدا الجربان من الروم. وكان اسماعيل بيك أرسل يتشفع فى حضوره بسعاية محمـد أغا البارودى ، وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة ، لأنه مملوك حسن بيك أبى كرش ، وحسن بيك مملوك سليمان أغا كتخدا الجاويشية . ولما حضر أخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شـنق قلعة منفيين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالى الى بعض متكلمى الدولة — مثـل القزلار ، وخـلافه — بالسعى لهم فى طلب العفو .

فلما حضر حسن باشا ، وبلغه ذلك ، نفـاهم وأسقط رواتبهم . وكانوا فى منزلة واعزاز ، ولهم رواتب وجمكية : لكل شخص خمسمائة قرش فى الشهر .

فى ٢٠ منه (١٨ مارس ١٧٨٩ م) :

تحرر حسـاب عابدى باشا ، فطلع لاسماعيل باشا نحو ستمائة كيس ، فتجاوز له عن نصفها ، ودفع له ثلاثمائة كيس ، وطلع عليه لطرف الميرى نحوها ، أخذوا بها عليه وثيقة ، وسامحه الأمراء من حسابهم معه ، وهادوه وأكرموه ، وقدموا له تقادم ، وأخذ فى أسباب الارتحال والسفر ، وبرز خيامه الى بركة الحج .

فى أواخره (أواخر مارس ١٧٨٩ م) :

ورد الخبر مع السعاة بوصول الأطواخ لاسماعيل باشا ، واليرق والداقم الى ثغر الاسكندرية .

رجب

الاثنين ٣ منه (٣٠ مارس ١٧٨٩ م) :

سافر عابدى باشا من البر على طريق الشـام الى ديار بكر ، ليجمع العساكر الى قتال الموسقو ، وذهب من مصر بأموال عظيمة ، وسـافر صحبته اسماعيل باشا الأرنؤودى ، وأبقى اسماعيل باشا من عسكر القليونجية والأرنؤودية من اختـارهم لخدمته ، وأضافهم اليه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا ، فابتهج لذلك ، وأمر بعمل شنك وحراقة ببركة الأزبكية . وحضر الأمراء الى هنـاك ، ونصـبوا صـوارى وتعاليق ، وعملوا حراقة ووقدة لليلتين .

الجمعة ١٤ منه (١٠ ابريل ١٧٨٩ م) :

ركب الباشا وذهب الى مقابر الامام الشافعى .. فزاره ، ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر . ونودى فى ليلتها على الموكب .

السبت ١٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٩ م) :

فى صبحه خرج الأمراء والوجاقليـة والعساكر

الرومية والمصرلية، واجتمع الناس للفرجة . وانتظم الموكب أمامه ، وركب بالشعار القديم ، وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس، وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية . وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيلشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد ، وشق القاهرة فى موكب عظيم .

ولماطلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج .

وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم ، وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقلعة ... حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم، وهم مستبشرون بذلك .

وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطى .

الثلاثاء ١٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٩ م) :

عمل الديوان . وطلع الأمراء والمشايخ ، وطلع الجم الكثير من الفقهاء ، ظانين وطامعين فى الخلع . فلما قرىء التقرير فى الديوان الداخل ، خلع على الشيخ العروسى والشيخ البكرى والشيخ الحريرى والشيخ الأمير ، والأمراء الكبار فقط .

ثم ان اسماعيل بيك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال : « تفضلوا يا أسيادنا ، حصلت البركة » ، فقاموا وخرجوا .

الخميس ٢٠ منه (١٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة ، وتنقبض الأسعار ، فنقصوا سعر اللحم نصف فضة ،وجعلوا الضانى : بستة أنصاف ، والجاموسى بخمسة ، فشح وجوده بالأسواق ، وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ، ونزل سعر الغلة الى ثلاثة ريال ونصف الأردب ، بعد تسعة ونصف .

الخميس ٢٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٩ م) :

ورد مرسوم من الدولة ، فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم ، وقرأوه . وفيه :

الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو ، فانهم تغلبوا ، واستولوا على قلاع ، ومدن عظيمة من مدن المسلمين ، وكذلك يدعون له بعد الأذان فى كل وقت . وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرأون البخارى فى كل يوم ، ورتب لهم فى كل يوم مائتين نصف فضة ، لكل مدرس عشرون نصفا من الضربخانة ، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان .

وفيه : شرع الباشا فى تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة .

الأحد ٣٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

حضر الشيخ العروسى والمشايخ ، وجلسوا فى القبلة القديمة جلوسا عاما ، وقرأوا أجزاء من البخارى ، واستداموا على ذلك بقية الجمعة .

وقرر اسماعيل بيك أيضا عشرة من الفقهاء كذلك يقرأون أيضا البخارى نظير العشرة الأولى . وحضر الصناع وشرعوا فى البياض والدهان وجلاء الأعمدة ، وبطل ذلك الترتيب .

شعبان

فى ٢ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٩ م) :

نودى بابطال التعامل بالزيوف المغشوشة ، والذهب الناقص ، وان الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج . واذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط ، يكون بطالا ، ولا يتعامل به ، وانما يباع لليهود الموردين بسعر

المصاغ الى دار الضرب ، لنعاد جديدا ، فلم يمتثل الناس لهذا الأمر ، ولم يوافقوا عليه ، واستمروا على التعامل بذلك في المبيعات وغيرها ، لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر ، واذا بيع على سعر المصاغ ، خسروا فيه قريبا من النصف ، فلم يسهل بهم ذلك ، ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم

وفي أوائله أيضـا : تواترت الأخبـار بموت السلطان عبد الحميد في الحادى عشر من رجب ، وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه ، وهو السلطان سليم خان ، وعمره نحو الثلاثين سنة .

وورد في اثر الاشاعة ، صحبة التجار والمسافرين ، دراهم وعليها اسمه وطرته ، ودعى له في الخطبة أول جمعة في شعبان المذكور .

الثلاثاء ٩ منه (٥ مايو ١٧٨٩ م) :

حضر على بيك الدفتردار من ناحيـة دجوة . وسبب ذهابه اليها أن أولاد حبيب قتلوا عبـدا لعلى بيك بمنية عفيف ، بسبب حادثة هناك . وكان ذلك العبد موصـوفا بالشجاعة والفروسية ، فعز ذلك على على بيك فأخذ فرمانا من الباشا بركوبه على أولاد حبيب ، وتخريب بلدهم ، ونزل اليهم وصحبته باكير بيك ، ومحمد بيك المبدول . وعندما علم الحبايبة بذلك ، وزعوا متـاعهم ، وارتحلوا من البلد ، وذهبوا الى الجزيرة .

فلما وصل على بيك ومن معه الى دجوة ، لم يجدوا أحـدا ، ووجدوا دورهم خالية ، فأمروا بهدمها ، فهدموا مجالسهم ، ومقاعدهم ، وأوقدوا فيها النار ، وعملوا فردة على أهل البلد ، وما حولها من البـلاد ، وطلبـوا منهم كلفا وحـق طرق ، وتفحصوا على ودائعهم ، وأماناتهم ، وغلالهم في جيرة البـلاد ، مثل : طحلة وغيرها ، فأخذوها ، وأحاطوا بزرعهم ، وما وجدوه بالنواحي من بهائمهم ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم ، وصالحوه بسعى الوسائط بدراهم ، ودفعوها ، ورجعوا الى وطنهم ، ولكن بعد خرابها ، وهدمها .

وفيه آرسل الباشا سلحداره بخطاب للأمراء القبالى يطلب منه الغلال والمال الميرى حكم الاتفاق .

رمضـــان

في ٤ منه (٢٩ مايو ١٧٨٩ م) :

وصل الى مصر آغا معين باجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شـاه ، فعمل الباشا ديوانا ، وقرأ المرســوم الوارد بذلك ، بحضرة الجمـع . والسبب في تأخيره لهـذا الوقت : الاهتمام بأمر السفر ، واشتغاله رجال الدولة بالعزل ، والتولية .

وورد الخبر أيضا بعزل حسن باشا من رياسـة البحر الى رياسة البر ، وتقلد الصـدارة ، وتولى عوضـه قبطان باشـا حسين الجردلى ، وأخبروا أيضا بقتل بستجى باشا .

وفي أوائله : فتحوا ميرى سنة خمسة (أى سنة ١٢٠٥ هـ) مقدم معجلة .

اواخره (النصف الثانى من يونية ١٧٨٩ م) :

حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية ، وبيده أوامر ، وفيها : الحث على محاربة الأمراء القبالى ، والخطاب للوجاقلية ، وباقى الأمراء بأن يكونوا مع اسماعيل بيك بالمساعدة ، والاذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينـة ، مع تشـهيل الخزينة للدولة .

شـــوال

١٠ منه (٤ يوليو ١٧٨٩ م) :

وصل ططرى ، وعلى يده أوامر منها : حسن عيار المعاملة من الذهب ، والفضـة ، وأن يكون

عيار الذهب المصرى تسعة عشر قيراطا ، ويصرف بمائة وعشرين نصفا ، بنقص أربعة أنصاف عن الواقع فى التعرف بين الناس . والاسلامبولى بمائة وأربعين ، وبنقص عشرة . والفندقلى بمائتين ، بنقص خمسة . والريال الفرانسة بمائة ، بنقص خمسة أيضا . والمغربى بخمسة وتسعين ، بنقص خمسة أيضا ، وهو المعروف بأبى مدفع . والبندقى بمائتين وعشرة ، بنقص خمسة عشر .

فنزل الأغا والوالى ، ونادى بذلك ، فخسر الناس حصة من أموالهم .

فى غايته (٢٣ يوليه ١٧٨٩ م) :

خرج أمير الحج غيطاس بيك بالمحمل وركب الحجاج .

ذو القعدة

منتصفه (٧ أغسطس ١٧٨٩ م) :

أوفى النيل المبارك أذرع الوفاء ، ونزل الباشا الى فم الخليج ، وكسر السد بحضرته على العادة .

* * *

وانقضى هذا العام بحوادثه .

وحصل فى هذه السنة الازدلاف ، وتداخل العام الهلالى فى الخراجى .. ففتحوا طلب المال الخراجى القابل قبل أوانه ، لضرورة الاحتياج ، وضيق الوارد بتعطيل الجهة القبلية ، واستيلاء الأمراء الخارجين عليها .

ووجه اسماعيل بيك الطلب من أول السنة بباقى الحلوان الذى قرره حسن باشا ، ثم المال الشتوى ، ثم الصيفى . وفى أثناء ذلك ، المطالبة بالفرد المتوالية المقررة على البلاد من الملتزمين . ووجه على الناس قباح الرسل ، والمعينين من السراجين والدلاة ، وعسكر القليونجية ... فيدهمون الانسان ، ويدخلون عليه فى بيته — مثل التجريدة — الخمسة والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة ، بوجوه عابسة ... فيشاغلهم ويلاطفهم ، ويلين خواطرهم بالاكرام ، فلا يزدادون الا قسوة وفظاظة . فيعدهم على وقت آخر ، فيسمعونه قبيح القول ، ويشتطون فى أجرة طريقهم .

وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرا : فيدخلون الدار — وليس فيها الا النساء — ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن . وربما نططن من الحيطان ، أو هربن الى بيوت الجيران !

وسافر رضوان بيك — قرابة على بيك الكبير — الى المنوفية ، وأنزل بها كل بلية ، وعسف بالقرى عسفا عنيفا قبيحا ... بأخذ البلص والتساويف ، وطلب الكلف الخارجة عن المعقول ... الى أن وصل الى رشيد . ثم رجع الى مولد السيد البدوى بطندتا ، ثم عاد . وفى كل مرة من مروره يستأنف العسف والجور .

وكذلك قاسم بيك بالشرقية ، وعلى بيك الحسنى بالغربية .

وقلد اسماعيل بيك مصطفى كاشف ، المرابط بقلعة طرا . فعسف بالمسافرين الذاهبين والآيبين الى جهة قبلى : فلا تمر عليه سفينة ، صاعدة أومنحدرة الا طلبها اليه ، وأمر باخراج ما فيها ، وتفتيشها بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من الثياب وغيرها ، أو ارسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم . فان وجد فى السفينة شيئا من ذلك ، نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسببين ، وأخذه عن آخره ، وقبض عليهم وعلى الريس ، وحبسهم ، ونكل بهم ، ولا يطلقهم الا بمصلحة ! وان لم يجد شيئا فيه شبهة ، أخذ من السفينة ما اختاره ، وحجزهم فلا يطلقهم الا بمال يأخذه منهم !

وتحقق الناس فعله ، فصانعوه ابتداء .. تقية لشره ، وحفظا لمالهم ومتاعهم . فكان الذى يريد

السفر الى قبلى ، بتجارة أو متاع ، يذهب اليه ببعض الوسايط ، ويصالحه بما يطيب به خاطره ، ويمر بسلام ، فلا يتعرض له .

وكذلك الواصلون من قبلى : يأتون طائعين الى تحت القلعة ، ويطلع اليه الريس والمسافرون ، فيصالحونه .

وعلم الناس هذه القاعدة ، واتبعوها ، وارتاحوا عليها فى الجملة ، واستعوضوا الخسارة من غلو الأثمان . وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبليين ، وهادينه ، وأرشوه عن ارسالهن الى أزواجهن من الملابس والأمتعة سرا ... حتى كن فى الآخر يرسلن اليه ما يرمن ارساله ، وهو يرسله بمعرفته ! وتأتى أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية . واتخذ له يدا وجميلا ، وطوقهم منته بذلك .

وشاع فى بلاد الأرنؤود وجبال الروملى ، رغبة اسماعيل بيك فى العساكر .. فوفدوا عليه بأشكالهم المختلفة ، وطباعهم المنحرفة ، وعدم أديانهم ، وانعكاس أوضاعهم . فأسكن منهم طائفة بالجيزة ، وطائفة ببولاق ، وطائفة بمصر القديمة. وأجرى عليهم النفقات والعلوفات . وجلب له الياسرجية المماليك ، فاشترى منهم عدة وافرة — وأكثرهم عزق ومشنبون ، وأجناس غير معهودة — واستعملهم من أول وهلة فى الفروسية ، ولم يدربهم فى آداب ولا معرفة دين ولا كتاب ... كل ذلك حرصا على مقاومة الأعداء ، وتكثير الجيش . وتابع ارسال الهدايا والأموال والتحف الى الدولة ، وأحضر السروجية والصواغ والعقادين، فصنعوا ستة سروج للسلطان وأولاده — وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد — على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات مزركشة . وهى مع السرج والقصعة والقربوس مرصعة بالجواهر والبروق والذهب ! والركابات ، واللجامات ، والبلامات ، والشماريخ ، والسلاسل.. كلها من الذهب البندقى الكدر ! والرأس والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش ، وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد ، وجميع الشراريب من القصب المخيش ! وبها تعاليق المرجان والمعادن ... صناعة بديعة ، وكلفة ثمينة ... أقاموا فى صناعة ذلك عدة أيام ببيت محمد آغا البارودى !

واشترى كثيرا من الأوانى والقدور الصينى الأسكى معدن ، وملأها بأنواع الشربات المصنوع من السكر المكرر : كشراب البنفسج ، والورد ، والحماض ، والصندل المطيب بالمسك ، والعنبر وماء الورد ، والمربيات الهندية : مثل مربى القرنفل ، وجوز بوا ، والبسباسة ، والزنجبيل والكابلى . وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر ، صحبة عثمان كتخدا عزبان ، ومعها عدة خيول من الجياد ، وأقمشة هندية ، وعود وعنبر ، وطرائف ، وأرز وبن ، وأفاويه ، وماء الورد المكرر ، وغير ذلك !

ولم يتفق لأحد ، فيما تقدم من أمراء مصر ، أن أرسل مثل ذلك ، ولم نسمع به ، ولم نره فى تاريخ .. فان نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها فى ظروف من الفخار التى قيمة الظرف منها خمسة أنصاف أو عشرة ... حتى الذى يصنعه شربتلى باشا ، الذى يأتى من اسلامبول لخصوص السلطان . وأما هذه فأقل ما فيها يساوى مائة دينار ... وأكثر من ذلك !

* * *

ومات فى هذه السنة العلامة الماهر الحيسوب ، الفلكى أبو الاتقان ، الشيخ مصطفى ... الخياط صناعة .

أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن — مثل رضوان أفندى ، ويوسف الكلارجى ، والشيخ محمد النشيلى ، والكرتلى ، والشيخ رمضان الخوانكى، والشيخ محمد الغمرى ، والشيخ الوالد حسن الجبرتى — وأخذ عنهم، وتلقى منهم، ومهر فى

الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل ، والحل والتركيب ، ونحاويل السنين ، وتداخل التواريخ الخمسة ، واستخراج بعضها من بعض ، وتوافقها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ، ودلائل الأحكام والمناظرات ، ومظنات الكسوف والخسوف ، واستخراج أوقاتها وساعاتها ودقائقها ... مع الضبط والتحرير ، وصحة الحدس وعدم الخطأ .

وأقر له أشياخه ومعاصروه بالاتقان والمعرفة ، وانفرد بعد أشياخه ، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا — وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الورداني ، أطال الله بقاءه ونفع به .

ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة ، وتلقى عنه ، وحج معه في سنة ١١٥٣ ، وسمعته يقول عنه : « الشيخ مصطفى فريد عصره في الحسابيات ، والشيخ محمد النشيلي في الرسميات ، وحسن أفندي قطة مسكين في دلائل الأحكام » .

وكان في كل عام يستخرج دستور السنة من مقومات السيارة ، ومواقع التواريخ ، وتواقيع القبط ، والمواسم والأهلة ، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة ، وينقل منها نسخا كثيرة يتناولها الخاص والعام يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية ، والتواقيع والمواسم ، وتحاويل البروج ، وغير ذلك .

والتمس منه الأستاذ سيدي أبو الأمداد أحمد ابن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ١١٨٠ فأجابه الى ذلك ، واشتغل به أشهرا حتى أتم حساب أطوالها وعروضها وجهاتها ، ودرجات ممرها ، ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها ، وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر ... بغاية التحقيق والتدقيق ، على أصول الرصد الجديد السمرقندي .

وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك ، وأجازه على ذلك اجازة سنية ... أخبرني من لفظه أنه أقام يصرف من فضل ذلك أشهرا بعد تمام المطلوب .

وله مؤلفات وتحريرات نافعة في هذا الفن ، منها « جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم » لابن المجدي — وهو عبارة عن تسهيل ماصنفه العلامة رضوان أفندي في كتابه « أسنى المواهب » في عشرة كراريس — جمع فيه تعديل الخاصة المعدلة بالمركز للوسط ، فيجمع مع الوسط في سطر ، وفي الأصل يجمع في سطرين . ولا يخفى مافيه من سهولة العمل ... يعلم ذلك من له دربة بالفن .

ولم يزل مشتغلا بالنفع والحساب والافادة — مع اشتغاله بصناعة الخياطة وتفصيل الثياب — وهو جالس في زاوية المكان بكتب ويمارس مع الطلبة ... والصناع بوسط المكان يفصلون الثياب ويخيطونها ، ويباشرهم أيضا فيما يلزم مباشرته ، الى أن توفي في هذه السنة في بيته جهة الرميلة وقد جاوز التسعين (١) .

* * *

ومات سلطان الزمان ، السلطان عبد الحميد بن أحمد خان وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم ابن مصطفى ، وفقه الله تعالى آمين .

سنه ١٢٠٤ هجريه

المحرم

فيه : وصلت الأخبار بأن الموسقو أغاروا على عدة قلاع وممالك اسلامية منها جهات الأوزى ،

---

(١) ان شعبا يجد فيه « خياط » من الدوافع ما يدفعه الى الجمع بين مهنته والاشتغال بالعلم — في غياهب هذا الفساد المستشرى — لهو شعب حي لن يموت ...

وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر ، وأن اسلامبول واقع بها غلاء عظيم .

اواخره (النصف الثانى من أكتوبر ١٧٨٩ م) :

حضر واحد آغا ، وبيده مرسومات بسبب الأمراء القبليين ، بأنهم ان كانوا تعدوا الجهات التى صالحوا عليها حسن باشا ، ولم يدفعوا المال ، ولا الغلال ، فلازم من محاربتهم ، ومقاتلتهم . وان لم يمتثلوا ، يخرجوا اليهم ويقاتلوهم ، فان السلطان أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ، ولا يقبل عذرهم فى التأخير .

فقرأوا تلك المرسومات فى الديوان ، ثم أرسلوها مع مكاتبات صحبة واحد مصرلى ، وآخر من طرف الأغا القادم بها ، وآخر من طرف الباشا .

ربيع الآخر

فى أوائله (حوالى منتصف نوفمبر ١٧٨٩ م) :

رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ، ملخصها : أنهم لم يتعدوا ما حددوه مع حسن باشا ، الا بأوامر من عابدى باشا ، فانه حدد لنا من منفلوط . ثم ان اسماعيل بيك بنى حاجزا ، وقلاعا ، وأسوارا بطرا ، وذلك دليل وقرينة على أن ماوراء ذلك يكون لنا ، وأنه اختص بالأقاليم البحرية ، وترك لنا الأقاليم القبلية ، ولا مزية للأمراء الكائنين بمصر علينا ، فانه يجمعنا واياهم أصل واحد ، وجنس واحد ، وان كنا ظلمة فهم أظلم منا !

وأما الغلال والمال ، فاننا أرسلنا لهم جانب غلال ، فلم ترجع المراكب التى أرسلناها ثانيا . فيرسلوا لنا مراكب ، ونحن نعبيها ونرسلها . وذكروا أيضا أنهم أرسلوا صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقا الى اسلامبول ، ونحن فى انتظار رجوعه بالجواب ، فعند رجوعه يكون العمل بمقتضى ما يأتى به من المرسومات ، ولا نخالف أمر السلطان .

جمادى الأولى

فى هذا الشهر : وردت أخبار بعزل وزير الدولة ، وشيخ الاسلام ، وآغات الينكجرية ونفيهم ، وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو بالسفر ، وأنه محصور بمكان يقال له اسماعيل ، لأن الموسقو أغاروا على ماوراء اسماعيل ، وأخذوا مابعده من البلاد ، ثم انه هادن الموسقو ، وصالحهم على خمسة أشهر الى خروج الشتاء . وأن السلطان أحضر الأمراء المصرلية الرهائن المنفيين بقلعة « ليمبا » ، وهم : عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، وعثمان بيك المرادى ، وسليمان كاشف . وأما حسين بيك فانه مات بليميا .

ولما حضروا أنزلوهم فى قناقات ، وعين لهم رواتب ، ويحضرهم السلطان فى بعض الأحيان الى الميدان ، ويعملوا رماحة بالخيول ، وهو ينظر اليهم ، ويعجبه ذلك ، ويعطيهم انعاما !

وورد الخبر أيضا ، أن صالح آغا وصل الى اسلامبول ، فصالح على الأمراء القبالى ، وتم الأمر بواسطة نعمان أفندى منجم باشا ، ومحمود بيك ، وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا ، فحنق لذلك ، ولم يمضه ، وانحرف على نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وأمر بعزلهما من مناصبهما ، ونفيهما واخراجهما من دار السلطنة ، فنفى نعمان أفندى الى أماسيه ، ومحمود بيك الى جهة قريبة من اسلامبول ، وشاط طبيخهم ، وسافر صالح أغا من اسلامبول .

شعبان

فيه : ورد الخبر بموت حسن باشا . وكان موته فى منتصف رجب وكأنه مات مقهورا من الموسقو .

رمضـــان

١٢ منه (٢٦ مايو ١٧٩٠ م) :

حصلت زلزلة لطيفة فى سادس ساعة من الليل .

وفيه أيضا : وصل ثلاثة أشخاص من الديار الرومية ، فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر ، فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ، ورجعوا .

شـــوال

الجمعة ١٣ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٠ م) :

قبل الفجر احترق بيت اسماعيل بيك عن آخره .

٢٥ منه (٨ يوليو ١٧٩٠ م) :

عزل حسن كتخدا المحتسب من الحسبة ، وقلدوها رضوان آغا محرم من وجاق الجاويشية ، فأبى حسن آغا أنه كان متكفلا بجراية الجامع الأزهر ، فان كان المتولى يتكفل بها مثله ، استمر فيها ، والا ردوا له المنصب ، وهو يقوم بها للمجاورين كما كان . فلما قالوا لرضوان آغا ذلك ، لم يسعه الا القيام بذلك ... وهى دسيسة شيطانية ، لا أصل لها . فان أخباز الجامع الأزهر لها جهات بعضها معطل ، والناظر عليه على بيك الدفتردار ، وحسن آغا كتخداه يصل ويقطع من أى جهة أراد من الميرى أو من خلافه . فدس هذه الدسيسة يريد بها تعجيز المتولى ليرجع اليه المنصب . ومعلوم أن المتولى لم يتقلد ذلك الا برشوة دفعها ، ويلزم من نزوله عنها ضياع غرامته ، وجرسته بين أقرانه . فما وسعه الا القيام بذلك ، وفردها على مظالم الحسبة التى يأخذها من السوقة ، ويدفعها للخباز يصنع بها خبزا للمجاورين ، والمنقطعين فى طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم من الظلم ، والسحت المكرر ، وذلك نحو خمسة آلاف نصف فضة فى كل يوم . واشتهر ذلك وعلمه العلماء والمجاورون وغيرهم . وربما طالبوه بالمنكسر ، أو اعتذروا بقولهم « الضرورات تبيح المحظورات ! » .

ذو الحجـــة

السبت ٣ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٠ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء على العادة ، وجرى الماء فى الخليج .

وفيه : وقعت واقعة بين عسكر القليونجية والأرنؤودية بسوق السلاح ، وقتل بينهم جماعة من الفريقين ، ثم تحزبوا أحزابا ، فكان كل من واجه حزبا من الطائفة الأخرى ، أو انفرد ببعض منها .. قتلوه ، ووقع بينهم ما لا خير فيه . وداخل الناس الخوف من ذلك ، فيكون الانسان مارا بالطريق ، فلا يشعر الا وكرشة وطائفة مقبلة وبأيديهم البنادق والرصاص ، وهم قاصدون طائفة من أخصامهم بلغهم أنهم فى طريق من الطرق . واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام ، ثم أدرك القضية اسماعيل بيك وصالحهم .

فى أواخره (أوائل سبتمبر ١٧٩٠ م) :

حضر جماعة من الأرنؤود الى بيت محمد آغا البارودى ، وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم ، ونزلوا من عند الخليج المرخم ، وازدحموا فى المركب ، فانقلبت بهم ، وغرق منهم نحو ستة أنفار ، وقيل تسعة ، وطلع من طلع فى أسوأ حال .

سنه ١٢٠٥ هجريه

المحـــرم

١١ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٩٠ م) :

ورد آغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على السنة الجديدة ، فعملوا له موكبا ، وطلع الى

القلعة ، وقرىء المقرر بحضرة الجمع ، وضربوا له مدافع .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين ، وأمر بتغريقه في بحر النيل .

وفيه : نفوا صالح أغا ، أغات الأرنؤود . قيل ان السبب في ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالي بواسطة المعلم يوسف المذكور ، على أنه يملكهم المراكب الرومية ، والقلاع التي بناحية طرا ، والجيزة ، وعملوا له مبلغا من المال التزم به الذمي يوسف ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك .

وفيه : كثر تعدي أحمد آغا الوالي على أهل الحسينية ، وتكرر قبضه وايذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب . وأخذ المال ، بل ونهب بعض البيوت .

الجمعة ٢٢ منه (١ اكتوبر ١٧٩٠ م) :

أرسل أحمد آغا الوالي اعوانه بطلب أحمد سالم الجزار شيخ طائفة البيومية ، وله كلمة وصولة بتلك الدائرة ، وأرادوا القبض عليه . فثارت طوائفه على أتباع الوالي ، ومنعوه منهم ، وتحركت حميتهم عند ذلك ، وتجمعوا وانضم اليهم جمع كثير من أهل تلك النواحي وغيرها ، وأغلقوا الأسواق ، والدكاكين ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وقفلوا أبواب الجامع ، وصعدوا على المنارات ، وهم يصرخون ، ويصيحون ، ويضربون على الطبول ، وأبطلوا الدروس . فقال لهم الشيخ العروسي :

« أنا أذهب الى اسماعيل بيك في هذا الوقت ، وأكلمه في عزل الوالي » . وتخلص منهم بذلك ، وذهب الى اسماعيل بيك ، فاعتذر بأن الوالي ليس من جماعته ، بل هو من جماعة حسن بيك الجداوي ، وأمر بعض أتباعه بالذهاب اليه ، واخباره بجمع الناس والمشايخ وطلبهم عزل الوالي ، فلم يرض بذلك . وقال :

« ان كان أنا أعزل الوالي تابعي ، يعزل هو الآخر الأغا تابعه ، ويعزل رضوان كتخدا المجنون من المقاطعة ، ويرفع مصطفى كاشف من طرا ، ويطرد عسكر القليونجية ، والأرنؤود ! »

وترددت بينهم الرسل بذلك .

ثم ركب حسن بيك وخرج الى ناحية العادلية مثل المغضب ، وصار أحمد أغا الوالي يركب بجماعة كثيرة ، ويشق من المدينة ليغيظ العامة ، وكذلك تجمع من العامة خلائق كثيرة ، ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات في مروره ، وانجرح بينهم جماعة ، وقتل شخصان . ثم ركب المشايخ وذهبوا الى بيت محمد أفندي البكري ، وحضر هناك اسماعيل بيك ، وطيب خاطرهم ، والتزم لهم بعزل الوالي . ومر الوالي في ذلك الوقت على بيت الشيخ البكري ، وكثير من العامة مجتمع هناك ، ففزع فيهم بالسيف ، وفرق جمعهم ، وسار من بينهم ، وذهب في طريقه ، ثم زاد الحال ، وكثرت غوغاء الناس ، ومشوا طوائف يأمرون بغلق الدكاكين .

صفر

الثلاثاء ٣ منه (١٢ اكتوبر ١٧٩٠ م) :

اجتمع بالأزهر الكثير منهم واستمرت القضية ، ثم طلع اسماعيل بيك ، والأمراء الى القلعة ، واصطلحوا على عزل الوالي والأغا ، وجعلوهما صنجقين ، وقلدوا خلافهما الأغا من طرف اسماعيل بيك ، والوالي من طرف حسن بيك .

ونزل الوالي الجديد من الديوان الى الأزهر ، وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ، ثم ركب

الى بيته ، وانفض الجمع . وكأنما طلعت بأيديهم .. والذى كان راكب حمار ، ركب فرسا !

٥ منه (١٤ أكتوبر سنة ١٧٩٠ م):

غيمت السماء غيما مطبقا ، وسحت أمطار غزيرة كأفواه القرب ، مع رعد شديد الصوت ، وبرق متتابع متصل قوى اللمعان يخطف بالأبصار ، مستديم الاشتعال .. كل ذلك والأمطار نازلة حتى سقطت الدور القديمة على الناس ، ونزلت السيول من الجبل ، حتى ملأت الصحراء ، وخارج باب النصر ، وهدمت الترب ، وخسفت القبور . وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة ، فحصل لهم غاية المشقة ، وأخذ السيل صيوان أمير الحج بما فيه ، وانحدر به من الحصوة الى بركة الحج ، وكذلك خيام الأمراء وغيرهم . وسالت السيول من باب النصر ، ودخلت البلد ، وامتلأت الوكائل بالمياه ، وكذلك جامع الحاكم ، وقتلت أناس فى حواصل الخانات ، وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة الأمواج ، وانهدم من دور الحسينية أكثر من النصف . وكان أمرا مهولا جدا ...

وفيه : حصل أيضا كائنة عبد الوهاب افندى بشناق الواعظ . وذلك انه مات رجل من البشانقة من أهل بلده — وكان قد جعله وصيا على تركته — فاستولى عليها ، واستأصلها . وكان للرجل المتوفى تركة بناحية الاسكندرية . فسافر المذكور الى الاسكندرية وحاز باقى التركة أيضا ، ورجع الى مصر . وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه ، فأظهر له شيئا نزرا ، فذهب الوارث الى القاضى ، فدعاه القاضى وكلمه فى ذلك .

فقال له : « أنا وصى مختار ، وأنا مصدق ، وليس عندى خلاف ماسلمته له » .

فقال له القاضى : « انه يدعى عليه بكذا وكذا ، وعنده اثبات ذلك » .

وطال بينهما الكلام ، وتطاول على القاضى ، واستجهله . فطلع القاضى الى الباشا وشكا له ، فأمر باحضاره ... فحضر فى جمع الديوان ، وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى الانحراف عن الحق .

فحنق الباشا منه ، وأمر برفعه من المجلس . فقبضوا عليه ، وجروه وضربوه ، ورموا بتاجه الى الأرض ، وحبسوه فى مكان .

وصادف أيضا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور اليه لسبب من الأسباب ، وذكر فيه الباشا بقوله « التعبس الحربى » ، وكذلك الأمراء بنحو ذلك ، فأرسله المفتى ، وأعاده على يد بعض الناس الى اسماعيل بيك ، حقدا منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة ، وأوصله اسماعيل بيك أيضا الى الباشا ... فازداد غيظا ، وأرعد وأبرق ، وأحضر بشناق افندى من محبسه وقت القائلة ، وأراه ذلك المكتوب ... فسقط فى يده واعتذر . فلطمه على وجهه ونتف لحيته ، وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر أتباعه ، ثم أخذوه وسجنوه . وأمر بمحاسبته على ما أخذه من التركة — فحوسب وطولب ، وبقى بالحبس حتى وفى ما طلع عليه . وشفع فيه على بيك الدفتردار وخلصه من الترسيم .

أواخره (أوائل نوفمبر ١٧٩٠ م):

قلدوا أحمد بيك الوالى كشوفية الدقهلية ، وعثمان بيك الحسنى الغربية وشاهين بيك شرقية بلبيس ، وعلى بيك جركس المنوفية ، وصار جماعة أحمد بيك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب الناس من الأسواق ، وخيول الطواحين . ولما

سرحوا فى البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم الفلاحين ، مما هو معلوم من أفعالهم .. !

ربيع الأول

نوفمبر ١٧٩٠ م

فيه : كمل بناء بيت اسماعيل بيك وبياضه ، وأتمه على هيئة متقنة وترتيب فى الوضع ، ونقل اليه قطع الأعمدة العظام التى كانت ملقاة فى مكان الجامع الناصرى الذى عند فم الخليج ، وجعلها فى جدرانه ، وبنى به مقعدا عظيما متسعا ، ليس له مثيل فى مقاعد بيوت الأمراء فى ضخامته ، وعظمه ، وهو فى جهة البركة ، وغرس بجانبه بستانا عظيما ، وظن ان الوقت قد صفا له ..

جمادى الأولى

يناير ١٧٩١ م

ابتدأ أمر الطاعون ، وداخل الناس منه وهم عظيم .

وفيه : قلدوا عبد الرحمن بيك عثمان ، وجعلوه صنجق الخزينة ، وشرعوا فى تشهيله . واجتهد اسماعيل بيك فى سفر الخزينة على الهيئة القديمة ، ولبس المناصب والسدادرة وأرباب الخدم وقد بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة ، فأراد اسماعيل بيك اعادته ليكون له بذلك منقبة ووجاهة عند دولة بنى عثمان ، فلم يرد الله بذلك وعاجله الرجز .

وفى أواخره ، أشيع فى الناس أن فى ليلة السابع والعشرين نصف الليل تحصل زلزلة عظيمة ، وتستمر سبع ساعات ونسبوا هذا القول الى أخبار بعض الفلكيين من غير أصل ، واعتقده الخاصة فضلا عن العامة ، وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك .

فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى الصحراء والى الأماكن المتسعة : مثل بركة الأزبكية والفيل ونحوهما ، ونزلوا فى المراكب ، ولم يبق فى بيته الا من ثبته الله ، وباتوا ينتظرون ذلك الى الصباح ، فلم يحصل شىء ، وأصبحوا يتضاحكون على بعضهم !

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

رجب

مارس ١٧٩١ م

فيه : زاد أمر الطاعون ، وقوى عمله بطول شهرى رجب وشعبان ، وخرج عن حد الكثرة ، ومات به ما لا يحصى من الأطفال ، والشبان ، والجوارى ، والعبيد ، والمماليك ، والأجناد ، والكشاف ، والأمراء ، ومن أمراء الألوف الصناجق نحو اثنى عشر صنجقا ، ومنهم : اسماعيل بيك الكبير المشار اليه ، وعسكر القليونجية ، والأرنؤود الكائنون ببولاق ، ومصر القديمة ، والجيزة ... حتى كانوا يحفرون حفرا لمن بالجيزة بالقرب من مسجد أبى هريرة ، ويلقونهم فيها ، وكان يخرج من بيت الأمير فى المشهد الواحد الخمسة ، والستة ، والعشرة وازدحموا على الحوانيت فى طلب العدد ، والمغسلين ، والحمالين ، ويقف فى انتظار المغسل أو المغسلة الخمسة والعشرة ، يتضاربون على ذلك ، ولم يبق للناس شغل الا الموت وأسبابه ، فلا تجد الا مريضا أو ميتا ، أو عائدا ، أو معزيا ، أو مشيعا ، أو راجعا من صلاة جنازة ، أو دفن ، أو مشغولا فى تجهيز ميت ، أو باكيا على نفسه موهوما ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد ، والمصليات ، ولا يصلى الا على أربعة أو خمسة ، أو ثلاثة ، وندر جدا من يشتكى ولا يموت . وندر أيضا ظهور الطعن .

ولم يكن بحمى، بل يكون الانسان جالسا ، فيرتعش من البرد ، فيدثر ، فلا يفيق الا مخلطا ، أو يموت من نهاره ، أو ثانى يوم ، وربما زاد ، أو نقص ، أو كان بخلاف ذلك .. !! واستمر الطاعون الى أوائل رمضان ، ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا . ومات الأغا ، والوالى فى أثناء ذلك ، فولوا خلافهما ، فماتا بعد ثلاثة أيام ، فولوا خلافهما ، فماتا أيضا ! واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات فى جمعة واحدة !

ولما مات اسماعيل بيك تنازع الرياسة حسن بيك الجداوى ، وعلى بيك الدفتردار ، ثم اتفقوا على تأمير عثمان بيك طبل تابع اسماعيل بيك على مشيخة البلد ، وسكن ببيت سيده ، وقلدوا حسن بيك قصبة رضوان أمير حج . ثم انهم أظهروا الخوف ، والتوبة ، والاقلاع ، وابطال الحوادث والمظالم ، وزيادات المكوس ، ونادوا بذلك ، وقلدوا أمراء عوضا عن المقبورين من مماليكهم .

رمضان

غرته (٤ مايو ١٧٩١ م) :

حضر طظرى وعلى يده مرسوم بعزل اسماعيل باشا ، وأن يتوجه الى المورة ، وأن باشة المورة ، محمد باشا الذى كان بجدة فى العام الماضى ، المعروف بعزت هو والى مصر . فعملوا الديوان ، وقرئت المرسومات ، فقال الأمراء :

« لانرضى بذهابك من بلدنا ، وأنت أحسن لنا من الغريب الذى لانعرفه » . فقال :

« وكيف يكون العمل ، ولا يمكن المخالفة » ، فقالوا :

« نكتب عرضحال الى الدولة ، ونرجو تمام ذلك » . فقال :

« لايتم ذلك ، فان المتولى ، كأنكم به وصل الى الاسكندرية » . وعزم على النزول صبح تاريخه .

ثم انهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركة اسماعيل بيك ، خوفا من حضور معين بسبب ذلك ، وعين للسفرية الشيخ محمد الأمير .

١٥ منه (١٨ مايو ١٧٩١ م) :

نزل الباشا من القلعة الى بولاق ، وقصد السفر على الفور ، وطلب المراكب ، وأنزل بها متاعه ويرقه . فلما رأوا منه العجلة ، وعدم التأنى ، وقصدهم تأخيره الى حضور الباشا الجديد ، ويحاسب على مادخل فى جهته ، فاجتمعوا عليه صحبة الاختيارية ، وكلموه فى التأنى ، فعارضهم ، وعاندهم وصمم على السفر من الغد ، فأغلظوا عليه فى القول ، وقالوا له :

« هذا غير مناسب ، يقال ان الباشا أخذ مال مصر وهرب » ، فقال :

« وأى شىء أخذته منكم ؟ » . قالوا له :

« لابد من عمل حساب ، فان الحساب لا كلام فيه ، ولا بد من التأنى ، حتى نعمل الحساب » ، فقال :

« أنا أبقى عندكم الكتخدا ، فحاسبوه نيابة عنى . والذى يطلع لكم فى طرفى خذوه منه » . فلم يرضوا بذلك . فقال :

« أنا لابد من سفرى ، اما اليوم ، أو غدا » ، فقاموا من عنده على غير رضا ، وأرسلوا الوالى ، والأغا يناديان على ساحل البحر ، على المراكب ، بأن كل من سافر بشىء من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه ، يستاهل الذى يجرى عليه ، وطردوا النواتية من المراكب ، ولم يتركوا فى كل مركب الا شخصا واحد نوتيا فقط ، وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراس .

وفيه : حضر خازندار الباشا الجديد وأخبر بوصول مخدومه الى ثغر الاسكندرية ، ومعه خلعة القائمقامية لعثمان بيك طبل ، ومكاتبة الى الأمراء بعدم سفر الملاقاة ، وأرباب الخدم على العادة ، وأخبر أنه واصل الى رشيد فى البحر بالنقاير ، فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط .

وفيه : رفعوا مصطفى كاشف من طرا ، وعملوه كتخدا عثمان بيك ، شيخ البلد .

وفيه : أشيع بأن عبد الرحمن بيك الابراهيمى حضر من طريق الشام ، ومر من خلف الجبل ، وذهب الى سيده بالصعيد .

شوال

الجمعة غرته (٣ يونية ١٧٩١ م) :

حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق ، فعملوا له سقالة ، وركب الأمراء ، وعدوا الى بر انبابة ، وسلموا عليه ، وعدى صحبتهم ، وركب الى قصر العينى .

الاثنين ٤ منه (٦ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أوكب (الباشا الجديد) — فى موكب أقل من العادة بكثير — الى القلعة من ناحية الصليبة ، وضربوا له مدافع من القلعة .

وفيه : سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال ، وكانوا أخروا سفره الى أن وصل الباشا الجديد ، وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر ، ثم انهم عملوا حساب الباشا المعزول ، فطلع عليه للباشا المتولى مائتا كيس ، من ابتداء منصبه وهو ١٧ رجب ، وللأمراء مبلغ أيضا ، فسدد ذلك : بعضه أوراق ، وبعضه نقد ، وبعضه أمتعة ، وأذنوا له بالسفر ، فشرع فى نزول متاعه بالمراكب بطول يومى الخميس والجمعة ، وأراد أن يسافر يوم السبت . ففى تلك الليلة ، وصل بشلى من الروم ، وبيده مرسوم ، فعمل الباشا فى صبحها ديوانا حضر فيه المشايخ ، والأمراء ، وأبرز الباشا المرسوم ، فكان مضمونه محاسبة الباشا المعزول من ابتداء شهر توت واستخلاص ما تأداه من ابتداء المدة .

١٦ منه (١٨ يونية ١٧٩١ م):

فيه : أرسلوا ثانيا وحجروا على الباشا المعزول ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا عليه ثانى مرة .

وفيه : تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالى تحركوا الى الحضور الى مصر ، فانه لما حصل ماحصل ، من موت اسماعيل بيك والأمراء ، حضر مراد بيك من أسيوط الى المنيا ، وانتشر باقى الأمراء فى المقدمة ، وعدى بعضهم الى الشرق ، ووصلت أوائلهم الى كفر العياط . وأما ابراهيم بيك فانه لم يزل مقيما بمنفلوط ، ومنتظرا ارتحال الحجاج ، ثم يسير الى جهة مصر ، فأرسلوا على بيك الجديد الى طرا عوضا عن مصطفى كاشف ، وأرسلوا صالح بيك الى الجيزة ، وأخذوا فى الاهتمام .

وفيه : حفر خندق من البحر الى المتاريس ، وفردوا فلاحين على البلاد للحفر ، مع اشتغالهم بأمور الحج ، ودعواهم نقص مال الصرة ، وتعطيل الجامكية المضافة لدفتر الحرمين ، وتوجيه المعينين من القليونجية على الملتزمين .

الأحد ٢٤ منه (٢٦ يونية ١٧٩١ م) :

حضر السيد عمر أفندى مكرم الأسيوطى بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابا الى شيخ البلد والمشايخ وللباشا سرا .

وفيه : سافر اسماعيل باشا المنفصل من بولاق بعد أن أدى ما عليه .

الاثنين ٢٥ منه (٢٧ يونية ١٧٩١ م) :

خرج المحمل صحبة أمير الحج حسن بيك قصبة رضوان .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٨ يونية ١٧٩١ م) :

اجتمعوا بالديوان عند الباشا ، وقرئت المكاتبات الواصلة من الأمراء القبليين ، فكان حاصلها :

« اننا فى السابق طلبنا الصلح مع اخواننا ، والصفح عن الأمور السالفة ، فأبى المرحوم اسماعيل بيك ، ولم يطمئن لطرفنا ، وكل شيء نصيب ، والأمور مرهونة بأوقاتها . والآن اشتقنا الى عيالنا ، وأوطاننا ، وقد طالت علينا الغربة ، وعزمنا على الحضور الى مصر على وجه الصلح ، وبيدنا أيضا مرسوم من مولانا السلطان ، وصل الينا صحبة عبد الرحمن بيك بالعفو والرضا ، والماضى لايعاد ، ونحن أولاد اليوم ، وأن أسيادنا المشايخ يضمنون غائلتنا » !

فلما قرئت تلك المكاتبة ، التفت الباشا الى المشايخ ، وقال :

« ماتقولون ؟ » . فقال الشيخ العروسى :

« ان كان التفاقم بينهم وبين أمرائنا المصرية الموجودين الآن ، فاننا نترجى عندهم . وان كان ذلك بينهم وبين السلطان ، فالأمر لنائب مولانا السلطان » .

ثم اتفق الرأى على كتابة جواب حاصله :

« ان الذى يطلب الصلح ، يقدم الرسالة بذلك قبل قدومه ، وهو بمكانه . وذكرتم أنكم تائبون ، وقد تقدم منكم هذا القول مرارا ، ولم نر له أثرا ، فان شرط التوبة رد المظالم ، وأنتم لم تفعلوا ذلك ، ولم ترسلوا ماعليكم من الميرى فى هذه المدة . فان كان الأمر كذلك ، فترجعوا الى أماكنكم ، وترسلوا المال والغلال ، ونرسل عرضحال الى الدولة بالاذن لكم ، فان الأمراء الذين بمصر لم يدخلوها بسيفهم ، ولا بقوتهم ، وانما السلطان هو الذى أخرجكم ، وأدخلهم . واذا حصل الرضا فلا مانع لكم من ذلك ، فاننا الجميع تحت الأمر » .

وعلم على ذلك الجواب الباشا ، والمشايخ ، وسلموه الى السيد عمر ، وسافر به فى يوم الثلاثاء المذكور .

ثم اشتغلوا بمهمات الحج ، وادعوا نقص مال الصرة ستين كيسا ، ففردوها على التجار ودكاكين الغورية ، وارتحل الحج من الحصوة ، وصحبته الركب الفاسى .

وذلك فى يوم السبت غايته . وبات بالبركة . وارتحل فى غرة ذى القعدة .

ذو القعدة

غرته (٢ يولية ١٧٩١ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، ورسموا بنفى من كان مقيما بمصر من جماعة القبليين ، فنفوا : أيوب بيك الكبير ، وحسن كتخدا الجربان الى طندتا ، وكتبوا فرمانا بخروج الغريب ، وفرمانا آخر بالأمن والأمان ، وأخذهما الوالى والأغا ، ونادوا بذلك فى صبحها فى شوارع البلد ، ونبهوا على تعمير الدروب ، وقفل أبواب الأطراف ، وأجلسوا عند كل مركز حراسا .

٥ منه (٦ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا ، وأمامه المناداة بفرمان على الأجناد والطوائف والمماليك بالخروج الى الخلاء .

وفيه : وصل قاصد من الديار الرومية ، وهو أغا معين بطلب تركة اسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الهالكين بالطاعون ، فأنزلوه ببيت الزعفرانى .

وكرروا المناداة بالخروج الى ناحية طرا ، وكل من تأخر بعد الظهر يستحق العقوبة .

وفى تلك الليلة — وقت المغرب — طلع الأمراء الى الباشا ، وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى ناحية طرا ، فنزل فى صبحها وخرج الى ناحية طرا كما أشاروا عليه .

وكذلك خرج الأمـراء ، وطاف الأغا والوالى بالشوارع وهما ينادىان على الألضاشات المنتسبين الى الوجاقات بالصعود الى القلعة ، والباقى بالخروج الى متارس الجيزة .

وطلع الأوده باشـا والاختيارية ، وجلسوا فى الأبواب .

٧ منه (٨ يولية ١٧٩١ م) :

أشيع أن الأمراء القبليين يريدون التخريم من وراء الجبل الى جهة العادلية ، فخرج أحمد بيك ، وصالح بيك تابع رضوان بيك الى جهة العادلية ، وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة ، وأرسـلوا أيضا الى عرب العائد فحضروا أيضا هناك .

وفيه : وصل القبليون الى حلوان ، ونصـبوا وطاقهم هناك ، وأخذ المصريون حذرهم من خلف متاريس طرا .

٩ منه (١٠ يولية ١٧٩١ م) :

توجه المشـايخ الى ناحية طرا ، وسلموا على الباشا ، والأمراء ، ورجعوا ، وذلك باشارة الأمراء ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم !.

وبقى الأمر على ذلك الى يوم الثلاثاء التالى .

١٧ منه (١٨ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا والوالى ، وأمامهم المناداة على الرعية ، والعامة الكافة بالخروج فى صبح الخميس صحبة المشايخ ولا يتأخر أحد . وحضر الشيخ العروسى الى بيت الشيخ البكرى ، وعملوا هناك جمعية ، وخرج الأغا من هناك ينـادى فى الناس ، ووقـع الهرج والمرج !

١٨ منه (١٩ يولية ١٧٩١ م) :

أصبح الصباح ، فلم يخرج أحد من النـاس ، وأشـيع أن الأمراء القبليين ، نزلوا أثقـالهم فى المراكب ، وتمنعوا الى قبلى ، ويقولون ان قصدهم الرجوع . وبقى الأمر على السكوت بطول النهار ، والناس فى بهتـة ، والأمراء متخيلون من بعضهم البعض ، وكل من على بيـك الدفتردار ، وحسن بيك الجـداوى يسىء الظن بالآخـر . ولم يخطر بالبال مخامرة عثمان بيك طبل ، ولا الباشا ، فان عثمان بيك تابع اسماعيل بيك الخصم الكبير ، وقد تعيز عوضه فى امارة مصر ، ومشيختها ... والباشا لم يكن من الفريقين .

فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء ، وخرجوا الى ناحية العادلية ، وأخرجوا شركفلك صحبتهم ، وجملة مدافع ، وعملوا متاريس ، فمـا فرغوا من عمل ذلك الا ضحوة النهار من يوم الجمعة ، وهم واقفون على الخيول ، فلم يشـعروا الا والأمراء القبالى ، نازلون من الجبل بخيولهم ، ورجالهم ، لكنهم فى غاية من الجهد والمشـقة . فلما نزلوا وجدوا الجماعة ، والمتاريس أمامهم ، فتشـاور المصريون مع بعضهم فى الهجوم عليهم ، فلم يوافق عثمـان بيك على ذلك ، وثبطهم عن الاقـدام ، ورجعـوا جميـع الحملة الى مصر ، ووقفوا على جرائد الخيل ، فتمنع القبليون وتبـاعدوا عنهم ، ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحـة حتى يتكاملوا .

فلما تكاملوا ، ونصبوا خيامهم ، واسـتراحوا الى العصر ، ركب مصطفى كاشف — صهر حسن كتخدا على بيك ، وهو من مماليك محمـد بيك الألفى — وصحبته نحو خمسة مماليك ، وذهب الى سيده ، ثم ركب محمـد بيك المبدول أيضـا بأتباعه وذهب الى ابراهيم بيـك ، ثم ركب قاسم بيك بأتباعه وذهب الى مراد بيك ، لأنه فى الأصل

من أتباعه ، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاوى — وهو أخو عثمان بيك طبل شيخ البلد — وذهب أيضا اليهم ، واستوثق لأخيه . فكتب له ابراهيم بيك بالحضور ، فلم يتمكن من الحضور الا بعد العشاء الأخيرة ، حتى انفرد عن حسن بيك ، وعلى بيك

فلما فعل ذلك وفارقهما سقط فى أيديهما ، وغشى على على بيك ، ثم أفاق . وركب مع حسن بيك وصناجقه وهم : عثمان بيك ، وشاهين بيك ، وسليم بيك المعروف بالدمرجى الذى تأمر عوضا عن على بيك الحبشى ، ومحمد بيك كشكش ، وصالح بيك الذى تأمر عوضا عن رضوان بيك العلوى ، وعلى بيك الذى تأمر عوضا عن سليم بيك الاسماعيلى — وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا ، وذهبوا الى قبلى ، حيث كانت أخصامهم — فسبحان مقلب الأحوال !!

ولما حضر عثمان بيك ، وقابل ابراهيم بيك ، أرسله مع ولده مرزوق بيك الى مراد بيك ، فقابله أيضا ، ثم حضرت اليهم الوجاقلية والاختيارية ، وقابلوهم ، وسلموا عليهم .

٢١ منه (٢٢ يولية ١٧٩١ م) :

شرع أتباعهم فى دخول مصر بطول الليل .

ولما طلع النهار ، دخلت أتباعهم بالحملات ، والجمال شىء كثيرا جدا ، ثم دخل ابراهيم بيك ، وشق المدينة ، ومعه صناجقه ومماليكه — وأكثرهم لابسون الدروع — ثم دخل بعده سليمان بيك ، والأغا ، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، ثم عثمان بيك الشرقاوى ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأيوب بيك الدفتردار ، ومصطفى بيك الكبير ، وعلى أغا ، وسليم أغا ، وقائد أغا ، وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى ، وعبد الرحمن بيك الذى كان باسلامبول ، وقاسم بيك الموسقو ، وكشافهم ، وأغواتهم .

وأما مراد بيك فانه دخل من على طريق الصحراء ، ونزل على الرملة ، وصحبته عثمان بيك الاسماعيلى شيخ البلد ، وأمراؤه ، وهم . محمد بيك الألفى ، وعثمان بيك الطنبرجى — الذى كان باسلامبول أيضا — وكشافهم ، وأغواتهم

واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من كان متأخرا ، أو منقطعا ، فلم يتم دخولهم الا فى ثانى يوم .

وأما مصطفى أغا الوكيل ، فانه التجأ الى الباشا ، وكذلك مصطفى كاشف طرا ... فأخذهما الباشا صحبته ، وطلعا الى القلعة ، ودخل الأمراء الى بيوتهم ، وباتوا بها ، ونسوا الذى جرى

وأكثر البيوت كان بها الأمراء الهالكون بالطاعون ، وبقى بها سباؤهم ، ومات غالب نساء الغائبين ، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم ، والجوارى ، والخدم ، فتزوجوهن ، وجددوا فراشهم ، وعملوا أعراسهم ومن لم يكن له بيت ، دخل ما أحب من البيوت ، وأخذه بما فيه من غير مانع ، وجلس فى مجالس الرجال ، وانتظر تمام العدة ان كان بقى منها شىء ... وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم !

وفيه : ركب سليم أغا ونادى على طائفة القليونجية والأرنؤود والشوام بالسفر ، ولا يتأخر منهم أحد وكل من وجد بعد ثلاثة أيام استحق ما ينزل به

ثم ان المماليك صاروا كل من صادفوه منهم ، أو رأوه أهانوه ، وأخذوا سلاحه . فاجتمع منهم طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصا من الدلاة أنزلهم الى بولاق فى المراكب . وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ، ويصفرون عليهم بطول الطريق .

وسكن مراد بيك ببيت اسماعيل بيك — وكأنه كان يبنيه من أجله !

٢٢ منه (٢٣ يولية ١٧٩١ م) :

طاف الأغاوهوينادىعلى القليونجية والأرنؤود .

٢٦ منه (٢٧ يولية ١٧٩١ م) :

صعد الأمراء الى القلعة ، وقابلوا الباشا — وكانوا لم يروه ولم يرهم قبل ذلكاليوم — فخلع عليهم الخلع ، ونزلوا من عنده ، وشرعوا فى تجهيز تجريدة الى الهاربين ، لأنهم حجزوا ماوجدوه من مراكبهم ، وأمتعتهم ، وكتب الباشا عرضحال فى ليلة دخولهم ، وأرسله صحبة واحد ططرى الى الدولة بحقيقة الحال ، وعينوا للتجريدة ابراهيم بيك الوالى ، وعثمان بيك المرادى متقلدا امارة الصعيد ، وعثمان بيك الأشقر . وأحضر مراد بيك حسن كتخدا على بيك بأمان ، وقابله ، وقيده بتشهيل التجريدة ، وعمل البقسماط ، ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغيرذلك، ووجه عليه المطالبحتى صرف ما جمعه وحواه ، وباعمتاعه وأملاكه ورهنها ، واستدان . ولم يزل حتى مات بقهره ، وقلدوا على أغا مستحفظان سابقا ، وجعلوه كتخدا الجاويشية .

ذوالحجة

٢١منه(٢١ اغسطس١٧٩١ م : ١٧ مسرى ١٥٠٧ ق) :

أوفىالنيلأذرعه،ونزلالباشا الى قصرالسد،وحضر القاضى والأمراء ، وكسر السد بحضرتهم ، وعملوا الشنك المعتاد ،وجرى المـاء فى الخليج ، ثم توقفت الزيادة ، ولم يزد بعد الوفاء الا شيئا قليلا ، ثم نقص واستمر يزيد قليلا ، وينقص الى الصليب ، فضجت الناس ، وتشحطت الغلال ، وزاد سعرها ، وانكبوا على الشراء ، ولاحت لوائح الغلاء .

وفيه : شرع الأمراء فى التعدى على أخذ البلاد من أربابها من الوجاقلية وغيرهم ، وأخذوا بلاد أمير الحج .

وفيه : صالح الباشا الأمراء على مصطفى أغا الوكيل ، وأخلوا له داره ، وقد كان سكن بها عثمان بيك الأشقر ، فأخلاها له ابراهيم بيك ، ونزل من القلعة اليها ، ولازم ابراهيم بيك ملازمة كلية .

وكذلك مصطفى كاشف الذى كان بطرا لازم مراد بيك واختص به ، وصار جليسه ونديمه .

* * *

ومات فى هذه السنة شيخنا ، علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالأفهام ، الذى جاب فى اللغة والحديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج .. الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى .

ولد سنة ١١٤٥ (١٧٣٢ م) ، ونشأ ببلاده ، وارتحل فى طلب العلم ، وحج مرارا . واجتمع بكثير من الشيوخ والعلماء .. وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية ، وألبسه الخرقة ، وأجازه بمروياته ومسموعاته .

قال : وهو الذى شوقنى الى دخول مصر : بما وصفه لى من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها من المشاهد الكرام .. فاشتاقت نفسى لرؤياها ، وحضرت مع الركب ، وكان الذى كان ..

ورد الى مصر فى تاسع صفر سنة ١١٦٧ (١٧٥٢م) وسكن بخان الصاغة ، وحضر على كثير من مشايخها ، وتلقى عنهم ، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه .

واعتنى بشأنه اسماعيل كتخدا عزبان ، ووالاه ببره حتى راج أمره ، وترونق حاله ، واشتهر ذكره عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة ،

وركب الخيول المسومة . وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه .

وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية — مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة — مرارا ، حين كانت مزينة بأهلها ، عامرة بأكابرها .

وأكرمه الجميع . واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم ، وأجازوه وأجازهم . وصنف عدة رحلات فى انتقالاته فى البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح — نظما ونثرا — لو جمعت لكانت مجلدا ضخما .

وشرع فى شرح القاموس (١) حتى أتمه فى عدة سنين فى نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه « تاج العروس » .

ولما أكمله أولم وليمة حافلة ، جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت ، بغيط المعدية ، وذلك فى سنة ١١٨١ (١٧٦٧ م) ، وأطلعهم عليه ، واغتبطوا به ، وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه فى علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نثرا ونظما .

وكتب للمرحوم الوالد — يسأله الاجازة والتقريظ — بقوله :

أمولاى ، بحر العلم ، يامن سناؤه
يفوق ضياء الشمس فى الشرق والغرب
ويا وراث النعمان فقها وحكمة
وزهدا له قد شاع فى البعد والقرب
عبيدكم الآن قد جاء يرتجى
« ملاحظة » منها نفوز قضا الأرب
ويسأل فى هذا الكتاب اجازة
بتقريظه ، حتى يفوق على الكتب
حباكم اله العرش منه كرامة
وعشنا هنيئا فى أمان بلا كرب

ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها .. أنهوا اليه « شرح القاموس » هذا ، وعرفوه أنه اذا وضع بالخزانة كمل نظامها ، وانفردت بذلك دون غيرها .

ورغبوه فى ذلك فطلبه ، وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ، ووضعه فيها .

وقد رغب الناس فى مباشرته لكونه غريبا ، وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية — بل وبعض لسان الكرج — فانجذبت قلوبهم اليه ، وتناقلوا خبره وحديثه ..

.. ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم — مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملى وكاتب الأسماء — فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثية .. بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده — وبناته ونساؤه من خلف الستائر — وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، على النسق المعتاد .

ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين — حتى النساء والصبيان والبنات — واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » .

وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن السابق .

يقول الحقير (يعنى الجبرتى نفسه) : انى كنت مشاهدا وحاضرا فى غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزله بالصنادقية وبولاق ، وأماكن أخر كنا نذهب اليها للنزاهة — مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك — فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها ، وهو كثير ، بثبوت

(١) هو معجم « القاموس المحيط » للفيروزابادى . وهو من أهم مراجع اللغة العربية . و « تاج العروس فى شرح القاموس » للزبيدى ... له اكبر نصيب من اسمه .

المسموعات على النسخ ، وفى أوراق كثيرة موجودة الى الآن .

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده ، وأصعده اليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة ، وغلالا من الأنبار .

وأنهى الى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة ، وقدره مائة وخمسون نصفا فضة فى كل يوم .. فعظم أمره ، وانتشر صيته .. وطار ذكره فى الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحى من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة .

وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة !

وأرسلوا اليه من أغنام فزان — وهى عجيبة الخلقة ، عظيمة الجثة ، يشبه رأسها رأس العجل — وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا !

وكذلك أرسلوا له من طيور الببغاء والجوارى والعبيد والطواشية .. فكان يرسل من طرائف الناحية ، الى الناحية المستغرب ذلك عندها .. ويأتيه فى مقابلها أضعافها !

وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكادى والمربيات والعود والعنبر والعطرشاه بالأرطال !

وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ، ومنزلة كبيرة ، واعتقاد زائد .. وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى .. حتى ان أحدهم اذا ورد الى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشىء .. لا يكون حجه كاملا !

فاذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه . ويستخبر من هذا عن ذلك — بلطفه ورقة — فاذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا .. فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقا ، أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له : « فلان طيب ؟ » . فيقول : « نعم سيدى » . ثم يسأله عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته ، وابنته ، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها .. فيقوم ذلك المغربى ويقعد ، ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح !

فتراهم ، فى أيام طلوع الحج ونزوله ، مزدحمين على بابه من الصباح الى الغروب . وكل من دخل منهم قدم بين يدى نجواه شيئا : اما موزونات فضة أو تمرا أو شمعا .. على قدر فقره وغناه !

وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة : فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بمقدار الأنملة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ، ويرى أنه قد قبل حجه .. والا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم ميعاده ! .. وقس على ذلك ما لم يقل ..

ولما حضر حسن باشا الى مصر ، لم يذهب اليه .. بل حضر هو لزيارته ، وخلع عليه فروة تليق بمقامه . وقدم له حصانا مرختا بسرج وعباءة ، قيمته ألف دينار ، أعده وهيأه قبل ذلك .

وكانت شفاعته عنده لا ترد . وان أرسل اليه ارسالية فى شىء تلقاها بالقبول والاجلال ، وقبل الورقة — قبل أن يقرأها — ووضعها على رأسه ، ونفذ ما فيها فى الحال !

ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير .

وكنت كثيرا ما أجتلى وجه وداده ، وأوقد نار الفكرة بقدح وارى زناده ، وأستظل بدوحه المربع، وأستمد من بحره السريع ، وأسامره بما يذكرنا عهود الرقمتين ، وأتنزه من صفات فضله وذاته فى الربيعين ..

وكانت بالعـراق لنـا لـيـال
سرقناهن من ريب الزمـــان
جعلنـــاهن تاريـخ الليـالى
وعنـوان المسرة والأمـــانى

وبالجملة فانه كان فى جمع المعارف صدرا لكل ناد ، حتى فوض الدهر منه رفيع العماد ، وآذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ...

وزهـرة الدنيـــا وان أينعت
فانهـــا تسـقى بمـاء الزوالْ

وكانت صفته : ربعة نحيف البدن ، ذهبى اللون متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد وخطه الشيب فى أكثرها ، مترفها فى ملبسه ، ويعتم — مثل أهل مكة — عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخيـة على قفاه ، ولهـا حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخـر داخل على العمامة وبعض أطرافه ظاهر .

وكان لطيف الذات ، حسن الصفات ، بشوشا بسـوما ، وقورا محتشما ، مستحضرا للنـوادر والمناسبات ، ذكيا لوذعيا ، فطنا ألمعيـا ، روض فضله نضير ، وما له فى سعة الحفظ نظير .

جعل الله مثواه قصور الجنان ، وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران .

* * *

ومات فى هـذه السنة الأمير المبجل ، والنبيه المفضل ، على بن عبد الله ، الرومى الأصـــل ، مولى الأمير أحمد كتخدا صالح . اشتراه سـيده صغيرا ، فتربى فى الحريم . .

وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعـلم الفروسـية ورمى السـهام ، وترقى حتى عمـل خازندارا عنده .

وكان بيته موردا للأفاضـل .. فكان يكرمهم ويحترمهم ويتعلم منهم العـلم ، ثم أعتقه وأنزله حاكما فى بعض ضـياعه ، ثم رقاه الى أن عمله رئيسا فى باب المتفرقة ، وتوجه أميرا على طائفته صـحبة الخزانة الى الأبواب السلطانية .. مـع شهامة وصرامة ، ثم عاد الى مصر .

وكان ممن يعتقد فى شيخنا السيد على المقدسى، ويجتمع به كثـيرا ، وكان له حافظـة جيـدة فى استخراج الفروع . وأتقن فن رمى النشاب الى أن صار أستاذا فيه .

وانفـرد فى وقته فى صـنعة القسى والسـهام والدهانات .. فلم يلحقه أهل عصره .

وأضر بعينيه ، وعالجهما كثيرا فلم يفـده .. فصبر واحتسب . ومع ذلك فيرد عليه أهل فنـه ويسألونه فيه ، ويعتمدون على قوله .

ولقد أتاه — وهو فى هذه الضرارة — رجل من أهل الروم اسمه حسن ، فأنزله فى بيته وعلمـه هذه الصنعة حتى فاق ، فى زمن قليل ، أقرانه ، وسلم له أهل عصره .. وحينئـــذ طلب منه أن يأذن له فيها ..

واجتمع أهل الصنعة فى منزله لحضور هـذا المجلس ، فأرسل الى شيخنا السيد محمد مرتضى وطلب منه شـيئا يناسب المجلس ، فكتب — عن لسانه :

« الحمد لله الذى علـم الانسـان مالم يعلم ، وهدى بفيض فضله الى الطريق الأقوم .

« والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

النبى الأكـرم ، النـاصر لدين الحق بالسـيف والسنان المقـوم ، وعلى آله وصـحبه ما رمى مجاهد فى سـبيل الله سهما والى الجنـة تقـدم .

« أما بعد .. فيقـول الفقـير الى الله تعالى على ابن عبد الله -- مولى المرحوم أحمد كتخدا صالح — غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، ورحم من مضى من سلفه ، وجعل البركة فى عقبه وخلفه :

« اعلموا — اخوانى فى الله ورسوله — أن كل صنعة لها شيخ وأستاذ . وقد قالوا : « صنعة بلا أستاذ ، يدركها الفساد » . وأن صـنعة القوس والنشاب ، بين الأقران والأصـحاب ، على ممر الأحقاب .. شريفة ، وطريقـة بين السلف والخلف مقبولة منيفة ، اذ بها تعمير باب الجهاد ، وفتـح قلاع أهل الكفر والعناد ..

« وقد أمر الله نبيه صـلى الله عليـه وسـلم فى الكتـاب ، باعـداد القـوة ، وفسر ذلك برمى النشاب (١) .. حيث قال جل ذكره : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

(ثم تطيل السيد مرتضى فى صيغة هذه الاجازة وسهب ، الى أن تقول :)

« فلما رأيت هذا الاتقان فى صنعته ، والاذعان بحسن معرفته ، والاحكام — مع التفقه فى سائر الأوقات — لأصول صناعته ، صدرت منى هذه الاجازة الخاصة له بشهادة الاخـوان فى هـذه الصـنعة الشريفة البيـان ، كمـا أجازنى به الشيخ الصـالح الكامل المـاهر البارع المرحوم عبد الله أفندى ابن محمد البسنوى ، بحق أخذه لذلك عن شيخه المرحوم الحاج على الألبـانى ، عن شـيخه محمد الاسطنبولى ، باسـناده المتصل الى عبـد الرحمن الفزارى ، والامام صـاحب الاختيار مؤلف « الايضاح » المعروف بالطبرى ، بحق أخذهما عن أئمة هـذا الفن المشـهورين : طاهر البلخى ، واسحق الرفاء ، وأبى هاشـم الباوردى .. بأسانيدهم المتصـلة عن شـيخ الى شيخ الى أن ينتهى ذلك الى سـيدنا اسـماعيل عليه الصلاة والسلام — وحسبك من علو سـند ينتهى الى هذا الامام !

« وأوصيه — كما أوصى أخوانى ونفسى — المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضـع النفس ، وحملها على مكارم الأخلاق ، وألا يرفع نفسه على أحـد ، وألا يحقر أحدا من خلق الله ، وأن يجعل دأبه لزوم الصمت ، والقناعة بالقليل ، مع المداومة على ذكر الله .. بالسكينة والوقار ، وأن يسمى الله فى أول مسكه فى صنعته ، ويستمد من الله القوة والحول ، ولايضجر ، ولاييأس من روح الله ، ولايسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا يحدث نفسه بالعجز .. فانه يصل الى ما وصـل اليه غيره ، فان الرجال بالهمم .. ففى الحديث : « المـؤمن القـوى أحب الى الله مـن المـؤمن الضعيف ، وفى كل خير » . وأن يديم النظر الى معرفة العيوب العارضة للقسى والسهام ، وعقـد الأوتار ، ويتعـاهد لذلك ، وكيفية ازالة العيب ان حدث ، ويعرف من أى حـدث ، وألا يبيـع

---

(١) حض الله تعالى فى كتابه الحكيم على القتال فى سـبيله ، ودعا رسوله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد اعلاء لكلمة الحق .

ولكن الخطر ، كل الخطر ، هو أن يفسر « السيدمحمد مرتضى » هذه الآية الكريمة بأن « اعداد القـوة » تقتصر عـلى الرمى بالنشاب ...

فاذا كان الرمى بالنشاب آخر ما انتهت اليه العقول من مظاهر القوة فى رأيه ، فعلى العدوة الاخرى من البحر الأبيض المتوسط كان قوم يكيدون للشرق كيدا ، ويدبرون له تدبيرا .

وأبناء الشرق يشقون بقادة فكر « يقدمون بين أيديهم موزونات الفضة ، ويلتمسون منهم الاجوبة ... فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بقدر الأنملة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ! » .

ثم لايتورع هؤلاء « الزعماء » أنفسهم عن تفسير آيات الله فى القتال وأحاديث رسوله فى الجهاد ... بان أداتهـا هى الرمى بالنشاب ، والقرن التاسع عشر — قرن البخار والكهرباء — على الابواب ، ولم يبق على حملة نابليون على مصر الا بضعة أعوام !

سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشترى ان كان رجلا ، أو صبيا فيحتاج ذلك الى اذن والده .. فاذا علم اسلامه ووثق فيأخذ عليه العهد ألا يرمى به مسلما ، ولا معاهدا ولا كلبا ولا شيئا من ذوات الأرواح .. الا أن يكون صيدا أو ما يجب قتله .

« وألا يعلم صنعته الا لأهله الذى يثق بدينه . فقد روى أنه لايحل منع العلم عن مستحقه ، ويجب اعطاؤه بحقه .. سيما ان كان عارفا بقدر العلم ، راغبا فيه ، طالبا لوجه الله تعالى .. لا للمباهاة والمفاخرة .

« ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم، ويحرضهم على العمل ، ولا يعاتبهم الا فى خلوة .. وهو — مع ذلك — لازم الهيبة ، كثير السكوت ، متأن فى الأمور ، غير عجول للجواب .

« والتقوى أصل كل شىء ، وهى رأس مال الانسان .

« ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك المنان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان » .

وكان عند المترجم كتب نفيسة فى كل فن . رحمه الله .

* * *

ومات فى هذه السنة الأمير محمد أغا البارودى — وهو مملوك أحمد أغا ، مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلى — رباه سيده وجعله خازنداره ، وعقد له على ابنته . فلما توفى سيده ، طلقها وتزوج بزوجة سيده — هانم بنت ابراهيم كتخدا من الست البارودية — وهى أم أولاده .

وتقيد بخدمة اسماعيل بيك ، وتداخل معه ، حتى نصبه فى كتخدائية ، وأحبه ، واحتوى على عقله ، فسلم له قياده فى جميع أشغاله ، وارتاح اليه ، وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما ، فعظم شأنه ، وارتفع قدره ، وطار صيته بالأقاليم المصرية .

وصار الايراداليه ، والمصرف من يده ، فيصرف جماكى العسكر ولوازم الدولة وهداياها ، ومصاريف العمائر والتجاريد ، واحتياجات أمير الحج من اللوازم ، من الجمال والأرحال والقرب والخيش والعليق والذخيرة التى تسافر فى البحر والبر ، وعوائد العرب وكساويهم ، والهجن والبغال ، وأرباب الصيت وغير ذلك . واذا كان وقت خروج المحمل ، فلا يرى أمير الحج الا جميع احتياجاته ولوازمه حاضرة مهيأة على أتم ما يكون .

وزوج ابنة سيده لخازنداره على أغا ، وعمل لهما مهما عظيما عدة أيام . وحضر اسماعيل بيك والأمراء والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا العظيمة ، وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط ومشايخ البلدان .

وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات والملاعيب والنقوط ، عملوا للعروس زفة بهيئة لم يسبق نظيرها ، ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب الصنائع ، مع كل طائفة عربة ، وفيها هيئة صناعتهم ومن يشتغل فيها مثل : القهوجى بآلته وكانونه ، والحلوانى والفطاطرى والحباك والقزاز بنوله .. حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجينى ، وبياعين البز وأرباب الملاهى والنساء المغانى وغيرهم — كل طائفة فى عربة — وكان مجموعها نيفا وسبعين حرفة ، وذلك خلاف الملاعيب والبهالوين والرقاصين والجنك . ثم الموكب وبعده الأغوات والحريم ، والملازمون والسعاة والجاويشية . وبعدها عربة العروس من صناعة الافرنج ، بديعة الشكل ، وبعدها مماليك الخزنة والملبسون الزروخ ، وبعدهم النوبة التركية والنفيرات .

ت زفة غريبة الوصف ، لم يتفق مثلها بعدها .
ومات فى غرة رمضان ، وبموته ارتفع الطاعون !
وقيل :

واذا كان منتهى العمر موتا
فسـواء طويله والقصـير

❊ ❊ ❊

ومات الصنو الوجيه ، والفريد النبيه ، محمد أفندى ابن سليمان أفندى ابن عبد الرحمن أفندى ابن مصطفى أفندى ككليويان (ويقال لها فى اللغة العامية جمليان) .

نشأ فى عفة وصلاح وخير وطلب العلم ، وعانى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ المرحـوم الوالد (١) ، وقرأ عليـه كثـيرا من الحسـابيات والفلكيات ، والهيئة والتقويم ، ومهـر فى ذلك ، وانتظم فى عداد أرباب المعارف ، واشترى كتبـا كثيرة فى الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمسـتظرفات ، وحسـب وقوم الدسـاتير السنوية — عشرة أعوام مستقبلة — بأهلتها وتواريخها وتواقيعها .

ورسم كـثيرا من الآلات الغريبة والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه فى غاية الضـبط والصحة والحسن .

وكان لطيف الذات ، مهذب الأخلاق ، قليـل الادعاء ، جميل الصحبة وقورا .

مات أيضا بالطاعون فى شعبان ، وتبددت كتبه وآلاته .

❊ ❊ ❊

ومات أيضا ، النبيه اللطيف ، والمفرد العفيف ، أحمد أفندى الوزان بالضربخانة . وكان انسـانا حسنا ، جميل الأوضاع ، مترهف الطباع ، محتشما وقورا ، ودودا محبوبا لجميع الناس .

(١) والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى .

سنه ١٢٠٦ هجريه

المحـرم

الأربعاء مستهله (٢١ اغسطس ١٧٩١ م) :

عينوا صالح أغا ، كتخدا الجاويشية ، الى السفر الى الديار الرومية ، وصحبته هدية ، وشربات ، وأشياء . وصالح أغا هـذا هو الـذى بعثوه قبل ذلك لاجراء الصلح على يد نعمان أفندى ، ومحمود بيك ، وكاد أن يتم ذلك ، وأفسد ذلك حسن باشا ، ونفى نعمان افندى بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر فى هذه المرة عينوه أيضا للارسالية السابقة ومعرفته بالأوضاع وكان صالح أغا هذا عندما حضروا الى مصر ، سكن ببيت البارودى ، وتزوج بزوجته .

٥ منه (٤ سبتمبر ١٧٩١ م) :

ركب الأمراء لوداع صالح أغا ، ونزل من مصر القديمة .

وفيه : هبط النيل ، ونزل مرة واحدة ، وذلك فى أيام الصليب ، ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضى ، فلم يرو منها الا القليل جدا ، فارتفعت الغلال من السواحل ، والرقع ، وضجت الناس ، وأيقنوا بالقحط ، ويئسوا من رحمة الله . وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة ، وضجت الفقراء وعيطوا على الحكام ، فصار الأغا يركب الى الرقع والسواحل ، ويضرب المتسببين فى الغلة ، ويسمرهم فى آذانهم . ثم صار ابراهيم بيك يركب الى بولاق ، ويقف بالساحل ، وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب ، ومنعهم من الزيادة على ذلك ، فلم ينجع .

وكذلك مراد بيـك كرر الركوب ، والتحريج على عدم الزيادة ، فيظهرون الامتثال وقت مرورهم ، فاذا التفتوا عنهم ، باعوا بمرادهم ، وذلك مع كثرة ورود الغلال ، ودخول المراكب ، وغالبها للأمراء ، وينقلونها الى المخازن والبيوت .

صفر

اوائله (اوائل اكتوبر ١٧٩١ م) :

وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء ، فعملوا الديوان عند الباشا ، وقرأوا المرسوم ، وصورة ما بنى عليه ذلك : أنه لما حضر السيد عمر أفندى بمكاتبتهم السابقة الى الباشا ، ويترجون وساطته فى اجراء الصلح ، فأرسل مكاتبة فى خصوص ذلك من عنده ، وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لاطاقة لهم بهم، ولا يقدرون على منعهم ، ودفعهم ، وأنهم واصلون ، وداخلون على كل حال . فكان هذا المرسوم جوابا عن ذلك ، وقبول شفاعة الباشا ، والاذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم ، وبين اخوانهم . فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكا ومدافع .

الثلاثاء ١٢ منه (١١ اكتوبر ١٧٩١ م) !

حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية ، ومعه مرسومات خطابا للباشا ، والأمراء . فركب المشايخ ولاقوه من بولاق ، وتوجه الى بيته ، ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء ، وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ، ومرتب بالضربخانة قرش فى كل يوم ، وقرأ هناك البخارى عند الآثار الشريفة بقصد النصرة !!

ربيع الأول

(نوفمبر ١٧٩١ م)

فيه : عمل المولد النبوى بالأزبكية ، وحضر مراد بيك الى هناك ، واصطلح مع محمد أفندى البكرى ، وكان منحرفا عنه بسبب وديعته التى كان أودعها عنده ، وأخذها حسن باشا .

فلما حضر الى مصر ، وضع يده على قرية كان اشتراها الأفندى من حسن جلبى بن على بيك الغزاوى ، وطلب من حسن جلبى ثمن القرية الذى قبضه من الشيخ ، ليستوفى بذلك بعض حقه . وطال النزاع بينهما بسبب ذلك ، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بيك منهما . وحضر مراد بيك الى الشيخ فى المولد ، وعمل له وليمة ، واستمر عنده حصة من الليل ، وخلع على الشيخ فروة سمور .

وفيه : عملوا ديوانا عند الباشا ، وكتبوا عرضحال بتعطيل الميرى بسبب شراقى البلاد .

وفيه : سافر محمد بيك الألفى الى جهة شرقية بلبيس .

وفيه : حضر ابراهيم بيك الى مسجد أستاذه للكشف عليه ، وعلى الخزانة ، وعلى مافيها من الكتب ، ولازم الحضور اليه ثلاثة أيام ، وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندى حافظ ، وسلمه لنديمه محمد الجراحى ، وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الخراب ، ولم يبق بها غير البواب أمام الباب .

ربيع الآخر

(ديسمبر ١٧٩١ م)

قرروا تفريدة على تجار الغورية ، وطيلون ، وخان الخليلى ، وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاق ليلا فى المشاعل ، ثم ردوهم . ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقوائم ، وناكد بعضهم بعضا ، وهرب كثير منهم ، فسمروا دورهم وحوانيتهم ، وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس ، والوجاقلية ، وضج الخلائق من ذلك .

جمادى الأولى

مستهله (٢٧ ديسمبر ١٧٩١ م) :

كتبوا فرمانا بقبض مال الشراقى ، ولودى به فى النواحى . وانقضى شهر كيهك القبطى ، ولم ينزل من السماء قطرة ماء ، فحرثوا المزروع ببعض الأراضى التى طشها الماء ، وتولدت فيها الدودة ،

وكثرت الفيران جدا ، حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار ، والذى سلم من الدودة من الزرع ، أكله الفار .. ولم يحصل فى هذه السنة ربيع للبهائم (١) الا فى النادر جدا ، ورضى الناس بالعليق (٢) ، فلم يجدوا التبن ، وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة — الذى يساوى خمسة أنصاف قبل ذلك — مائة نصف . ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس ، وأتباع الأجناد ، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة ، كل حفان بنصفين ... الى غير ذلك !!

وفيه : حضر صالح أغا من الديار الرومية .

شوال

(مايو — يونية ١٧٩٢ م)

فيه : سافر صالح أغا بهدية ، ومكاتبات الى الدولة ورجالها .

ذو القعدة

(يونية — يوليه ١٧٩٢ م)

فيه : وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا ، وتولية محمد باشا ملكا . وكان صالح أغا قد وصل الى الاسكندرية ، فغيروا المكاتبات وأرسلوها اليه .

وفيه : حضر أغا بتقرير لوالى مصر على السنة الجديدة ، وطلع الموكب الى القلعة وعملوا له شنكا .

ذو الحجة

فى أواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٧٩٢ م) :

شرع ابراهيم بيك فى زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بيك المعروف بالوالى — أمير الحج سابقا — وعمر لها بيتا مخصوصا ، بجوار بيت الشيخ السادات ، وتغالوا فى عمل الجهاز ، والحلى ، والجواهر وغير ذلك من الأوانى ، والفضيات ، والذهبيات . وشرعوا فى عمل الفرح ببركة الفيل ، ونصبوا صواري أمام البيوت الكبار ، وعلقوا فيها القناديل ، ونصبوا الملاعيب والملاهى ، وأرباب الملاعيب . وفردت التفاريد على البلاد ، وحضرت الهدايا والتقادم من الأمراء والأكابر ، والتجار . ودعا ابراهيم بيك الباشا ، فنزل من القلعة ، وحضر صحبته خلع وفراو ، ومصاغ للعروس من جوهر ، وقدم له ابراهيم بيك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معددة ، وسبحة لؤلؤ ، وأقمشة هندية ، وشبقات دخان مجوهرة ، وعملوا الزفة فى رابع المحرم . وخرجت من بيت أبيها فى عربة غريبة الشكل صناعة الافرنج ، فى هيئة كمال من غير ملاعيب ولا خزعبلات ، والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها .

وفيه : حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وصحبته رهائن حسن بيك الجداوى — وشاهين بيك وآخرون — وسكن فى مكان صغير .

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك انفصل من حسن بيك ومن معه ، وسافر على جهة القصير ، وذهب الى جدة .

* * *

ومات فى هذه السنة السيد السند الامام الفهامة المعتمد ، فريد عصره ، ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف على معينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده .. حتى آبان صبح بقينها ، السيد العلامة أبو المودة محمد خليل ابن السيد العارف ، الذى ينتهى نسبه الى السيد محمد مراد بن على الحسينى الحنفى الدمشقى .

لم نره ، لكن سمعنا خبره ، ووردت علينا منه

(١) أى زراعة البرسيم .
(٢) بعض الفول أو الشعير أو الذرة توضع للماشية على التبن .

مكاتبات ، ووشى بطروسه المبرات ، وتناقل الينا أوصافه الجميلة ، ومكارم أخلاقه الجليلة . كان شامة الشام ، وغرة الليالى والأيام أورق عوده بالشام وأثمر ، ونشأ بها فى حجر والده والدهر أبيض أزهر ، وقرأ القرآن ، وطالع فى العلوم والأدبيات واللغة التركية ، والانشاء والتوقيع

وكان رحمه الله مغرما بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم العصريين ، على طريق المؤرخين .

وراسل فضلاء البلدان البعيدة ، والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن الثانى عشر . وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع هذا التاريخ على هذا النسق (١) .

وفى حلب الشهباء ، عصفت رياح المنية بروضه الخصيب ، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب ، فاحتضر بأمر الملك المقتدر ، وذلك فى أواخر صفر من هذه السنة ، وهو مقتبل الشبيبة ، ولم يخلف بعده فى الفضائل والمكارم مثله رحمه الله .

سنه ١٢٠٧ هجريه

المحرم

(أغسطس — سبتمبر ١٧٩٢ م)

استهل والأمر فى شـــدة من الغلاء ، وتتابع المظالم ، وخراب البلاد . وشتات أهلها ، وانتشارهم بالمدينة ، حتى ملأوا الأسواق والأزقة ، رجالا ونساء وأطفالا ، يبكون ويصيحون ليلا ونهارا من الجوع ، ويموت من الناس فى كل يوم جملة كثيره من الجوع ! !

وفيه أيضا : هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام ، وكان ناقصا عن ميعاد الرى نحو ذراعين ، فارتجت الأحوال ، وانقطعت الآمال . وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل ، فلما نقص انقطع أملهم ، واشتد كربهم ، وارتفعت الغـــلال من السواحل والعرصات ، وغلت أسعارها عما كانت .

وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالا ، والشـعير بخمسة عشر ريالا ، والفـول بثلاثة عشر ريالا ، وكذلك باقى الحبوب ، وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة . ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال . وآل الأمر الى أن صـار الناس يفتشون على الغلة ، فلا يجدونها . ولم يبق للناس شغل ، ولا حكاية ، ولا سمر بالليل والنهار فى مجـالس الأعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك .

وشحت النفوس ، واحتجب المســاتير ، وكثر الصياح والعويل ليلا ونهارا ، فلاتكاد تقع الأرجل الا على خلائق مطروحين بالأزقة . واذا وقع حمار أو فرس ، تزاحموا عليه ، وأكلوه نيئا ، ولو كان منتنا .. حتى صاروا يأكلون الأطفال !!

ولما انكشف الماء ، وزرع الناس البرسيم ، ونبت .. أكلته الدودة ، وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض ، وحرثوها ، وسقوها بالمـاء من السواقى ، والنطالات ، والشواديف ، واشـتروا لها التقاوى بأقصى القيم ، وزرعوها فأكله الدود أيضا . ولم ينزل من السمـاء قطرة ، ولا أندية ، ولا صـقيع ، بل كان فى أوائل كيهك شرودات ، وأهوية حارة ثقيلة . ولم يبق بالأرياف الا القليل من الفلاحين ، وعمهم الموت والجلاء !

---

(١) يذكر المؤلف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى عن « المترجم » انه كان يجمع تراجم كبار العلماء والأعاظم ، وكانت تتم المراسلة عن طريق المرحوم الشيخ السيد محمد مرتضى .

ولما مات « المترجم » ظفر الشيخ عبد الرحمن الجبرتى بالاوراق التى كان جمعها ، وهى نحو عشر كراريس ، ذكر فيهـا شيوخه ومن أخذ عنه أو ساجله ، أو جالسه من رفيق وصاحب ، وسماه « المعجم المختص » .

ويقول المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى : « ورد علينـا نعى « المترجم » ففترت الهمة ، وطرحت تلك الأوراق فى زوايا الاهمال مدة طويلة ، حتى كادت تتناثر وتضيع ، الى أن حصل عندى باعث فى نفسى على جمعها — مع ضم الوقائع والحوادث المتجددات — على هذا النسق » .

ربيع الأول

في أواخره (١٥ نوفمبر ١٧٩٢ م) :

حضر صالح أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسومات بالعفو ، وثلاث خلع : احداها للباشا ، والأخريان لابراهيم بيك ومراد بيك . فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات ، وضربوا مدافع . وأحضر صحبته صالح آغا وكالة دار السعادة ، وانتزعها من مصطفى أغا ، واستولى على ملايلها .

وفيه : وصلت غلال رومية ، وكثرت بالساحل ، فحصل للناس اطمئنان وسكون . ووافق ذلك حصاد الذرة ، فنزل السعر الى أربعة عشر ريالا .. الأردب . وأما التبن فلا يكاد يوجد ، واذا وجد منه شيء ، فلا يقدر من يشتريه على ايصاله لداره أو دابته ، بل يبادر لخطفه السواس ، وأتباع الأجناد في الطريق . واذا سمعوا واستشعروا بشيء منه في مكان ، كبسوا عليه وأخذوه قهرا فكان غالب مئونة الدواب قصب الذرة الناشف . ويسرح الكثير من الفقراء والشحاذين في نواحي الجسور ، فيجمعون مايمكنهم جمعه من الحشيش اليابس ، والنجيل الناشف ، ويأتون به ، ويطوفون به الأسواق ، ويبيعونه بأغلى الأثمان . ويتضاربون على شرائه الناس ، وان صادفهم السواس ، والقواسة خطفوه من على رؤوسهم وأخذوه قهرا !

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك الدفتردار لما سافر من القصير ، طلع على المويلح ، وركب من هناك مع العرب الى غزة ، وأرسل سرا الى مصر ، وطلب رجلا نصرانيا من أتباعه .. فذهب اليه صحبة الهجان ، بمطلوبات وبعض احتياجات .

ولما وصل الى جهة غزة أرسل الى أحمد باشا الجزار يعلمه بوصوله . فأرسل لملاقاته خيلا ورجالا ، فذهب اليه ، وصحبته نحو الثلاثين نفرا لاغير . فلما وصل الى قرب عكا خرج اليه أحمد باشا ، ولاقاه ، ووجهه الى حيفا ، ورتب لهم بها رواتب .

وأما مراد بيك فانه خرج الى بر الجيزة من أول السنة ، وجلس في قصر اسماعيل بيك الذي عمره هناك ، واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر ، وطلب الصناع والحدادين ، وشرع في انشاء مراكب وغلايين رومية ، وزاد في بناء القصر ووسعه ، وأنشأ به بستانا عظيما وغير ذلك .

وسافر عثمان بيك الشرقاوي الى ثغر الاسكندرية ، وجبى الأموال في طريقه من البلاد .

ربيع الآخر

الأربعاء ٢٧ منه (١٢ ديسمبر ١٧٩٢ م ـ ٥ كيهك ١٥٠٩ ق) :

أمطرت السماء مطرا متوسطا ، وفرح به الناس .

جمادى الأولى

السبت أوله (١٥ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

عدى مراد بيك من بر الجيزة ، فدخل الى بيته . وأخبروا عن عثمان بيك الشرقاوي أنه رجع الى رشيد .

الثلاثاء ٤ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

حضر المذكور الى مصر .

الخميس ٦ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

خرج مراد بيك وابراهيم بيك وباقي أمرائهم الى جهة العادلية ، فأقاموا أياما قليلة ، ثم ذهب مراد بيك الى ناحية أبي زعبل . وكذلك ابراهيم بيك الوالي ، وصحبته جماعة من الأمراء الى ناحية الجزيرة . وفي وقت خروجهم نهب أتباعهم ماصادفوه من الدواب ، وصاروا يكبسون الوكائل

التى بباب الشعرية ، ويأخذون ما يجدونه من جمال الفلاحين السفارة وحميرهم لها .

فأما مراد بيك فانه لما وصل الى أبى زعبل ، وجد هناك طائفة من عرب الصوالحه فى خيشهم ، لا جنية لهم — فنهبهم وأخذ أموالهم ومواشيهم ، وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصا ، مابين غلمان وشيوخ ! وأقام هناك يوما ، وقبض على مشايخ البلد « أبو زعبل » ، وحبسهم ، وقرر عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال . ولم يقبل فيهم شفاعة أستاذهم ، وشتمه ، وضربه بالعصا . وأما عرب الجزيرة ، فانهم ارتحلوا من أماكنهم .

شعبان

(مارس — ابريل ١٧٩٣ م)

وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقى ، ونضوب مائه ، وظهرت بالنيل كيمان رمل هائلة من حد المقياس الى البحر المالح ، وسار البحر الغربى سلسول جدول تخوضه الأولاد الصغار ، ولا يمر به الا صغار القوارب . وانقطع الجالب من جميع النواحى الا ما تحمله المراكب الصغار بأضعاف الأجرة ، وتعطلت دواوين المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلا مسلمانى ، وصحبته جماعة من الأفرنج ، وأحضروا الأخشاب العظيمة ، ورتبوا عمل السد قريبا من كفر الخضرة ، وركبوا آلات فى المراكب ، ودقوا ثلاثة صفوف خوابير من أخشاب طوال . فلما أتموا ذلك كانت الصناع فرغت من تطبيق ألواح فى غاية الثخن شبه البوابات العظام وهى مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص ، وصفائح الحديد مثقوبة بثقوب مقامة على مايوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة فى الماء ، فاذا نزلوا ببوابة ألحموها بتلك الخوابير ، وتبعتهم الرجال بالجوابى المملوءة بالحصا والرمل من أمام ، ومن خلف . وتبع ذلك الرجال الكثيرة بفلقان الأتربة والطين ، ففعلوا ذلك حتى قارب التمام ، ولم يبق الا اليسير ، ثم حصل الفتور فى العمل بسبب أن المباشر على ذلك أرسل لمراد بيك بالحضور ليكون اتمامها بحضرته ، ويخلع عليه ، ويعطيه ما وعده به من الانعام ، فلم يحضر مراد بيك ، وغلبهم الماء ، وتلف جانب من العمل . وكان أيوب بيك الصغير حاضرا ، وفى نفسه أن لايتم ذلك لأجل بلاده ، فأصبح مرتحلا ، وتركوا العمل ، وانفض الجمع !

وقد أقام العمل فى ذلك من أوائل شعبان الى أواسط شوال . ثم نزل اليها جماعة آخرون ، وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار ، وشرعوا فى عمل سد المكان القديم عن فم الترعة ، ودقوا أيضا خوابير كثيرة ، وألقوا أحجارا عظيمة . وفرغت الأحجار ، فأرسلوا بطلب غيرها ، فلم يسعفهم القطاعون ، فشرعوا فى هدم الأبنية القديمة ، والجوامع التى بساحل النيل ، وقلعوا أحجار الطواحين التى بالبلاد القريبة من العمل . واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ، ولم يتم العمل ، ورجعوا كالأول ، وذهب فى ذلك من الأموال والغرامات والسخرات ، وتلف من المراكب والأخشاب والحديد ، ما لا يحد ، ولا يعد !!

شوال

أوائله (حوالى منتصف مايو ١٧٩٣ م) :

ورد الخبر بأن على بيك سافر من عند أحمد باشا الى اسلامبول ، صحبة قابجى معين . فلما قرب من اسلامبول ، أرسلوا من وجهه الى برصا ليقيم بها ، ورتبوا له كفايته .. فى كل شهر خمسمائة قرش رومى .

* * *

ومات فى هذه السنة الأجل الصالح ، الناسك

المسلك العارف ، الشيخ محمد بن عبد الحافظ أفندى أبو ذاكر الخلوتى الحنفى .

أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكرى والشيخ الحفنى ، وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجى والشيخ أحمد الحماقى ، وأدرك الأسقاطى والمنصورى . ولم يتزوج قط ، وكف بصره ، وانقطع فى بيته احدى وعشرين سنة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ، ولا جارية ولا عبد ، ولا من يخدمه فى شىء مطلقا ..!

وبيته متسع — جهة التبانة — وبابه مفتوح دائما وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط ، والجميع مطلوقون فى الحوش وهو يباشر علفهم واطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ، ويطبخ طعامه بنفسه .. وكذلك يغسل ثيابه .

واشتهر فى الناس بأن الجن تخدمه — وليس ببعيد ! — لأنه كان من أهل المعارف والأسرار ، ويأتى اليه الكثير من الطلبة للاخذ عنه ، والتلقى منه .

وكان له يد طولى فى كل شىء ، ومشاركة جيدة فى العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات والأوفاق ، واستحضار تام فى كل ما يسأل عنه . وعنده عدة كثيرة من السنانير (القطط) ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ويقول : « هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة !! »

توفى — رحمة الله — فى شهر شوال من هذه السنة .

***

ومات أيضا المجذوب المعتقد ، السيد على البكرى (١) . أقام سنين متجردا ، ويمشى فى الأسواق عريانا ، ويخلط فى كلامه ، وبيده نبوت طويل يصحبه معه فى غالب أوقاته — وقد تقدم ذكره وذكر المرأة التى تبعته المعروفة بالشيخة أمونة .

وكان يحلق لحيته وللناس فيه اعتقاد عظيم .

فينصتون الى تخليطاته ، ويوجهون الفاظه ويؤولونها على حسب أغراضهم ، ومقتضيات أحوالهم .. ووقائعهم !.

وكان له آخ من مساتير الناس ، فحجر عليه ، ومنعه من الخروج ، وألبسه ثيابا ، ورغب الناس فى زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته !

فأقبل عليه الناس من كل ناحية ، وترددوا لزيارته من كل جهة ، وأتوا اليه بالهدايا والنذور .. وجروا على عوائدهم فى التقليد ..

وازدحم عليه الخلائق — وخصوصا النساء — فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ، ونصبه شبكة لصيده ، ومنعه من حلق لحيته فنبتت وعظمت ، وسمن بدنه وعظم جسمه .. من كثرة الأكل والراحة !

وقد كان قبل ذلك عريانا شقيانا ، يبيت غالب لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة فى الشتاء والصيف . وقيد به من يخدمه ويراعيه فى منامه ويقظته ، وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ، ويخلط فى ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة يشتم .. ولابد من مصادفة بعض الألفاظ لما فى نفس بعض الزائرين وذوى الحاجات .. فيعدون ذلك كشفا واطلاعا على ما فى نفوسهم وخطوات قلوبهم ويحتمل أن يكون كذلك ! ! فانه كان من البله المجاذيب المستغرقين فى شهود حالهم .

ولم يزل هذا حاله .. حتى توفى فى هذه السنة ، واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ، ودفنوه بمسجد الشرايبى — بالقرب من جامع الرويعى — فى قطعة من المسجد ، وعملوا على قبره مقصورة ومقاما للزيارة ، واجتمعوا عند مدفنه فى ليال

---

(١) سبب نسبتهم هذه .. انهم كانوا يسكنون بسويقة البكرى .. وليس لأنهم من البكرية .

وميادات ، وقراء ومنشدين ، وتزيين عند أصناف الخلائق .. ويختلط النساء بالرجال .

ومات أخوه أيضا بعده بنحو سنتين .

سنه ١٢٠٨ هجريه

المحرم

١٦ منه (٢٤ أغسطس ١٧٩٣ = ١٨ مسرى ١٥٠٩ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وانحلت الأسعار ، وبورك في رمى الغلال ، حتى أن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة !

وبلغ النيل الى الزيادة المتوسطة وثبت الى أول بابة ، وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجارى ، وحفر الترع ، واصلاح الجسور .

صفر

أوائله (أوائل سبتمبر ١٧٩٣ م) :

وصل قابجى من الديار الرومية بطلب مال المصالحة والحلوان ، فأنزلوه فى دار ، وهادوه ، ورتبوا له مصروفا .

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويش الحج ، وتشوفوا لحضوره .

ولم يذهب اليهم فى هذه السنة ملاقاة بالوش ولا بالألزم .

وأرسل ابراهيم بيك هجانا يستخبر عن الحجاج ، فذهب .

ليلة ٢٣ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٩٣ م) :

رجع الهجان وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من سائر النواحى ، عند مغاير شعيب ، ونهبوا الحجاج ، وكسروا المحمل ، وأحرقوه ، وقتلوا غالب الحجاج والمغاربة معهم ، وأخذوا أحمالهم ، ودوابهم ، ونهبوا أثقالهم ، وانجرح أمير الحج ، وأصابه ثلاث رصاصات ، وغاب خبره ثلاثة أيام ، ثم أحضره العرب ، وهو عريان فى أسوأ حال ، وأخذوا النساء بأحمالهن ، والذى تبقى منهم أدخلوه الى قلعة العقبة ، وتركهم الهجان بها من غير ماء ، ولا زاد ، فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة مالا مزيد عليه !

٢٧ منه (٤ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

عينوا محمد بيك الألفى وعثمان بيك الأشقر ، ليسافرا بسبب ذلك ، فخرجا ، وخطف أتباعهم فى ذلك اليوم ماصادفوه من الجمال والبغال والحمير وقرب السقائين التى تنقل الماء من الخليج ، ونهبوا الخبز من الطوابين والمخابز ، والكعك والعيش من الباعة !

وفى يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ، ودخلوا فى أسوأ حال من العرى والجوع والتعب . فلما وصلوا الى نخل تلاقوا مع باقى الحجاج على مثل ذلك ، ووجدوا أمير الحج ذهب الى غزة ، وصحبته جماعة من الحجاج ، وأرسل يطلب الأمان . ولم يزوروا المدينة فى هذه السنة . وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال مع عرب حرب .

وضاع فى هذه الحادثة من الأموال والمحزوم شىء كثير جدا ، وأخبروا أن موسم هذا العام كان من أعظم المواسم ، لم يتفق مثله من مدة مديدة .

ربيع الأول

الاثنين أوله (٧ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

دخل باقى الحجاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك .

الثلاثاء ٢ منه (٨ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وقرىء المرسوم الذى

حضر بصحبة الأغا ، فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينة ، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمائة كيس ، وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفا فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير .

وفيه : عملوا على زوجات أمير الحج ثلاثين ألف ريال ، وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار ، فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها ، لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج ، وألبسوا زوجته الخاتم قهرا عنها ، ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بيك ، وهى بنت على أغا المعمار ، ووجدت على زوجها وجدا عظيما ، وأرسلت جماعة لاحضار رمته من قبره الذى دفن فيه فى صندوق على هيئة تابوت .

وفيه : شرع الأمراء فى عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة ، وقرروها : عال ، وهو أربعمائة مال .. ووسط ، وهو ثلثمائة ٥٠ والدون ، مائة وخمسون ، وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم .

الخميس ٤ منه (١٠ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

سافر حسن ، كتخدا أيوب بيك ، بأمان لعثمان بيك ليحضره من غزة . ووصل المتسفرون بجثة حسن كاشف المعمار .

جمادى الأولى

٢٠ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٣ م) :

وصل عثمان بيك طبل الاسماعلى أمير الحج الى مصر مكسوف البال ، ودخل الى بيته .

وفيه : حضر الصدر الأعظم يوسف باشا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز ، فاعتنى الأمراء بشأنه ، وأرسلوا له ملاقاة ، وتقادم ، وهدايا ، وفرشوا له قصر العينى ، ووصل الى مصر ، وطلع من المراكب الى قصر العينى ، وأرسلوا له تقادم وخيسيافات ، ثم حضروا للسلام عليه فى زحمة وكبكبة ، فخلع على ابراهيم بيك ومراد بيك خلعا ثمينة ، وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين ، ثم نزل له الباشا المتولى بعد يومين ، وسلم عليه ، ورجع الى القلعة ، وأقاموا لضيافته عبد الرحمن بيك الابراهيمى ، جلس بالقصر المواجه لقصر العينى .

وقد تخيلوا من حضوره ، وظنوا ظنونا ...

جمادى الآخرة

٣ منه (٦ يناير ١٧٩٤ م) :

طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولى ، فجلس عنده الى بعد الظهر ، ونزل فى موكب حافل الى محله بقصر العينى وأرسل له ابراهيم بيك ومراد بيك مع كتخدائهم هدية ، وهى خمسمائة أردب قمح ، ومائة أردب أرز ، وتعبيات أقمشة هندية وغير ذلك

وأقام بالقصر أياما ، وقضوا أشغاله ، وهيأوا له اللوازم والمراكب بالسويس . وركب فى أواسط جمادى الآخرة وذهب الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم

سنة ١٢٠٩ هجرية

لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتابع مظالمهم . واتخذ مراد بيك الجيزة سكنا وزاد فى عمارته ، واستولى على غالب بلاد الجيزة : بعضها بالثمن القليل ، وبعضها غصبا ، وبعضها معاوضة . واتخذ صالح أغا أيضا له دارا بجانبه ، وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريبا من مراد بيك .

المحرم

٢٧ منه (٢٤ أغسطس ١٧٩٤ م – ٢٠ مسرى ١٥١٠ ق) :

أوفى النيل أذرعه ،وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء ، وجرى الماء فى الخليج .

صفر

(سبتمبر ١٧٩٤ م)

ورد الخبر بوصول صالح باشا والى مصر ، الى اسكندرية ، وأخذ محمد باشا فى أهبة السفر ، ونزل وسافر الى جهة اسكندرية .

ربيع الأول

٢٠ منه (١٥ أكتوبر ١٧٩٤ م) :

وصل صالح باشا الى مصر وطلع الى القلعة .

(أواخره اكتوبر وأوائل نوفمبر ١٧٩٤ م) :

ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت — المنفصل عن مصر — وورد عليه التقليد وهوباسكندرية . وكان صالح آغا الوكيل ذهب ضحيته ليشيعه الى اسكندرية ، فأنعم عليه بفرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة فى كل يوم .

ربيع الآخر

١٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٩٤ م – ٢ هاتور ١٥١١ ق):

أمطرت السماء مطرا غزيرا قبل الفجر . وكان ذلك بعيد بابة القبطى .

ذوالحجة

(يونية – يولية ١٧٩٥ م)

وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية بشرقية بلبيس ، حضر اليه أهلها ، وشكوا من محمد بيك الألفى ، وذكروا أن أتباعه حضروا اليهم وظلموهم ، وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ . فاغتاظ ، وحضر الى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعدما خاطب مراد بيك ، وابراهيم بيك ، فلم يبديا شيئا .. ففعل ذلك فى ثانى يوم ، وقفلوا الجامع ، وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت .

ثم ركبوا فى ثانى يوم ، واجتمع عليهم خلق كثير من العامة ، وتبعوهم ، وذهبوا الى بيت الشيخ السادات ، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة ، بحيث يراهم ابراهيم بيك . وقد بلغه اجتماعهم . فبعث من قبله أيوب بيك الدفتردار فحضر اليهم ، وسلم عليهم ، ووقف بين يديهم ، وسألهم عن مرادهم . فقالوا له :

« نريد العدل ، ورفع الظلم والجور ، واقامة الشرع ، وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها وأحدثتموها » .

فقال : « لا يمكن الاجابة الى هذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات » .

فقيل له : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك، والأميريكون أميرا بالاعطاء ، لا بالأخذ !» فقال : « حتى أبلغ » .

وانصرف ، ولم يعد لهم بجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ الى الجامع الأزهر . واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية ، وباتوا بالمسجد ، وأرسل ابراهيم بيك الى المشايخ يعضدهم ، ويقول لهم : « أنا معكم ، وهذه الأمور على غير خاطرى ، ومرادى » . وأرسل الى مراد بيك يخيفه عاقبة ذلك . فبعث مراد بيك يقول :

« أجيبكم الى جميع ماذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكسر من الجامكية . وتبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم ، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا » .

ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم ، فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاطفهم ، والتمس منهم السعي فى الصلح على ماذكر . ورجعوا من عنده ، وباتوا على ذلك تلك الليلة .

وفى اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بيك ، واجتمع الأمراء هناك . وأرسلوا الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الأمير . وكان المرسل اليهم رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك ، فذهبوا معه ، ومنعوا العامة من السعي خلفهم . ودار الكلام بينهم ، وطال الحديث ، وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا ، والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون ، وأموال الرزق ، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة ، والكشوفيات والتفاريد والمكوس ، ما عدا ديوان بولاق ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس ، ويرسلوا صرة الحرمين . والعوائد المقررة من قديم الزمان ، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة .

وكان القاضى حاضرا بالمجلس ، فكتب حجة عليهم بذلك ، وفرمن عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بيك ، وأرسلها الى مراد بيك فختم عليها أيضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ ، وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم ينادون : « حسب مارسم ساداتنا العلماء : بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية » !

وفرح الناس ، وظنوا صحته ، وفتحت الأسواق ، وسكن الحال على ذلك نحو شهر ، ثم عاد كل ما كان مما ذكر ... وزيادة !

ونزل عقيب ذلك مراد بيك الى دمياط ، وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك .

ومات فى هذه السنة ، الذمى المعلم ابراهيم الجوهرى ، رئيس الكتبة الأقباط بمصر . وأدرك من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة — مع طول المدة بمصر — ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم .

وأول ظهوره من أيام المعلم رزق — كاتب على بيك الكبير ولما مات على بيك والمعلم رزق ، ظهر أمره ونما ذكره ، فى أيام محمد بيك فلما انقضت أيام محمد بيك وترأس ابراهيم بيك ، قلده جميع الأمور ، فكان هو المشار اليه فى الكليات والجزئيات .. حتى دفاتر الروزنامة والميرى وجميع الايراد والمنصرف ، وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده واشارته .

وكان من دهاقين العالم ودهاتهم ، لايعزب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ، ويدارى كل انسان بما يليق به من المداراة ، ويحابى ويهادى ويواسى ويفعل مابوجب انجذاب القلوب والمحبة ، ويهادى ويبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء . وعند دخول رمضان يرسل الى غالب أرباب المظاهر ، ومن دونهم ، الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوى .

وعمرت فى أيامه الكنائس وديور النصارى ، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال .

وحزن ابراهيم بيك لموته ، وخرج فى ذلك اليوم الى قصر العينى حتى يشاهد جنازته ، وهم ذاهبون به الى المقبرة ، وتأسف على فقده تأسفا زائدا . وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من السنة .

سنه ١٢١٠ هجرية

(١٧٩٥ — ١٧٩٦ م)

لم يقع بها شيء من الحوادث التى يعتنى

بتقيدها ، سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم ..

* * *

ومات فى هذه السنة ، العمدة العلامة ، والرحلة الفهامة ، الفقيه الفاضل ، ومن لبس له فى الفضل مناضل ، الشيخ حسن بن سالم الهوارى المالكى ، أحد طلبة شيخنا الشيخ الصعيدى . وبعد وفاة شيخه ولى مشيخة رواق الصعايدة .

وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة تجارى . واشترى خرابة بسوق القشاشين — بالقرب من الأزهر — وعمرها دارا لسكنه ، وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب المدرسة السنانية ، وكان مكتبا عظيما ذا واجهتين وعمودين وأربع بوائك وزاوية ، جداره من الحجر النحيت ، عجيبة الصنعة فى البروز والاتقان . فهدمه وأدخله فى بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق ، أو خوف خالق .

وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم ، يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين ، وجمال الأعيان المارين عليهم ، فيستعملونها فى نقل تراب الشيخ .. لأجل التبرك : اما قهرا أو محاباة .

وكذلك المؤن ، حتى تممها على هذه الصورة ، وسكن فيها ، وأحدق به الجلاوزة من الطلبة يغدون ويروحون فى الخصومات والدعاوى ، ويأخذون الجعالات والرشوات ،من المحق والمبطل ، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه .. ولو عظيما ، من غير مبالاة ولا حياء !

ومن عزلهم أو لامهم كفروه ، ونسبوه الى الظلم والتعدى والاستهزاء بأهل العلم والشريعة . وزاد الحال ، وصار كل من رؤساء الجماعة شيخا على انفراده ، يجلس فى ناحية ببعض الحوانيت ، يقضى ويأمر وينهى .

وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة .. فانكفوا .

ومرض شيخهم بالتشنج شهورا وتوفى ، رحمه الله .

سنة ١٢١١ — ١٢١٢ هجرية

(١٧٩٦ — ١٧٩٨ م)

لم يقع فيهما من الحوادث التى تتشوف لها النفوس ، أو تشتاق اليها الخواطر ، فتقيد فى بطون الطروس .. سوى ماتقدمت اليه الاشارة ، من أسباب نزول النوازل ، وموجبات ترادف البلاء المتراسل ، ووقوع الانذارات الفلكية ، والآيات المخوفة السماوية .. وكلها أسباب عادية وعلامات ، من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات .

فبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون ، وبالنجم هم يهتدون ... فمن أعظم ذلك ، حصول الخسوف الكلى فى منتصف شهر الحجة (٣١ مايو ١٧٩٨ م) ختام سنة اثنتى عشرة بطالع مشرق الجوزاء ... المنسوب اليه اقليم مصر .

وحضر طائفة الفرنسيس اثر ذلك فى أوائل السنة التالية .. كما سيأتى خبر ذلك مفصلا ان شاء الله تعالى .

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون

« صدق الله العظيم »

كتاب الشعب

رقم الكتاب	اسم الكتاب	صدر فى
١	**تفسير جزء عم** للأستاذ الامام محمد عبده	
	الطبعة الاولى	أول ابريل ١٩٥٧
	الطبعة الثانية	١٥ سبتمبر ١٩٥٧
	الطبعة الثالثة	٢٥ سبتمبر ١٩٥٧
	الطبعة الرابعة	١١ يونيه ١٩٥٨
٢	**قصة السموات والأرض** للدكتور محمد جمال الدين الفندى والدكتور محمد يوسف حسن	
	الطبعة الأولى	أول مايو ١٩٥٧
	الطبعة الثانية	١٥ مايو ١٩٥٧
	الطبعة الثالثة	١١ يوليو ١٩٥٨
	الطبعة الرابعة	٢٠ يوليو ١٩٥٨
٣	**قصة الجنس البشرى (١)** للدكتور هندريك فان لون	
	طبعة الأولى	أول يونيو ١٩٥٧
	الطبعة الثانية	١١ أغسطس ١٩٥٨
٤	**قصة الجنس البشرى (٢)**	
	الطبعة الأولى	أول يوليو ١٩٥٧
	الطبعة الثانية	١١ نوفمبر ١٩٥٨
٥	**عرف نفسك** للدكتور يوستاس تشسر	أول أغسطس ١٩٥٧
٦	**تفسير جزء تبارك** للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى	أول سبتمبر ١٩٥٧
٧	**الطب للشعب** لفريق من الاخصائيين العالميين	أول أكتوبر ١٩٥٧
٨	**جان كريستوف (١)** رومان رولان	أول نوفمبر ١٩٥٧
٩	**أشغال الصوف (التريكو)** للأستاذة بثينة الكفراوى	
	الطبعة الأولى	١٥ نوفمبر ١٩٥٧
	الطبعة الثانية	٢٠ ديسمبر ١٩٥٧
	الطبعة الثالثة	١١ أكتوبر ١٩٥٨
١٠	**جان كريستوف (٢)**	أول ديسمبر ١٩٥٧
١١	**على هامش التاريخ المصرى القديم** للأستاذ عبد القادر حمزة	أول يناير ١٩٥٨
١٢	**مائدة الشعب (١)** للأستاذة بسيمة زكى ابراهيم	
	الطبعة الأولى	أول فبراير ١٩٥٨
	الطبعة الثانية	أول مارس ١٩٥٨
١٣	**مائدة الشعب (٢)**	أول مارس ١٩٥٨
١٤	**المصحف المفسر (١)** للأستاذ محمد فريد وجدى	
	الطبعة الأولى	غرة رمضان ١٣٧٧
	الطبعة الثانية	غرة شوال ١٣٧٧
١٥	**نبى البر** للأستاذ ابراهيم الابيارى	
	الطبعة الأولى	أول ابريل ١٩٥٨
	الطبعة الثانية	٥ ابريل ١٩٥٨
١٦	**المصحف المفسر (٢)**	غرة شوال ١٣٧٧
١٧	**فن الحياة** لاندريه موروا	
	الطبعة الأولى	أول مايو ١٩٥٨
	الطبعة الثانية	٨ مايو ١٩٥٨
١٨	**المصحف المفسر (٣)**	غرة ذى القعدة ١٣٧٧
١٩	**ساطير من الشرق** للأستاذ سليمان مظهر	أول يونيو ١٩٥٨
٢٠	**المصحف المفسر (٤)**	غرة ذى الحجة ١٣٧٧
٢١	**عالمنا الذى نعيش فيه** للأستاذة فاطمة محجوب	أول يوليو ١٩٥٨
٢٢	**المصحف المفسر (٥)**	غرة المحرم ١٣٧٨
٢٣	**كيف نعيش اليوم** للأستاذة فاطمة محجوب	أول أغسطس ١٩٥٨
٢٤	**المصحف المفسر (٦)**	غرة صفر ١٣٧٨
٢٥	**صلاح الدين الأيوبى** للدكتور جمال الدين الرمادى	أول سبتمبر ١٩٥٨
٢٦	**المصحف المفسر (٧)**	غرة ربيع الاول ١٣٧٨
٢٧	**تاريخ الجبرتى (١)** للأستاذ محمد قنديل البقلى	أول أكتوبر ١٩٥٨
٢٨	**المعجم المفهرس (١)** لالفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى	غرة ربيع الآخر ١٣٧٨
٢٩	**تاريخ الجبرتى (٢)**	أول نوفمبر ١٩٥٨
٣٠	**المعجم المفهرس (٢)**	يصدر فى غرة جمادى الأولى ١٣٧٨

الثمن ٢٠ قرشاً